

بحوث لفظية قرآنية

نتائج جديدة لمعاني بعض ألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه

تأليف
عبد الرحمن العقيلي

إصدار

١٤٩

بُحُوثٌ لَفْظِيَّةٌ قُرْآنِيَّةٌ

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد لسنة ٢٠١٤ : ٢١١٦

العقيلي، عبدالرحمن

بحوث لفظية قرآنية: نتائج جديدة لمعاني بعض ألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه / تأليف عبد الرحمن العقيلي.— الطبعة الأولى. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ١٤٣٦ق.= ٢٠١٥م.

ص٣٦٧. ـ (قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة؛١٤٩).

المصادر في كذلك في الحاشية

١. القرآن— مسائل لغوية . ٢. القرآن— ألفاظ . ٣ . القرآن— اعجاز. ٤ . القرآن— قصص. ٥ . بلاغة القرآن . ٦ . محمد بن الحسن (عج)، الامام الثاني عشر، ٢٥٥— هـ .— من الناحية القرآنية. ٧ . الفاظ القرآن — احاديث . ألف. السلسلة. ب . العنوان.

BP 82.3 . A75 2014

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

بُحُوثٌ لَفظيّةٌ قُرآنيّةٌ

نَتَائِجُ جَدِيْدَةٌ لِمَعَانِي بَعْضِ أَلفاظِ القُرْآنِ الكَرِيْمِ وَتَراكِيْبِهِ

تأليف

عبد الرحمن العقيلي



إصدار
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م



العراق: كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية – هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الأِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا
الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً

الإسراء: ٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يقول أمير المؤمنين عليه السلام[1] (وإن القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تُكشف الظلمات إلا به) وهذا بحسب ما أفهم إخبار عن الاختلاف الذي سيحصل في القرآن، جرّاء وصف أمير المؤمنين بأن القرآن (حمّال أوجه)، فهذه الصفة ليست للقرآن بالنسبة للمعصومين الذين اصطفاهم الله، بل إن الناس يرون فيه احتمال الأوجه، وبالتالي فهي صفة نقص بنظرهم من حيث لا يعلمون! ولو كان القرآن حمّال أوجه بالإيجاد لكان كتاب ضلالة وليس كتاب هدى وهذا باطل قطعاً! وكذلك قوله عليه السلام عن عدم فناء عجائبه ولا انقضاء غرائبه (فالقرآن واحد نزل من عند واحد) كما يقول الإمام الصادق عليه السلام، والواحد لو كان يُفهم منه أكثر من معنى فما الحجّة فيه؟ وأين الإعجاز؟ بل إنما هو واحد لكن الذي يعلمه على كماله الخواص، وإنما الناس عيال عليهم، كلٌّ

(١) نهج البلاغة – خطب الإمام علي عليه السلام – ج ١ – ص ٥٥

على مستواه، يقول تعالى:

﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ (الرعد: من الآية١٧)

فكل وادٍ يسيل على قدره وطاقته وكذلك فهم البشر.

من هنا فما يختلف فيه الناس من آي القرآن ومعانيه قد يحار فيه المرء، إذ يجد أنهم قد يختلفون في الآية الواحدة ولكل قول ما يسنده ويساوي الآخر بالدليل! والغريب أن يعتمد الناس على عقولهم في استنباط معانيه ومعرفة مبانيه وتوجيهه بالتالي حسب الرغبات الأنانيّة، مذهبياً وسياسياً، عنصرياً واجتماعياً، عرقياً وطبقياً، وللأسف هكذا استعمل القرآن عند الفئات المذهبية طوال القرون السابقة وقد استشرف ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فقال: (وإنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله. وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تُلي حق تلاوته، ولا أنفق منه إذا حُرّف عن مواضعه. ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف، ولا أعرف من المنكر. فقد نبذ الكتابَ حملتُه، وتناساه حفظتُه. فالكتاب يومئذ وأهله منفيان طريدان، وصاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يؤويهما مؤوٍ. فالكتاب وأهله في ذلك الزمان في الناس وليسا فيهم، ومعهم وليسا معهم، لأن الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا. فاجتمع القوم على الفرقة. وافترقوا عن الجماعة. كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم. فلم يبق عندهم منه

إلا اسمه، ولا يعرفون إلا خطّه وزبره)[١].

وكذلك الأمر إلى اليوم، فالكتاب وصاحبه في الناس وليسا فيهم، ومعهم وليسا معهم! ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم، وليس أدل على ذلك من ابتناء الدروس الشرعية عند المسلمين على مصادر شتى من بينها القرآن! بينما المفروض أن معجزة الإسلام الأولى يجب أن يكون قطب الرحى في العلوم الشرعية، لا أن يتساوى في الأهمية مع كلام أرسطو وأفلاطون! يقول السيد الطباطبائي (قدس سره) في نقده للمنهج الدراسي المتداول:

(وذلك أنك إن تبصرت في أمر هذه العلوم وجدت أنها نظمت تنظيما لا حاجة لها إلى القرآن أصلا حتى أنه يمكن لمتعلم أن يتعلمها جميعا: الصرف والنحو والبيان واللغة والحديث والرجال والدراية والفقه والأصول فيأتي آخرها، ثم يتضلّع بها ثم يجتهد ويتمهّر فيها وهو لم يقرأ القرآن، ولم يمسّ مصحفا قط، فلم يبق للقرآن بحسب الحقيقة إلا التلاوة لكسب الثواب أو اتخاذه تميمة للأولاد تحفظهم عن طوارق الحدثان! فاعتبر إن كنت من أهله)[٢]!! وهو كلام يُكتب بالذهب لو أنصف القارئ.

وما اعتماد الناس على (الرأي) في تفسير القرآن ألا مصيبة أخرى أصيب بها الإسلام، فاستعملت كل الأساليب لإفراغ القرآن من مضمونه

---

(١) نهج البلاغة – خطب الإمام علي عليه السلام – ج ٢ – ص ٣٠ – ٣١

(٢) تفسير الميزان – السيد الطباطبائي – ج ٥ – ص ٢٧٦

وصبّ ألفاظه في قوالب اخرى، هذا مع طول فترة بعثة النبي صلى الله عليه وآله وبالتالي وجود عشرات آلاف الأحاديث التي تركها النبي صلى الله عليه وآله، وفي جزء كبير منها أحاديث تفسيرية للقرآن لم يصلنا منها شيء، أو أنه وصل على لسان النواصب واليهود والمستسلمين والطلقاء وبعض مدّعي العلم ممن يشملهم الحديث (ممن يعطفون القرآن على الرأي)[1] فأسقطوا على القرآن آراءً نحوية وفقهية وعقيدية تخالف ظاهره، وأوّلوه بحسب ما أدت إليه تلك الآراء، أو أنهم عطفوه على معانٍ لا يستقيم معها مؤدّاه وقدّروا له تقديرات تناسب ذلك! وكل هذا بدأ مع مؤامرة (منع كتابة السنة) التي أسّسها الأولون، لكونهم رأوا الكم الهائل من الأحاديث التي تكبل سعيهم وتمنعهم من تثبيت قدمهم بعد الانقلاب الدموي على السلطة بعد شهادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم! فأنت لو أجريت عملية حسابية بسيطة لمعرفة الحد الأدنى من الأحاديث التي تركها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكانت النتيجة المحتملة:

فترة البعثة = ٢٣ سنة (على الراي الأشهر)

فلو قلنا إن معدل اختلاط الإنسان العادي بالناس = عشر ساعات في اليوم.

ومع كون منصب النبي (أيُ نبي) يحتّم الاختلاط أكثر من المعدل للضرورة بذلك.

---

(١) نهج البلاغة – ج٢– ص ٢١

فلو افترضنا أن الصحابة يسألون النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الساعات العشر عشرين سؤالا (على الأقل) لكان لدينا:

٢٠ × ٣٦٥ يوم في السنة = ٧٣٠٠ سؤالاً في العام

٢٣ سنة × ٧٣٠٠ = ١٦٧،٩٠٠ حديثا ومعلومة دينية (على أقل الاحتمالات) في مختلف المجالات الفقهية والتفسيرية والإيمانية خلال عمر البعثة المبارك، وهذا لا يتقاطع مع كون السنة فعلية وقوليه لقول الله سبحانه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ (الحشر: من الآية٧) فكون النبي صلى الله عليه وآله كان متواجدا في وسط الأمة يجعل كل كلام له ووكل تصرف وتحرك في أي مجال كان عبارة عن حديث منقول مورّث للأجيال، لذا فالذي فرضناه في اليوم الواحد هو أقل ما يمكن بلا تقاطع مع سنة فعلية تصدر منه صلى الله عليه وآله وسلم في تلكم الساعات.

فأين ذهب ذلك؟! ولِمَ لا تضم كتب المسلمين اليوم إلا نزرا يسيرا من ذلك؟! فأنت تجد أن صحيح البخاري مثلا يضم ألفي حديث وهي نسبة تقترب من ٣،٥% من العدد المفترض للأحاديث!! أما كتاب الكافي للكليني فيضم ستة عشر ألف حديث تقريبا وهو أقل من ١٠ % من العدد المفترض!

منهجنا في الكتاب

يقول تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ (النساء: ٨٢).

ويقـــول تعـــالى: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (محمد: ٢٤) ويقول أمير المؤمنين عليه السلام[١] (تعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور. وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص، فإن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله، بل الحجة عليه أعظم، والحسرة له ألزم، وهو عند الله ألوم).

وقوله عليه السلام[٢] (ولا تعدوا القرآن فتضلوا بعد البيان).

وروى الصدوق عن الريان بن الصلت قال[٣] (قلت للرضا عليه السلام: ما تقول في القرآن؟ فقال: كلام الله لا تتجاوزوه، ولا تطلبوا الهدى في غيره فتضلوا).

لذا فسنقوم بمحاولة السير دبر الآيات الكريمات (وهذا هو التدبّر المحمود) في مواضع منتقاة من القرآن، محاولين سبر أغوار معانيها واستجلاء مراميها، راجعين في القرآن للقرآن، عملاً بأمر ربنا وأوليائه الكرام، لذا فلا غرو أن يجد القارئ موارد عديدة تخالف ما تعود على قراءته في المعاجم اللغوية، والسبب واضح فكون القرآن مرجعا حاكما على غيره، خلاف السائد من الرجوع لمعرفة معانيه الى معاجم جاءت بعده ولكنها تستلهم آراء

(١) نهج البلاغة – خطب الإمام علي عليه السلام – ج ١ – ص ٢١٦
(٢) الكافي – الشيخ الكليني – ج ١ – ص ١٠٠
(٣) التوحيد – الشيخ الصدوق – ص ٢٢٣ – ٢٢٤

الأعراب من شعراء وأدباء في معانيه، فالدلالة على اللفظة القرآنية بأختها هو السير الدلالي السليم، فنحن لن نطلب الهدى في غيره، ولو اضطررنا للرجوع الى بعض المعاجم لكان ذلك للتوصل الى المعنى القرآني عن طريق الآيات وليس المعاجم نفسها، ومن يقرأ بتأمل سيعرف الفرق. وكذلك باستجلاء العناصر المتحركة في الآية من الثابتة ومحاولة ربط المتحركة بأمثالها من الالفاظ في باقي الآيات للتوصل الى اللفظ المراد بيانه.

والهدف من هذا المؤلف هو استجلاء معانٍ ظلت أسيرة بين آراء متراكمة طوال قرون،لعدم اتباع المنهج السليم في بيانها.

وبعد، فهذا الكتاب يضم أبحاثا عدة تعتمد القرآن في فهم القرآن وتستأنس بالسنة، وقد كنت قد كتبتها خلال قراءتي القرآن في شهر رمضان الكريم في العام الهجري ١٤٢٨، أرجو أن أكون قد وفقت لبيان بعض ما أغفله المفسرون ولم ينتبهوا له، آملا أن يكتبني الله في من تدبّر كتابه.

عبد الرحمن العقيلي/ بغداد

موسى عليه السلام بين القصص وطه والنمل

الـذي يقـرأ قـصة اصـطفاء الله سـبحانه لموسـى عليـه الـسلام وتكليمـه وإرساله الى فرعون وملئه يجد أن عمـاد القـصة موجـود في ثـلاث سـور هـي القـصص، طـه، والنمـل وان تفاصـيل القـصة وجـدت بتفـاوت واخـتلاف بالألفاظ مما جعل بعض القساوسة يطعن بالقرآن عن طريق القول بان الحادثـة لو كانت واحدة فكيف اختلفت الألفاظ في نقلها مما يكشف- حسب زعمه- ان النبي محمد صلى الله عليه وآله هو من ألَف القرآن لذا فقد كـان ينـسى مـا ذكره آنفا فيأتي بالقصة كل مرة بألفاظ وتفاصـيل تخـالف مـا ذكـر سـابقا كمـا زعم المفتري!

وعند مراجعة كتب التفسير لم أجد من يتطرق لهذا الإشكال- الذي يتراءى لي انه حديث لم يسبق التطرق إليه في الأزمان الماضية ألّا نادرا وبشكل سطحي- وفي مخاطبات لبعض المعاصرين من المفسرين اجمعوا على كون اختلاف القصة بتفاصيلها هو من بلاغة القرآن وأساليبه الشائعة! ولكني لم اجد ولا هم استطاعوا ان يبينوا ما هي الحكمة هنا وما البلاغة المراد ايصالها من خلال هذا المورد، ومن هذا ما قاله الباقلاني في (إعجاز القرآن) في كلامه حول الإعجاز في سورة النمل: (ثم وصل بذلك قصة موسى عليه السلام، وأنه رأى نارا، (فقال لأهله:) ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (القصص: ٢٩) وقال في سورة طه في هذه القصة: ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ (طه: من الآية١٠)... قد تصرّف في وجوه، وأتى بذكر القصة على ضروب، ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك. ولهذا قال: (فليأتوا بحديث مثله). ليكون أبلغ في تعجيزهم، وأظهر للحجة عليهم)[1]!!

وقام بعض المفسرين هروبا من الاشكال هنا بتجاوز كل ما قرره من القواعد النحوية واللغوية لتسوية الوضع، كما فعل الطبرسي الذي قال في تفسيره ﴿سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ (النمل: من الآية٧) معناه: فالزموا مكانكم،

---

(١) إعجاز القرآن – الباقلاني – ص ١٨٩

لعلي آتيكم من هذه النار بخبر الطريق)[١].

فأين سين التسويف التي يؤتى بها لليقين، من لعل التي يؤتى بها للترجي؟!

بل وحتى اللفظ (سآتيكم) فهو بقوة سين التسويف مشعر بالجزم واليقين بعد القرب والتيقن مما شاهد. بينما قوله (لعلي آتيكم منها بقبس) مشعر بالبعد عن المكان وعدم التيقن مما شاهد.

لهذا لم يقنع الرازي بهذا الجواب الذي نقله جهبذ اللغويين (الطبرسي) فقال(ثم ههنا أسئلة: السؤال الأول: (سآتيكم منها بخبر) و(لعلي آتيكم منها بخبر) كالمتدافعين لأن أحدهما ترج والآخر تيقن؟ نقول جوابه: قد يقول الراجي إذا قوي رجاؤه سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة)[٢]!.

وهو يذهب الى كون الحادثة واحدة، وقول موسى واحد وإنما جاء القرآن بنقله بنحوين مرة لليقين ومرة للترجي فهل لنا أن نسأل الرازي: هل كان موسى في تلك اللحظة راجيا أم متيقنا؟!

ولا جواب هنا!

إن الإكثار من الكلام حول الإعجاز في الوجوه التي لا يعرف جوابها جعل البعض يشكك في أصل الإعجاز أو في ما هيته حتى قالوا بالصرفة حلا للإشكال وهروبا من الإسفاف بتكثير الوجوه المختلقة حول إعجاز القرآن

---

(١) تفسير مجمع البيان – الشيخ الطبرسي – ج ٧ – ص ٣٦٤

(٢) تفسير الرازي – الرازي – ج ٢٤ – ص ١٨١

والتي قد يكون بعضها صحيحا وبعضها غير صحيح!

نعم من خلال التدبر في هذه الآيات اظن انها لم تنزل لنقل الحادثة كما هي وبالتفصيل في كل مرة، وإنما الآيات تسرد في كل مورد من السور مقاطع من مشهد الاصطفاء لموسى والتكليم والارسال، نعم تبقى بعض الألفاظ بحاجة لتوجيه وللدلالة على ذلك سأقوم بوضع الآيات القرآنية على شكل مقاطع يوازيها ما ذكر في السور الأخرى من نفس القصة وسأترك ما ترك الله ذكره في مورد وذكره في مورد فارغا الا من التنقيط (..........) :-

مقارنة في موارد ذكر قصة إرسال موسى عليه السلام إلى آل فرعون وبني إسرائيل في سور القصص وطه والنمل :-

سورة القصص	سورة طه	سورة النمل
فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ: امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (القصص:٢٩)	إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ: امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً (طه : ١٠)	إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ: إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (النمل:٧)

فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ (القصص: من الآية٣٠)	فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ: .... يا موسى (١١)	فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ: فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (النمل-٧)
إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (القصص: من الآية٣٠)	إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٥) فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (طه:١٢-١٦).	يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (النمل:٩) ....
....	﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا	....

﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ (القصص:٣١)	مُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ (طه:١٧-٢١)	﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (النمل:١٠)
اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ (القصص:٣٢)	وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (طه:٢٢) .... لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (طه:٢٣)	إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (النمل:١١) وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ (النمل:١٢)
قَالَ: رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ	﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ	

نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ) (القصص:٣٣) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ) (القصص:٣٤) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآياتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ) (القصص:٣٥)	إِنَّهُ طَغَى ﴾ (طه:٢٤) ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ (طه:٢٥ – ٣٦)	
		فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (النمل:١٣)

وبالتالي فممكن ان القصة كانت كالتالي: -

﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾ (القصص ٢٩)

﴿ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ﴾ (القصص٢٩) (أي أحس بها) وفيها قرينة على عدم رؤيته للنار لكنه علم بها من خلال نورها من وراء الجبل ربما آو بعض آثارها.

قال لأهله: ﴿ امْكُثُوا ﴾ (القصص٢٩)

﴿ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾ (القصص٢٩)

﴿ لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ (طه١٠)

﴿ لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (القصص ٢٩).

فلما رأى موسى النار قال: وقد يكون قد قال كلامه هذا بعد ما مشى خطوات عن اهله فتيقن ورأى النار: ﴿ سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (النمل٧).

﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا ﴾ (النمل٨) (والمجيء قد يكون بلا تعلق بشيء، أي قد يكون المراد: لم يكن معه خوف أو تساؤل نفساني) وهذا ابتداءً.

فلما رأى موسى ما يوجس من أمر النار استجد عنده إحساس داخلي فقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا ﴾ (القصص ٣٠ وطه١١) (والإتيان يكون مجيئا بمتعلق: أي أتى بصحبة الخوف والتوجس والسؤال المحيّر عن تلكم النار ربما)

﴿ نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ (القصص ٣٠).

﴿ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (النمل ٨).

﴿ يَا مُوسَى ﴾ (النمل ٩).

﴿ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (النمل ٩).

﴿ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٥) فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (١٦) وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ (طه من ١٢ – ٢٠).

﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ (من طه ٣٠) (تهتز في يده قبل ان تتحول الى حية تسعى).

﴿ قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى (طه٢١) ﴾ ﴿ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ (القصص٣١) ﴾ ﴿ يَا مُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (النمل ١٠) إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (النمل١١) ﴾.

﴿ اسْلُكْ ﴾ (القصص ٣٢) السلوك هو الدخول في الأمر المهيء لذلك

مثل دخول الطريق المعبد سلوكه وادخال الخيط بالإبرة عن طريق الثقب المهيأ لها ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ (النمل١٢) ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ ﴾ (طه٢٢) (اي ادخلها في الجيب وضمها تحت ابط اليد الاخرى) ثم ﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ (القصص٣٢) (بعد اخرج يدك (جناحك) من جيبك ضمها اليك لترجع لشكلها الطبيعي، ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ (هو وقومه) إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (القصص٣٢) ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ (طه٢٤)

﴿ قَالَ: رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (٣٣) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (٣٤) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ (٣٥) ﴾ (القصص من٣٣-٣٥)

(فلما رأى موسى الاجابة السريعة من الله لمطلبه بإرسال هارون ردءا يصدقه اراد اكثر من ذلك وهو اشراكه في الرسالة فقال:

﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (٣٦) ﴾ (طه من ٢٥ -٣٦).

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (النمل ١٣)

بنو إسرائيل وموسى عليه السلام

قال تعالى:

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (يونس:٨٣).

اختلف المفسرون في ألفاظ هذه الآية، إذ أنهم افترقوا على عدة أقوال في قوله تعالى ﴿قَوْمِهِ﴾ ولمن ترجع هذه الهاء، وافترقوا على عدة أقوال في قوله تعالى: ﴿فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾ وملأ مَن هم!! قال القرطبي[١] (قوله تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾ الهاء عائدة على موسى. قال مجاهد: أي لم يؤمن منهم أحد، وإنما آمن أولاد من أرسل موسى إليهم من بني إسرائيل، لطول الزمان هلك الآباء وبقي الأبناء فآمنوا، وهذا اختيار الطبري. والذرية أعقاب الإنسان وقد تكثر. وقيل: أراد بالذرية مؤمني بني إسرائيل.... وقال ابن عباس أيضا: "من قومه" يعني من قوم فرعون، منهم مؤمن آل

(١) تفسير القرطبي – القرطبي – ج ٨ – ص ٣٦٩ – ٣٧٠

فرعون وخازن فرعون وامرأته وماشطة ابنته وامرأة خازنه. وقيل: هم أقوام آباؤهم من القبط، وأمهاتهم من بني إسرائيل فسموا ذرية كما يسمى أولاد الفرس الذين توالدوا باليمن وبلاد العرب الأبناء، لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم، قاله الفراء. وعلى هذا فالكناية في "قومه" ترجع إلى موسى للقرابة من جهة الأمهات، وإلى فرعون إذا كانوا من القبط. قوله تعالى: ﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ لأنه كان مسلطا عليهم عاتبا. ﴿وَمَلَإِهِمْ﴾ ولم يقل: وملئه، وعنه ستة أجوبة:

أحدها: أن فرعون لما كان جبارا أخبر عنه بفعل الجميع.

الثاني: أن فرعون لما ذكر علم أن معه غيره، فعاد الضمير عليه وعليهم، وهذا أحد قولي الفراء.

الثالث: أن تكون الجماعة سميت بفرعون مثل ثمود.

الرابع: أن يكون التقدير: على خوف من آل فرعون، فيكون من باب حذف المضاف مثل: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ يوسف: ٨٢، وهو القول الثاني للفرّاء. وهذا الجواب على مذهب سيبويه والخليل خطأ، لا يجوز عندهما قامت هند، وأنت تريد غلامها.

الخامس: مذهب الأخفش سعيد أن يكون الضمير يعود على الذرية، أي ملأ الذرية، وهو اختيار الطبري.

السادس: أن يكون الضمير يعود على قومه. قال النحاس: وهذا الجواب كأنه أبلغها).

وقال الطباطبائي[1] (ذكر بعض المفسرين أن الضمير في (قومه) راجع إلى فرعون، والذرية الذين آمنوا من قومه كانت أمهاتهم من بني إسرائيل وآباؤهم من القبط فتبعوا أمهاتهم في الإيمان بموسى، وقيل: الذرية بعض أولاد القبط، وقيل: أريد بها امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون، وقد ذُكرا في القرآن وجارية وامرأة هي ماشطة امرأة فرعون. وذكر آخرون أن الضمير لموسى عليه السلام والمراد بالذرية جماعة من بني إسرائيل تعلموا السحر وكانوا من أصحاب فرعون، وقيل: هم جميع بني إسرائيل وكانوا ستمائة الف نسمة سماهم ذرية لضعفهم، وقيل: ذرية آل إسرائيل ممن بعث إليهم موسى وقد هلكوا بطول العهد، وهذه الوجوه - كما ترى - لا دليل على شيء منها في الآيات من جهة اللفظ. والذي يفيده السياق وهو الظاهر من الآية أن يكون الضمير راجعا إلى موسى والمراد بالذرية من قوم موسى بعض الضعفاء من بني إسرائيل دون ملأهم الأقوياء والشرفاء، والاعتبار يساعد على ذلك فإنهم جميعا كانوا أسراء للقبط محكومين بحكمهم بأجمعهم، والعادة الجارية في أمثال هذه الموارد أن يتوسل الشرفاء والأقوياء بأي وسيلة أمكنت إلى حفظ مكانتهم الاجتماعية وجاههم القومي، ويتقربوا إلى الجبار المسيطر عليهم بإرضائه بالمال والتظاهر بالخدمة ومراءاة النصح والتجنب عما لا يرتضيه فلم يكن في وسع الملأ من بني إسرائيل أن يعلنوا موافقة موسى على بغيته، ويتظاهروا بالإيمان به).

(١) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ١٠ - ص ١١١ — ١١٢.

ومع متانة الاستدلال باللفتات الاجتماعية عند السيد الطباطبائي، إلّا أن الملفت للنظر إن أحدا لم يعتمد على القرآن في التوصل للنتيجة التي توصل اليها الطباطبائي، وهذه النتيجة موجودة من خلال التأمل في الآيات التي تخص بعثة بني إسرائيل في القرآن، إذ يقول تعالى:

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴾ (القصص:٤٨).

وهذه الآية جاءت في سياق الحوار مع بني إسرائيل إذ يقول تعالى:

﴿ وَلَوْلا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (القصص:٤٧).

فبنو إسرائيل كانوا يضمرون هذا الجواب عند الحساب، فرد الله عليهم: إنه أرسل إليهم الحق فقالوا:

﴿ لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى ﴾.

إذ كانوا يتحججون هنا بأن النبي محمد صلى الله عليه وآله لم يأت بما أتى به موسى من الآيات فرد الله عليهم بقوله:

﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴾ (القصص:٤٨).

وهنا يقول سبحانه إنكم يا بني إسرائيل تتحججون بذلك والدليل إننا

عندما أرسلنا موسى وهارون بآياتنا فإنكم قلتم بأنهما (سحران) وكفرتم بدعوقما وكذبتموهما.

وهذا يكشف عن إن موسى وهارون ذاقا الأمرّين من بني إسرائيل قبل الأذى الذي لاقَوْه من فرعون وملأه، ويكشف أيضا عن تواطيء ما، بين ملأ بني إسرائيل من جهة، وملأ فرعون من جهة أخرى على تسمية (ساحر) لموسى وهارون، وقد كان لموسى معهم حوار نقل بعضه سبحانه إذ يقول:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (الصف:٥).

وهذا الكلام لا لبس فيه وهو يكشف أن بني إسرائيل كانوا يؤذون موسى ومن قبله كانوا يقولون عليه وأخوه بأنهما (سحران)، والأكثر على قراءتها (ساحران).

وقوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلأِ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة:٢٤٦).

يثبت وجود ملأ وأبناء، وهما مجموعتان متمايزتان في بني إسرائيل. وهذه الآية وإن كانت نازلة (من بعد موسى) لكن الصفات العامة للمجتمعات لا تتغير فالملأ موجود في جميع المجتمعات بلا استثناء.

لذا فقوله تعالى:

﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (يونس:٨٣).

لذا يحتمل كثيرا في انه تعالى يقول: ما آمن لموسى إلاّ ذرية من قومه (أي قوم موسى) على خوف من فرعون وملأهم (ملأ قوم موسى) أي أنهم خافوا من فرعون من جهة وخافوا من ملأ بني إسرائيل من جهة ثانية،ولكن خوف الفتنة كان من فرعون لذا أُفرد فرعون بقوله تعالى (أن يفتنهم)، وهذا الذي حصل معهم حصل مع كل أتباع الأنبياء، وله دواعٍ اجتماعية وتجارية ومصلحية وأنانية، فأنت تجد كبار السن بشكل عام يميلون للهدوء والدعة بينما تجد الشباب يميلون للثورة والتجديد، ومن جهة أخرى، فكبار المجتمع وشخصياته المعروفة تكون غالبا من أصحاب المصالح الاقتصادية والذين لهم الكلمة الأعلى على الأرض ماديا،وهؤلاء تجدهم على طول الخط يميلون لعدم زعزعة الأنظمة التي يستفيدون في ظلها حتى لو كانت هذه الأنظمة تحارب الأنبياء! وهذا ما تكرر بالضبط مع النبي عيسى عليه السلام بعد موسى بحوالي ألف عام، إذ وقف في وجهه علماء بني إسرائيل وتجارهم من جهة والسلطة الرومانية من جهة أخرى!.

والأمر لا يحتاج لستة أقوال أو سبعة، فهذه كلها أقوال لم يستدل احد من القرآن عليها!!

هل كان موسى عليه السلام أرتّاً أو الثغاً؟!

قال تعالى في كتابه ناقلا قول موسى عليه السلام:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (٣٣) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ (القصص ٣٣–٣٤).

وقال تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (طه:٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (طه:٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (طه:٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (طه:٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي(طه:٢٩) هَارُونَ أَخِي(طه:٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (طه:٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي(طه:٣٢) ﴾.

والآيتان حار في توجيهها المفسرون، فبعضهم جمع بين الآيتين وقال انهما في مورد واحد وموقف واحد وهما تبينان الرتة او العقدة في لسان موسى عليه السلام وهو يطلب امداده بهارون حتى يفهم منه فرعون وملئه الكلام، قال الطبرسي في قوله تعالى: ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾

(أي: وأطلق عن لساني العقدة التي فيه حتى يفقهوا كلامي. وكان في لسان موسى عليه السلام رتة لا يفصح معها بالحروف شبه التمتمة)[١].

وقال الطوسي (وقال أيضا "وأخي هارون هو افصح مني لسانا" لان موسى كان في لسانه عقدة ولم يكن كذلك هارون)[٢].

وقال شبر (واحلل عقدة من لساني) حصلت من جمرة أدخلها فاه وهو طفل لما أمر فرعون بقتله لأنه حمله فأخذ لحيته فشقها فقالت آسية إنه صبي لا يميز بين الدرة والجمرة فأحضرتا لديه فأخذ الجمرة ووضعها في فمه)[٣].

وقس على ذلك باقي المفسرين.

ولكن بعض العلماء يذهبون إلى وجوب سلامة النبي والإمام من العيوب النفسية والخَلقية والخُلقية حتى يؤدي الغرض لذا نفوا أي نقص عن النبي والإمام لذا حاول في تفسير (الأمثل) عدم الدخول في إشكال وجوب كون النبي كامل الأوصاف حتى يؤدي المهمة فقال (ثم طلب موسى أن تكون له قدرة على البيان بأعلى المراتب فقال: واحلل عقدة من لساني فصحيح أن امتلاك الصدر الرحب أهم الأمور والأسس، إلا أن بلورة هذا الأساس تتم إذا وجدت القدرة على اراءته وإظهاره بصورة كاملة، ولذلك فإن موسى بعد طلب انشرح الصدر، ورفع الموانع والعقبات، طلب من الله حل العقدة من

---

(١) تفسير مجمع البيان – الشيخ الطبرسي – ج ٧ – ص ١٨

(٢) التبيان – الشيخ الطوسي – ج ٨ – ص ١٥٠

(٣) تفسير شبر – السيد عبد الله شبر – شرح ص ٣٠٧

لسانه. خاصة وأنه بين علة هذا الطلب فقال: يفقهوا قولي فهذه الجملة في الحقيقة تفسير للآية التي قبلها، ومنها يتضح أن المراد من حل عقدة اللسان لم يكن هو التلكؤ وبعض العسر في النطق الذي أصاب لسان موسى (عليه السلام) نتيجة احتراقه في مرحلة الطفولة - كما نقل ذلك بعض المفسرين عن ابن عباس - بل المراد عقد اللسان المانعة من إدراك وفهم السامع، أي أريد أتكلم بدرجة من الفصاحة والبلاغة والتعبير بحيث يدرك أي سامع مرادي من الكلام جيدا)[1].

وقد يواجه بإشكال: وهو أن موسى تربى في بيئة قبطية في قصر الحكم وهارون تربى في بيئة إسرائيلية عند أمه في وسط بني إسرائيل فموسى أولى بالفصاحة بلغة القبط وهارون أولى باللحن لكونه نشأ عبريا بخلاف موسى الذي لم يعرف انه عبري حتى جاهر بالنبوة فثقافته مصرية فرعونية فكيف يطلب المدد بهارون العبري لمواجهة القبط؟!

فإن قيل: إن موسى تغرّب عشر سنين في مدين ورجع فقد تكون لهجته تغيرت بسبب ذلك؟

قلت: هذا خلاف الملموس عند البشر فموسى عليه السلام لجأ الى مدين وهو شاب مكتمل القوى تربى منذ نعومة أظفاره على لغة القبط فمن المستبعد جدا ان ينسى لغته الأم بسبب عشر سنين.

ولا يبعد ان الخطأ في إرجاع الضمائر خلط عند المفسرين بين المقصودين

---

(١) أمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ٩ - ص ٥٤٧ — ٥٤٨.

بها فكما فهم الناس من قول موسى:

﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ (١١) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ (الشعراء:١٠ - ١٢) .

ان الخوف هنا من فرعون وملأه وهو الخوف على النفس بينما يقول الامام علي عليه السلام: (لم يوجس موسى عليه السلام خيفة على نفسه، أشفق من غلبة الجهال ودول الضلال)[1].

فبدل الخوف من الجانب السلبي الشخصي الى الجانب الايجابي الذي يحس بمعاناة ضعاف القلوب اذا تغلب الجهال بشُبههم.

وبالتالي فقد يكون فصاحة هارون التي ذكرها موسى موجهة لبني اسرائيل الذين عانى منهم الامرين فيما بعد فهارون نشأ عبريا بينما نشا موسى قبطيا يتحدث لغة البلاط فلسان هارون افصح بالعبري بالطبع فموسى قد يكون ناظرا بهذا الجانب الى الفائدة التي سيجنيها من هارون من خلال مساعدته له على بني جنسه ليتبعوه.

وحتى انطلاق اللسان بالإمكان القول بانه الانطلاق في جانب الهداية فاذا ضاق صدري تقل القوة البيانية فلا استطيع من مواصلة القوة الإقناعية.

وقد حاول آخرون ابعاد شبهة بعدم استجابة الله لدعاء موسى بطلب حل العقدة ونتيجة ذلك طلب الاستعانة بهارون فقالوا عن مقال فرعون (أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين) (وبهذا يكون قد خص نفسه

(١) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ١ - ص ٣٩

بافتخارين عظيمين - حكومة مصر، وملك النيل -، وذكر لموسى نقطتي ضعف: الفقر ولكنة اللسان. هذا في الوقت الذي لم يكن بموسى أية لكنة في اللسان، لأن الله تعالى قد استجاب دعاءه، ورفع عنه عقدة لسانه، لأنه سأل ربه عند البعثة أن: واحلل عقدة من لساني، ومن المسلم أن دعاءه قد والقرآن شاهد على ذلك أيضا.)[1]

ومن المعلوم والملموس ان النقص في اللسان يكون ظاهرا بينا خصوصا ما قيل في موسى من وجود اللثغة والتعتعة والهثهثة او الرتّة وقد عرّف الأعاريب هذه العيوب اللسانية بتعريفات قبيحة!

فاللثغة عيب باللسان يبدل المرء جراءه الحروف بأخرى، قال الطريحي (اللُثغة كغُرفة: حبسة في اللسان حتى يصير الراء غينا أو لاما والسين ثاء، ومنها الألثغ. وفي المغرب نقلا عنه الألثغ الذي يجوز لسانه من السين إلى الثاء، وقيل من الراء إلى الغين أو الياء).

والألثغ هو المتعتع[2] وكذلك المهثهث[3].

والتعتعة (أن يعيا الرجل بكلامه ويتردد من عي أو حصر. ويقال: ما الذي تعتعه؟ فتقول: العي. وبه شبه ارتطام الدابة في الرمل، قال الشاعر:

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ١٦ - ص ٧٢

(٢) تاج العروس - الزبيدي - ج ١١ - ص ٤٦

(٣) تاج العروس - الزبيدي - ج ٣ - ص ٢٨١

يتعتــــع في الخبــــار إذا عـــــلاه ويعثــــر في الطريــــق المــــستقيم)[١]

وعرفـوا الهثهثـة بأنهـا التخلـيط[٢]!!

وقال ابن منظور عن الرتة (رتـت: الرتـة، بالـضم: عجلـة في الكـلام، وقلة أناة، وقيـل: هـو أن يقلـب الـلام يـاء، وقـد رت رتـة، وهـو أرت. أبـو عمرو: الرتة ردة قبيحة في اللسان من العيب، وقيل: هي العجمة في الكلام، والحكلة فيه. ورجل أرت: بين الرتت. وفي لسان رتة. وأرتـه الله، فـرت. وفي حديث المسور: أنه رأى رجـلا أرت يـؤم النـاس، فـأخره. الأرت: الـذي في لسان عقدة وحبسة، ويعجل في كلامه، فلا يطاوعه لسانه)[٣].

فعلى ما قالوه فموسى كان يتحـدث بـسرعة لا يـبين معهـا الكـلام فـلا يطاوعه لسانه معها (اي يتفلت!) وهي ردة قبيحة في لسانه! وهو يتعتع أي أن يعيا بكلامه ويتردد مـن عـيٍّ أو حـصر. حـتى شـبّهوا صـعوبة اخـراج الكـلام للمتعتع بقولهم (وبه شبه ارتطام الدابة في الرمل)!! مع ابـدال بعـض الحـروف في نطقه فتارة ينطق الراء غينا أو لاماً! والسين ثاءً! وقيل من الراء الى الياء!

وهذا عند الناس نقص ينظرون معه الى صاحب هذه اللثغـة بـشيء مـن السخرية في بعض الأحيان، خصوصا مع القبح في الرتـة واللثغـة وهـو الـذي ادعوا وجوده في موسى عليه السلام!!

---

(١) كتاب العين – الخليل الفراهيدي – ج ١ – ص ٨٢

(٢) لسان العرب ج٢ – ص ١٩٨

(٣) لسان العرب – ابن منظور – ج ٢ – ص ٣٣ – ٣٤

ولو قال قائل ان موسى في النتيجة لم يذهب الثغاً الى فرعون إذ ان الله أجاب سؤاله بحل العقدة، وبالتالي تحققت الحكمة من إرسال رجل مكتمل الخلق لا عيب خَلقي فيه؟

قلت:

ان الله اجتباه وأرسله الى فرعون ثم طلب موسى شد الأزر بهارون وحل العقدة وليس العكس.

فهل يكلف الله الرجل برسالة سماوية وهو لا يستطيع تبليغها ام انه سبحانه يختار الأكفأ من جميع الجوانب حتى من ناحية النطق -وهي الوسيلة المعروفة والأسهل للتواصل وإيصال المراد!

والغريب من بعض المفسرين كلما وجدوا حديثاً مروياً في قصص الأنبياء وجدوا له مكانا في الاحتمالات فهذا الزمخشري وبعد ان يبين أن شعيبا عليه السلام هو خطيب الأنبياء يحتمل في قول المجرمين من الكفرة كونه الثغا! فقال ناقلا قول الكفّار لشعيب (ما نفقه كثيرا مما تقول) بعد أن جاء بجملة احتمالات ووجوه لكلامهم(وقيل كان الثغا)[(١)]

وقد سأل نبينا عليه الصلاة والسلام، الله ما سأل موسى من حل عقدة اللسان ولم يكن النبي ارتّا ولا الثغا! روي عن أسماء بنت عميس (رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإزاء بيتي وهو يقول: أشرق ثبير أشرق ثبير اللهم إني أسألك بما سألك أخي موسى أن تشرح لي صدري وأن تيسر لي

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل – الزمخشري – ج ٢ – شرح ص ٢٨٨

أمري وأن تحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي عليا أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا إنك كنت بنا بصيرا.)(١)

وقد تكون العقدة معنوية تتصل بالفقه القلبي والفهم لا بثقل اللسان والرتة وغيرها فموسى يقول ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ والفقه في القرآن مقترب بالقلب:

فالله تعالى يقول: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ ويقول ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾ و﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾ و﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾ و﴿جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ وقد تكررت الآية الأخيرة ثلاث مرات ويفيد ارتباط الفقه بالقلب لا بالعقل، والذي يحجب القلب عن الفقه هو العناد والضلال والنفس الأمّارة بالسوء، فقد يكون دعاء موسى لله بمساندة هارون لعلّة فصاحة اللسان العبري لا لرتة او لثغة في لسان موسى وغير بعيد ان يكون هارون أفصح لسانا من موسى لنكتة معينة لكن بعد الاستجابة الأولية الربانية التي سنذكرها بعد قليل، وقول موسى (... واحلل عقدة من لساني) فهذه العقدة بالذات غير ظاهر انها مادية متعلقة بآفة لسانية بل قد تكون متعلق بقلب المقابل فيطلب موسى من الله امداده بقدرة لسانية فائقة وقدرة خطابية وبيانية وبمساعدة هارون لكي يحاول فك اقفال قلوب هؤلاء القوم!

---

(١) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفي: ج١، ص٣٤٨ – ٣٤٩.

وقد يؤيد الفهم المعنوي لهذا المورد - وإن كان في اتجاه آخر- ما نقله الشيخ الصدوق في علل الشرائع عن الواعظ أبا جعفر الدامغاني في قوله تعالى ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ أن موسى كان يعني (إني أستحيي ان أكلم بلساني الذي كلمتك به غيرك، فيمنعني حيائي منك عن محاورة غيرك، فصارت هذه الحال عقدة علي لساني، فاحللها بفضلك، واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي معناه: انه سأل الله عز وجل ان يأذن له في أن يعبر عنه هارون، فلا يحتاج ان يكلم فرعون بلسان كلم الله عز وجل به.)[1]

وقد تكون القصة التي تتكلم عن الجمرة والتمرة! من مدسوسات اليهود (الاسرائيليات) وكم لها نظير خصوصا مع ورودها في التوراة المحرفة إذ أوردوا ان موسى قال للرب عند الجبل حين اصطفاه الله للرسالة (١٠ فقال موسى للرب استمع أيها السيد لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس ولا من حين كلمت عبدك. بل أنا ثقيل الفم واللسان. ١١ فقال له الرب من صنع للإنسان فما أو من يصنع أخرس أو أصم أو بصيرا أو أعمى. أما هو أنا الرب. ١٢ فالآن اذهب وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به. ١٣ فقال استمع أيها السيد. أرسل بيد من ترسل. ١٤ فحمي غضب الرب على موسى وقال أليس هارون اللاوي أخاك. أنا أعلم أنه هو يتكلم. وأيضا ها هو خارج لاستقبالك. فحينما يراك يفرح بقلبه. ١٥ فتكلمه وتضع الكلمات في فمه. وأنا أكون مع فمك ومع فمه وأعلمكما ماذا تصنعان. ١٦ وهو يكلم

(١) علل الشرائع - الشيخ الصدوق - ج ١ - ص ٦٧

الشعب عنك.)[١]

فقد يكون هذا النص مصدر ما هو موجود في كتب المسلمين من اللثغة والرتة والهثهثة...الخ!

والغريب من المفسرين - إلا من شذ - فأنهم لم يولوا لقوله تعالى: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ بعد سؤال موسى ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ اي اهتمام فنراهم لما نقل الله قول فرعون عن موسى ﴿هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ قالوا: جراء اللثغة! وممن قال ذلك:

النحاس: روى سعيد عن قتادة: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ قال: عيي. وقيل: إنما هذا للثغة التي كانت به.[٢]

الثعلبي: لعيّه ولعقدته والرتة التي في لسانه[٣].

السمعاني: قال أهل التفسير: إنما قال هذا للثغة التي كانت في لسانه، وذلك بما كان بقي في لسانه من العقدة بإلقائه الجمرة في فيه. وقال بعضهم: إنه كان بلسانه لا يمكنه تبيين الكلام غاية البيان[٤].

قال الطوسي: لا يكاد يبين - وقال الزجاج للثة كانت في لسانه. وقال قتادة: كانت في لسانه آفة - وبه قال السدي. وقيل: إنه كان احترق لسانه

(١) كتاب المقدس (العهد القديم) - الكنيسة - ص ٩٢

(٢) معاني القرآن - النحاس - ج ٦ - ص ٣٧١

(٣) تفسير الثعلبي - الثعلبي - ج ٨ - ص ٣٣٩

(٤) تفسير السمعاني - السمعاني - ج ٥ - ص ١٠٩

بالجمر الذي وضعه في فيه حين أراد أن يعتبر فرعون عقله لما لطم وجهه، وأراد أن يأخذ غير النار فضرب جبرائيل يده إلى النار، فدفع عنه القتل،[1]

الطبري ينقل معنى كلام فرعون وهو يؤيد كون فرعون يقول بوجود آفة بلسان موسى فيقول الطبري ناقلا قول فرعون (أنا خير أيها القوم، وصفتي هذه الصفة التي وصفت لكم، أم هذا الذي هو مهين لا شئ له من الملك والأموال مع العلة التي في جسده، والآفة التي بلسانه، فلا يكاد من أجلها يبين كلامه؟)[2]

وهنا مبحث آخر وهو أن الآيات في سورة القصص قد تكون قد نقلت جانبا من الحوار الذي دار بين المولى جل وعلا وبين كليمه عليه السلام فموسى عليه السلام دعى ربه في مورد سورة طه بأمور لم ترد في مورد سورة القصص، وبقرينة ان موسى لو كان يريد من سؤاله لله مؤازرة هارون ان يكمل به ما يقال من خلل النطق لما كان لقوله عليه السلام(واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي) مبرر فالمفترض ان هذه الحاجة انتفت بقبول الله سبحانه بمؤازرة هارون لموسى واشراكه في الرسالة! لكن الاحتمال قائم بان قول موسى عليه السلام بعد طلب الله منه الذهاب الى فرعون:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ (٣٣)القصص.

﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ

---

(١) تبيان – الشيخ الطوسي – ج ٩ – ص ٢٠٧ – ٢٠٨

(٢) جامع البيان – إبن جرير الطبري – ج ٢٥ – ص ١٠٤

أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ (٣٤)القصص

قال: ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ (٣٥)القصص

فبعد الإجابة السريعة الى ما اراد موسى زاد موسى بالطلب منه سبحانه فقال:

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ (٢٥) طه

﴿ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ (٢٦)طه

﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴾ (٢٧) طه

﴿ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ (٢٨) طه

﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴾ (٢٩) طه

﴿ هَارُونَ أَخِي ﴾ (٣٠) طه

﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴾ (٣١) طه

﴿ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ (٣٢) طه

﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ (٣٣) طه

﴿ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ (٣٤) طه

﴿ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ (٣٥) طه

فلم يكتف موسى بشد العضد بهارون بل طلب اشراكه في الرسالة وتوزيره ولم يكتف بوجود هارون الافصح لسانا معه ليسد الخلل بل طلب

حل العقدة اصلا حتى يتولى المهمة كلها بشراكة هارون فقال تعالى:

﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ (٣٦) طه.

فليس في آيات سورة القصص اجابة السؤال لكون النص في سورة القصص لم ينقل طلب موسى:

شرح الصدر

ولا تيسير الامر

ولا حل العقدة من اللسان

ولا جعل الوزير من الاهل وهو هارون بالتخصيص

وطلب به شد الازر واشراكه في الامر

فكل هذه الطلبات جاءت في نص سورة طه وليس في نص القصص لذا فالآيات مكملة بعضها لبعض وليس كلها تعيد ذكر الواقعة كما ظن الم.

(اليوم الآخر) و(الآخرة) و(القيامة) في القرآن

ورد مصطلح (اليوم الآخر) في ثمانية وعشرين موردا في القرآن، وورد مصطلح (الآخرة) في مئة وخمسة عشر موردا في القرآن، والمعروف من المفسرين إما عدم تطرقهم للفرق بين هذين المصطلحين لكونهم يظنون أن هذين المصطلحَين واضحان بما يكفي، أو قولهم بأن المصطلحَين يشيران إلى يوم القيامة ولكن بدون دليل سوى التبادر من المصطلح وما يفهم من السياق، والسياق مفهوم ابتداء! ولكنا سنقوم بدراسة هذين المصطلحين للبرهنة على ذلك أو خلافه.

بعض موارد (اليوم الآخر):

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة:٦٢)

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ

الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة:١٢٦).

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٧٧)

وقوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران:١١٤)

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ (التوبة:٤٥)

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ (الطلاق:٢)

والموارد جميعها تميزت بارتباط اليوم الآخر بالإيمان بالله، وجُعل ذلك ميزانا لكثير من الأمور منها:

من آمن بالله واليوم الآخر لن يضيع أجره

من آمن بالله واليوم الآخر يستحق الموعظة لكونه سيعمل بها وذلك لتكامله أخرويا

من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ليس في قلبه احترام للنبي وهو متردد في شكه

الإيمان بالله واليوم الآخر من شعار الصالحين

الإيمان بالله واليوم الآخر من صفات أهل البر

الإيمان بالله واليوم الآخر يجع صاحبه مستحقا لدعاء الأنبياء

وبالتالي فلا انفكاك بين الإيمان بالله واليوم الآخر فكل من يؤمن بالله يجب أن يؤمن باليوم الآخر والظاهر أن الارتباط تكويني. فمن يؤمن بالرب الخالق يؤمن بالرب العادل الذي يحاسب عباده الذين خلقهم على أعمالهم الحسنة والقبيحة.

موارد (الآخرة):

كقوله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة:١١٤)

وقوله تعالى:

﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ

كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (العنكبوت:٦٤)

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (آل عمران:٧٧)

وقوله تعالى:

﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (البقرة:١٣٠)

وقوله تعالى:

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ ﴾ (البقرة:٢٠٠)

وقوله تعالى:

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (البقرة:٢٠١)

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ﴾ (آل عمران:٧٧)

وقوله تعالى:

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الأِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران:٨٥)

وقوله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ (آل عمران:١٤٥)

وقوله تعالى:

﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران:١٤٨)

وقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران:١٥٢)

وقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (لأعراف:١٤٧)

وقوله تعالى:

﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (القلم:٣٣).

والملاحظ هنا:

كون الدنيا في قبال الآخرة

إن الآخرة ارتبطت بالعذاب فقط وأما عذاب الدنيا فمن نوع آخر

الآخرة ارتبطت بلقاء الله

إن الآخرة فيها جزاء حسن وجزاء غير حسن

إن الآخرة حياة كحياة الدنيا ولكنها بخصائص أخرى

من خلال خصائص اللفظين (اليوم الآخر - الآخرة) واستقراء الآيات الشريفة يظهر أن اليوم الآخر هو الفترة الممتدة من مشاهدة العالم الآخر، وذلك بعد الموت، والى مالا نهاية، وفي جزء منه ستكون الآخرة، وهي إما النار وإما الجنة، قال تعالى:

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (الأنعام:٩٣)

فاليوم أي في (يوم الموت) يحل العذاب عليهم وهو عذاب البرزخ

وسيمتد إلى الآخرة في جهنم، وهذا ما يفسره قوله تعالى:

﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (العنكبوت:٦٤)

فالخلود (وهو الحيوان هنا) إما في الجنة وإما في النار وكلاهما في الآخرة

لذا فقد ورد مصطلح (الآخرة) ومصطلح (يوم القيامة) كمصطلحين متغايرين وفي نصوص متقاربة كقوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران:٧٧)

فيوم القيامة والآخرة هما فترتان زمنيتان متغايرتان.

لذلك ارتبط (اليوم الآخر) بالإيمان بالله لكونه يمثل الإيمان بالغيب والحياة بعد الموت، وهو أقوى موازين الإيمان إلا دليل حسي عليه، وإنما يؤمن به ملازم للإيمان بالنبوات.

(الذين كفروا) و(الكافرون) و(الكافرون حقا) في القرآن

ورد مركّب (الذين كفروا) في مئة وأربعة وتسعين موردا في القرآن، وورد مصطلح (الكافرون) في مئة وتسعة وعشرين موردا، وورد مركّب (الكافرون حقا) في مورد واحد فقط.

من موارد ذكر الذين كفروا قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة:٦).

وقوله تعالى:

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة:٨٩).

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ

وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (البقرة:١٦١).

وقوله تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (آل عمران:٥٥).

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾ (آل عمران:٩٠).

من هنا يتضح إن الذين كفروا هم أناس من المشركين ومن النصارى واليهود كانوا يناصبون الإسلام العداء، وهم مجموعة متميزة بصفات تفوق غيرهم من غير المؤمنين فهم قد يكونوا مجموعة من غير المؤمنين وهم الملأ فيهم، وكذلك هم مجموعة من اليهود وهم الملأ فيهم، وهم مجموعة من النصارى وهم الملأ فيهم، فقوله تعالى:

﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (البقرة:١٠٥).

واضح في نسبة هذه الصفة إلى مجموعة من أهل الكتاب(اليهود والنصارى) والمشركين وهم أهل مكة في الأساس.

وقوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ﴾ (الحشر:٢).

واضح في كون (الذين كفروا) طائفة من اليهود في المدينة وليس كلهم.

وقوله تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (آل عمران:٥٥).

تخص الملأ المعادين لعيسى عليه السلام في زمانه من اليهود.

و(الذين كفروا) نفر معروف بالوجاهة والمال والسلطة في زمانهم، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾ (آل عمران:١٠).

﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (آل عمران:١٧٨).

وهؤلاء (الذين كفروا) كانوا يتصدون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم

بالتكذيب والجحود والجدال العقيم:

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (الأنعام:٧).

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (الأنعام:٢٥).

﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُواً ﴾ (الكهف: من الآية٥٦).

﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً ﴾ (مريم:٧٣).

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ (يس:٤٧).

﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (الاحقاف:٧).

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الانبياء:٣٠).

وأنت تجد في القرآن ان سبحانه وتعالى استعمل مركب (الذين كفروا) دائما مع المجادلين والمستهزئين والمكذبين أولي الشأن في مجابهة الأنبياء.

و(الذين كفروا) كانوا يترصدون المسلمين ويعدون لهم العدة ويمكرون طوال فترة البعثة قبل انتصار الإسلام حتى تم تنصيب أمير المؤمنين عليه السلام فقال الله فيهم:

﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (المائدة: من الآية٣).

لذا ولما كان ملأ قريش يتشاورون في ما يجابهون النبي صلى الله عليه وآله وسلم به من الأسر أو القتل أو النفي انزل الله على رسوله:

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (لأنفال:٣٠)

ولما كان إخراج النبي من مكة بسبب هؤلاء الملأ قال تعالى:

﴿ إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة:٤٠)

فـ(الذين كفروا) هم شر الخليقة عند الله لكونهم السد الذي يمنع الناس من الهداية عند مبعث كل نبي:

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنفال:٥٥).

لذا فسيكون توفيهم مختلفاً عن باقي الخلق:

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (الأنفال:٥٠).

أما (الكافرون) في القرآن فكما في :

قوله تعالى:

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (المائدة:٤٤).

وقوله تعالى:

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ ﴾ (يونس:٢).

وقوله تعالى:

﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (يوسف:٨٧).

وقوله تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٧).

فالكافرون هم طبقة ومجموعة من الناس قد أوغلوا في صفات الجحود أو الإنكار والمحاربة للإسلام وان كانت صفاتهم موجودة في جاحدي أديان ما قبل الإسلام، وهم قد وصلوا درجة التكامل في التسافل فهم لا يزدادون كفراً مثل (الذين كفروا) لكونهم قد بلغوا قمة الكفر في ذلك، وقد يكون كفرهم مستقرا لكونه عن تقليد وليس عن اجتهاد في ذلك فهم يتبعون (الذين كفروا) في ذلك.

وأما (الكافرون حقا) فكما في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً ﴾ النساء ١٥٠-١٥١

فسبحانه عبر عنهم بأنهم (يكفرون) وهو فعل مضارع يفيد الاستمرارية، فهم مستمرون وعلى الدوام بما يفيد الكفر، بل ويتبعون سبلا خبيثة في محاولة خداع الناس فيدّعون إيمانهم ببعض ما انزل ويدعون بعضا ويوهمون الناس باتباعهم، فهم (كافرون حقا) بذلك.

مفهوم (الكتاب) في القرآن

قد يفاجأ القارئ إذا تساءلنا: هل أن مصطلح (القرآن) يساوي مصطلح (الكتاب) من حيث الدلالة؟! وما الدليل لو كان الجواب بالإيجاب؟! في الحقيقة ليس هناك دليل على ذلك، بل الدليل قائم على خلافه! والملفت للانتباه أن الأحرف المقطعة في أوائل السور ارتبطت بـ(الكتاب) ولم تأت مع (القرآن) إلا مرة واحدة، وهذا من أكثر الأشياء وضوحاً في القرآن.

ومعنى الكتاب قد يفهم من خلال المصطلح القرآني وليس من خلال معاجم اللغة ويمكن أن نُجمل الفرق بين القرآن والكتاب من خلال تأملات قرآنية تبين ذلك، منها:

إن الكتاب جاء مرتبطاً بالحروف المقطعة في بداية السور غالباً وهذا لم يأت مع القرآن إلا نادراً:

كقوله تعالى:

﴿ الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة١-٢).

وقوله تعالى:

﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ (يونس-١).

وقوله تعالى:

﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (هود١).

وقوله تعالى:

﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ (يوسف-١).

وحتى قوله سبحانه:

﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴾ (الحجر-١).

فما الدليل على كون تلك الآيات هي الآيات القرآنية؟! خصوصا مع ذكر (القرآن) بعدها مباشرة، مما قد يشير إلى كون الآيات الكتابية هنا تشير إلى الآيات الآفاقية.

إن لفظة (قرآن) بهيئاتها موجودة في القرآن بما يقرب من خمسين مورداً، أمّا لفظ الكتاب بهيئاته فموجود في القرآن بما يقرب من ثلاثمائة مورد وليس هناك من قرينة تثبت أن اللفظين لهما معنى واحدا.

إن الكتاب جاء مرتبطاً بموسى ومن الواضح أن موسى لم ينزل عليه القرآن!! كقوله تعالى:

﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة:٥٣).

وقد وردت هذه الآية مكررة في القرآن لعشر مرات! و(الكتاب) هنا هو نفس(الكتاب) في كل القرآن، ومن يدّع غير ذلك فعليه إعطاء الدليل.

إن الكتاب جاء مرتبطاً بيحيى عليه السلام ومن المعروف أن يحيى عليه السلام لم ينزل عليه القرآن:

﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً ﴾ (مريم:١٢).

إن عيسى لم ينزل عليه القرآن ومع ذلك نزل عليه الكتاب في قوله تعالى:

﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ (آل عمران:٤٨).

وقوله تعالى:

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ﴾ (مريم:٣٠).

ولو كان (الكتاب) هو (القرآن) لم يصف الله اليهود والنصارى بقوله:

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:١٠١)

وقوله تعالى:

﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة:١٤٤).

وقوله تعالى عن اليهود: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة:٤٤).

وعن النصارى:

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ (البقرة: من الآية١١٣).

فهل كانت اليهود والنصارى تتلوا القرآن؟!

لو كان الكتاب هو القرآن لم يأت الكتاب والقرآن متعاطفين في القرآن فالأصل أن العطف يقتضي التغاير:

كقوله تعالى:

﴿ طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (النمل:١).

وقوله تعالى:

﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴾ (الحجر:١).

إنه سبحانه استعمل (الإتيان) غالبا مع الكتاب و(الإنزال) غالبا مع القرآن وهذا وجه للتفريق كما قال تعالى عن الكتاب:

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (البقرة:١٢١).

وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:١٤٦).

وقوله تعالى:

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ (الأنعام:٨٩).

وقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴾ (الرعد:٣٦).

وقوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ (القصص:٥٢).

أمّا استعمال الإنزال والتنزيل مع القرآن فكما في قوله تعالى:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ (البقرة: من الآية١٨٥).

وقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (المائدة:١٠١).

وقوله تعالى:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً ﴾ (الاسراء:٨٢).

وقوله تعالى:

﴿ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ (طه:٢).

وقوله تعالى:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ (الفرقان:٣٢).

وقوله تعالى:

﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (الزخرف:٣١).

وقوله تعالى:

﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الحشر:٢١).

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً ﴾ (الإنسان:٢٣).

وقد يكون استعمال التنزيل أو الإنزال مع (الكتاب) يفيد أن (الكتاب) في ذلك المقطع له نفس معنى (القرآن) في حالة اقترانه بأحد هذين اللفظين كما قال تعالى:

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ (البقرة:١٧٦).

وقوله تعالى:

﴿ نَـزَّلَ عَلَيْـكَ الْكِتَـابَ بِـالْحَقِّ مُـصَدِّقاً لِمَـا بَـيْنَ يَدَيْـهِ وَأَنْـزَلَ التَّـوْرَاةَ وَالأِنْجِيلَ ﴾ (آل عمران:٣).

وقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ (النساء:١٣٦).

وقوله تعالى:

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ (النساء: من الآية١٤٠).

فالكتاب هنا وبقرينة الإنزال أو التنزيل هو القرآن نفسه بقرينة السياق واستعمال الألفاظ التي ترد مع القرآن وكونه متناولا بيد غير المعصومين.

إنه سبحانه ذكر أنه (يسّر القرآن للذكر) ولم يذكر ذلك مع (الكتاب)كما في قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ (القمر:١٧).

وقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ (القمر:٢٢).

وقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ (القمر:٣٢).

وقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ (القمر:٤٠).

ذكر سبحانه (التبيين) مع (الكتاب) ولم يأت به (مع القرآن) إلّا نادراً كما في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ ﴾ (البقرة:١٥٩).

وقوله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل:٨٩).

وقوله تعالى:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (المائدة:١٥).

وقوله تعالى:

﴿ طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (النمل:١).

إن (الكتاب) ارتبط بالحساب في يوم القيامة ولم يرتبط (القرآن)

بذلك، كما في قوله تعالى:

﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾ (الكهف:٤٩).

وقوله تعالى:

﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾ (الاسراء:١٤).

وقوله تعالى:

﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ (الاسراء:٧١).

وقوله تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيَهْ ﴾ (الحاقة:١٩).

وقوله تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴾ (الحاقة:٢٥).

وقوله تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ (الانشقاق:٧).

وقوله تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ (الانشقاق:١٠).

ارتبط (الكتاب) بـ(التسطير) ولم يأت ذلك مع القرآن:

كقوله تعالى:

﴿ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً ﴾ (الاسراء:٥٨).

وقوله تعالى:

﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفاً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً ﴾ (الأحزاب:٦).

وقوله تعالى:

﴿ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴾ (الطور:٢)

إن الصفات التي جاءت مع القرآن هي:

الحكيم - ذو الذكر- مبين - مجيد - كريم - عربي

والصفات التي جاءت مع الكتاب هي:

هدى للمتقين - تماما - لا ريب فيه - مستبين - حفيظ- مكنون

وهذا فرق واضح في الأعم.

وصفة الاكتنان جاءت مع الكتاب فقط بما يفيد الفرق القويّ بينه وبين القرآن.

جاء(ذلك) و(تلك) مع الكتاب وخصوصا في موارد الأحرف المقطعة

و(هذا) مع القرآن كما في قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة:٢).

وقوله تعالى:

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (يوسف:١).

وقوله تعالى:

﴿المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (الرعد:١).

وقوله تعالى:

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ (يونس:١).

وقوله تعالى:

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ (الأنعام: من الآية١٩).

وقوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (يونس: من الآية٣٧).

وقوله تعالى:

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ (يوسف: من الآية٣).

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (الاسراء: من الآية٩).

وقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً ﴾ (الاسراء:٤١).

وهنا سيكون الجانب الأهم فإذا لم يكن الكتاب هو القرآن فماذا يكون؟!

إن الذي يتأمل لفظ الكتاب والمجموعات البشرية التي ارتبطت به من الممكن أن يقسمها إلى المجموعات التالية:

الأنبياء أو مجموعة (الذين آتاهم الله الكتاب):

مثل النبي يحيى: في قوله تعالى:

﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً ﴾ (مريم:١٢).

وعيسى: في قوله تعالى:

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ﴾ (مريم:٣٠).

وموسى: وقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرائيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (الجاثية:١٦).

وقوله تعالى:

﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلّاً فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ

مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ (الأنعام٨٥-٨٩).

وقوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (البقرة:١٢١).

وقوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:١٤٦).

وقوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام:٢٠).

وقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (الأنعام: من الآية١١٤).

وقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴾

(الرعد:٣٦).

وقوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ (القصص:٥٢).

وقوله تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٧).

وهذه المجموعة ممدوحة في القرآن، لكونهم من كمّل المؤمنين.

ومجموعة (الذين أوتوا الكتاب) بالمبني للمجهول:

مثل قوله تعالى:

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ) (البقرة:١٠١).

وقوله تعالى:

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ(١٤٤) وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة ١٤٤–١٤٥)

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ

مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ (آل عمران: من الآية١٩).

وهذه المجموعة مذمومة في القرآن إلا إذا وردت مع نبيها فهي غير مشمولة بهذا الحكم، والذي يظهر من التأمل في خصوصياتهم وكونهم قد (أوتوا الكتاب) أنهم قد يكونوا علماء اليهود والنصارى دون عامتهم وهذا فرقهم عن (أهل الكتاب) وهم قد يكونوا عامتهم، ومما يشهد لذلك، قوله تعالى:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (آل عمران:١٩).

فهؤلاء الذي (أوتوا الكتاب) قد جاءهم العلم وهم ليسوا كل الناس.

وقوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران:١٨٧).

فهؤلاء (الذين أوتوا الكتاب) عندهم علم لم يبينوه للناس بل نبذوه وراء ظهورهم.

ومجموعة (أهل الكتاب): كقوله تعالى:

﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (البقرة: من الآية١٠٥).

وقوله تعالى:

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾ (البقرة: من الآية١٠٩).

وقوله تعالى:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران:٧١).

وقوله تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴾ (آل عمران:٩٨).

وقوله تعالى:

﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ (النساء: من الآية١٥٣).

وقوله تعالى:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْأِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران:٦٥).

وهم مذمومون في القرآن بالمجموع إلّا ما استثني.

ومجموعة (الذين أوتوا نصيباً من الكتاب) كما في:

قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (آل عمران:٢٣).

وقوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ (النساء:٤٤).

وقوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴾ (النساء:٥٠).

وهم مذمومون في القرآن.

من كل ذلك نستنتج أن (الكتاب) خلق موجود، وظيفته حفظ كل ما يكون في الكون مما جرى به قلم القدرة، وفيه ما سيكون من علم الله المتصل بالخلق، وفيه مفاتيح ما نحسبها غوامض ومعجزات، ومنه استمد الأنبياء علمهم بالتصرف في الطبيعة ومخالفة المجبول عليه من تصرف الأمور كإحياء الموتى مثلا وتكليم الجوامد والطيور وعلم بعض الغيب.

والظاهر أن مفتاح البحث يكمن في أربع آيات وهي:

الأولى: قوله تعالى:

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً ﴾ (الإسراء:٤).

الثانية: قوله تعالى:

﴿ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً ﴾ (الإسراء:٥٨).

الثالثة: قوله تعالى:

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ (الرعد:٤٣).

الرابعة: قوله تعالى:

﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ (النمل:٤٠).

إذ تكشف الآيتان الأولى والثانية إن كتاب الله هو كتاب التكوين وصفحة القضاء الإلهي الذي يحوي كل العلوم المعروفة وغير المعروفة والمستقبل.

ويثبت ذلك الآية الثالثة الرابعة إذ أنها تقسم الناس إلى من عنده علم من الكتاب والذي عنده علم الكتاب.

فإذا كان (الذي عنده علم من الكتاب) قد قام بما أمره به سليمان تجاه بلقيس وهو ما قصه القرآن بقوله:

﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) ﴾ (النمل ٣٨-٤٠).

فما الذي من الممكن ان يقوم به (الذي عنده علم الكتاب) كله مما قصه علينا تعالى في قوله:

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ (الرعد:٤٣).

والذي جاء في الروايات المتواترة أنه أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام[1].

فلو حسبنا المسافة من القدس مقر النبي سليمان عليه السلام إلى سبأ (مملكة سبأ ما بين ٨٠٠ الى ١١٥ ق.م) مقر حكم الملكة بلقيس لكان التالي:

قال تعالى ناقلا قول النبي سليمان:

﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ

(١) تفسير العياشي-ج٢-ص٢٢٠/ تفسير القمي-ج ١-ص٣٦٧/ تفسير الثعلبي-ج٥-ص٣٠٣ / شواهد التنزيل -الحاكم الحسكاني-ج١-ص٤٠٠/ أحكام القرآن - ابن العربي-ج٣-ص٨٦ / زاد المسير-ابن الجوزي-ج٤ص٢٥٢

عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ النمل ٣٨–٤٠.

فقول (الذي عنده علم من الكتاب) والذي ورد انه وصيه بالنبوة (آصف بن برخيا): أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ.

يفيد ان لديه القدرة الهائلة على اختزال الزمن والمسافة ليقوم بجلب هذا العرش من هذه المسافة البعيدة وبوقت لا يبلغ طرف العين، ولما كانت عملية النظر تتم بسرعة الضوء أي ان الجسم يرى بعد فتح العين بمسافة ارتداد الضوء من الجسم الى العين فيتم رؤيته، فلو كانت المسافة بين عرش سليمان ومكان هذا المتكلم ٣ متر فسينتج:

السرعة المطلوب استخراجها (س) = المسافة / الزمن

يتم تحويل الكيلو متر الى متر = ٣٠٠،٠٠٠ × ١٠٠٠ = ٣٠٠،٠٠٠،٠٠٠ م/ث

س= ٣متر/ ٣٠٠،٠٠٠،٠٠٠ = ١/١٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ثانية!!

أي أن سرعة هذا الرجل أقل من جزء من مئة مليون جزء من الثانية وهي سرعة رهيبة لا يمكن تصورها. فكيف وهو قد قال لسليمان (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) أي قبل هذا الوقت!!

ولكون آصف بن برخيا كان يعلم حرفا واحدا من الاسم الأعظم كما جاء في الحديث (عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن اسم الله الأعظم على اثنين وسبعين حرفا وإنما كان عند أصف كاتب سليمان وكان يوحى إليه حرف واحد ألف أو واو فتكلم فانخرقت له الأرض حتى التفت فتناول السرير، وإن عندنا من الاسم أحدا وسبعين حرفا وحرف عند الله في غيبه)[١].

على هذا فلو قلنا:

١/١٠٠،٠٠٠،٠٠٠ × ٧١ = ١/٧،١٠٠،٠٠٠،٠٠٠ من الثانية!! ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم!

وهنا ممكن أن نفهم قوله تعالى:

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) ﴾ الواقعة ٧٧-٧٩.

فالقرآن موجود في الكتاب المكنون عند الله، ولكن يمكن للمطهرين فقط أن يمسّوه، والمطهّرون هم من نزلت فيهم الآية الكريمة:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (الأحزاب: من الآية٣٣).

---

(١) بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ٢٣٠

مثلّث (الذين آمنوا) و(المؤمنون) و(المؤمنون حقا) في القرآن

جاء لفظ (المؤمنون) و(المؤمنات) مجتمعين أو كل على حدة في مئتي مورد في القرآن، وجاء مركّب (المؤمنون حقّاً) في موردين، بينما جاء مركّب (الذين آمنوا) في مئتين وثمانية وخمسين موردا، والذي يظهر للمتدبّر أن هناك اختلافاً واضحاً في استعمال هذه المركبات والمصطلحات في القرآن، فمثلاً لو أتينا على (المؤمنون) و(المؤمنات) فسنرى:

قوله تعالى:

﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (آل عمران:١٢٢).

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ﴾ (النور:٦٢) وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾ (الأحزاب:٢٢) وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات:١٥).

وقوله تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) ..... وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩)﴾ (المؤمنون١-٩).

إذ ارتبط (المؤمنون) بالتوكل في عدة مواضع من القرآن، يقول الله عن المتوكلين عليه:

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق:٣).

فما ظنك بمن يجتبيه الله ويكون هو المدافع عنه؟!

ونحن نرى من صفات المؤمنين في الآيات سابقة الذكر:

إنهم متوكلون على الله

إنهم يرجعون في كل شانهم للنبي ويستأذنونه بذلك

إنهم يزدادون إيماناً وتصديقاً في المواقف الصعبة

من علامات تصديقهم أنهم يبذلون أموالهم وأنفسهم ولا يرتابون من

بعد ذلك:

خاشعون في صلاتهم

مُعرِضون عن اللغو

للزكاة فاعلون

حافظون لفروجهم

يراعون العهد والأمانة

يحافظون على الصلاة

وجزاء هؤلاء أنهم:

﴿ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (المؤمنون:١١).

فهم يخلدون في جنة الفردوس

أما (الذين آمنوا):

فهم ممدوحون بشروط وقيود معينة، مع كثرة ورود النصيحة والتوجيه دون المدح المطلق في القرآن وهذا ما يميزهم عن (المؤمنين) كما في قوله تعالى:

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة:٢٥).

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة:٦٢).

وقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة:١٠٤).

وقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة:١٥٣).

وقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (البقرة:١٧٢).

وقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة:١٧٨).

وقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ

مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٨٣).

وقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (البقرة:٢٠٨).

وقوله تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة:٢١٤).

وقوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة:٢٤٩).

وقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (البقرة:٢٥٤).

وقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (البقرة:٢٦٧).

وقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾ (البقرة:٢٨٢).

وقوله تعالى:

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ (البلد:١٧).

وقوله تعالى:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (العصر:٣).

وأنت تلاحظ في هذه الآيات:

إن الذين آمنوا اشترط عليهم العمل بالصالحات مرة

والتواصي بالصبر والمرحمة مرة أخرى

والتواصي بالحق والصبر مرة ثالثة

الاستعانة بالصبر والصلاة مرة رابعة

والإيمان بالله واليوم الآخر مرة خامسة

اشترط لمدحهم أن يكونوا مع الأنبياء وليس لوحدهم مما يجعلك تعلم بأنهم قد لا يستقيمون بعدهم.

أكثر التوجيهات الأخلاقية والأحكام الشرعية والاستعتاب فهو موجه اليهم دون سواهم

من هنا فـ(الذين آمنوا) قد يكونون أناس لم يبلغوا درجة (المؤمنون) لذا احتاجوا لكل هذه النصائح والتعليمات.

أما المؤمنون حقّاً فقد ورد ذكرهم في القرآن لمرتين:

في قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ(٤) ﴾ (**الأنفال ٢-٤**).

وقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (**الأنفال:٧٤**).

من هنا فصفات هؤلاء المؤمنون حقّاً هي:

توجل قلوبهم عند ذكر الله

يزدادون إيماناً عند تلاوة آياته عليهم

متوكلون بشكل مطلق عليه

دخل الإيمان في قلوبهم في سبيل الله

هاجروا في سبيل الله

جاهدوا في سبيل الله

آووا في سبيل الله نصروا النبي والمهاجرين في سبيل الله

وهذه صفات يجمعها قولنا أنهم مخلصون ومؤمنون وهو أرقى درجات الإيمان.

لذا فما قيل من كون (المراد بالذين كفروا مشركوا مكة الذين أبدوا الكفر أول مرة بالدعوة الحقة، وبالذين آمنوا المؤمنون بها أول مرة)[1] لا يستقيم وفق المنهج القرآني، لكون الذين آمنوا أول مرة فيهم كبار المؤمنين كأبي ذر وسلمان وحذيفة وسيدهم علي بن أبي طالب عليه السلام وخديجة وأبو طالب وغيرهم فكيف يكون كل هذا العتاب موجه إليهم؟! خصوصاً مع كون (الذين كفروا) ليسوا مشركين فقط، أو من الذين كفروا في بداية الدعوة فقط، إذ أن فيهم اليهود والنصارى ممن كانوا قبل الإسلام، كما قال تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (آل عمران:٥٥).

---

(١) الميزان - الطباطبائي - ج ١٦ - ص ١٠٧

على أن هناك تفريقا بين (الذين آمنوا) من جهة و(الذين آمنوا معه) من جهة أخرى، إذ أن المجموعة الثانية مع النبي صلى الله عليه وآله، وبالتالي تكون قريبة من مجموعة (المؤمنون) كما قال تعالى:

وقوله تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة:٢١٤).

وقوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة:٢٤٩).

وقوله تعالى:

﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (التوبة:٨٨).

وقوله تعالى:

﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ

غَلِيظٍ ﴾ (هود:٥٨).

وقوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ (هود:٦٦).

وقوله تعالى:

﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ (هود:٩٤).

وقوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلالٍ ﴾ (غافر:٢٥).

وهذا تجده جلياً في قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (التحريم:٨).

ففرق سبحانه بين ابتداء الكلام فقال (الذين آمنوا) وبين المجموعة التي وردت بعد ذلك فقال (الذين آمنوا معه)، والمجموعة الأخيرة قد تكون مستثناة من (الذين آمنوا) وقريب من منزلة (المؤمنين).

لذا فنقرأ قوله تعالى:

﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ﴾.

ففرق تعالى بين المصطلحين فالنبي عليه الصلاة والسلام يؤمن للمؤمنين لكنه رحمة للذين آمنوا!

وما هذا الاختلاف الا لاختلاف مستوياهم وبالتالي درجة استفادهم من وجود النبي عليه وآله الصلاة والسلام بينهم.

(المتَّقون) في القرآن

(المتّقون) هو مجموعة مؤمنة لها صفات محددة تشترك ببعضها مع غيرها وتفترق بأخرى، ومن صفاهم في القرآن:

في قوله تعالى:

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٧٧).

وقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (الزمر:٣٣).

وقوله تعالى:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ

لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة:١٨٠).

وقوله تعالى:

﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة:٢٤١).

وقوله تعالى:

﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران:٧٦).

وهذه الصفات القرآنية هي:

الإيمان بالله

الإيمان باليوم الآخر

الإيمان بالملائكة

الإيمان بالكتاب

الإيمان بالأنبياء

الصدقة على ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين

تحرير العبيد

إقامة الصلاة

إيتاء الزكاة

الوفاء بالعهد

الصبر في البأساء والضراء

الصبر في الحرب

قول الصدق

الوصية حين الموت

دفع حقوق الناس

وجزاء من يفعل هذه الأمور هو:

تقبّل أعمالهم: كما قال تعالى:

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة:٢٧).

أن يحبهم الله: كما قال تعالى:

﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة:٧).

ومن مميزاتهم: أنهم يحشرون الى الله في موكب مهيب يوم القيامة:

كما قال تعالى:

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً ﴾ (مريم:٨٥).

وأنهم: لا يصيبهم ما يصيب الناس في يوم القيامة من رعب يجعلهم لا يعرفون أحباءهم: كما قال تعالى:

﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف:٦٧).

ويكونون في مرتبة ومكان رفيع المقام:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ (الدخان:٥١).

وأن الله ناصرهم ومجتبيهم: كما قال تعالى:

﴿ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (الجاثية:١٩).

وسيمتعهم الله في جنات ظليلة وفيها عيون كثيرة وأنهار ونعيم دائم:

كما قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ ﴾ (المرسلات:٤١).

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ (القمر:٥٤).

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴾ (الطور:١٧).

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ (الذريات:١٥).

لذا كان حقا على الله أن يرغّب العاملين بمقام هؤلاء الرفيع في الجنة بقوله:

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفّىً وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ (محمد:١٥).

المتنازعون في سورة الكهف والبعد العقائدي

قال تعالى في قصة أصحاب الكهف:

﴿ إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً ﴾ (الكهف: من الآية٢١).

ذهب أغلب المفسرين الى كون الطرفين المتنازعين في هذه الآية طرف مؤمن وهو الأول، وطرف كافر وهو الثاني، وخالف الطبري فقال إن الأمر يحتمل الخيارين، أي أنه من الممكن أن يكون أصحاب الرأي ببناء البنيان مؤمنين أو كافرين، وأصحاب الرأي ببناء المسجد كذلك، والحقيقة أني لم أجد عند المفسرين من تكلم عن قرينة قرآنية واضحة في المقام تؤدي الى ترجيح القول بإيمان أو كفر أحد الطرفين، مما يوحي بأنهم اعتمدوا في ذلك على ما ورد من روايات وأغلبها عن اليهود الذين (أسلموا)! نعم للسيد الطباطبائي رأي سنورده في نهاية البحث، والجدير بالملاحظة إن الطرفين المذكورين في هذه

الآية لم يختلفا في أصل البناء على قبور أصحاب الكهف، إنما كان الرأي: أنبني بنياناً أم مسجداً؟ نعم ناقش البعض بكون الآية تخص ديناً منسوخاً وشريعةً غابرة، وليس من دليل على أنها تشملنا، خصوصاً مع وجود روايات دالة على عدم جواز بناء المساجد في شريعتنا، منها ما رواه الشيخ الحر العاملي في كتابه الجليل وسائل الشيعة وقد أورد العاملي الروايتين تحت عنوان (باب كراهة بناء المساجد عند القبور) فقال: (محمد بن علي بن الحسين بإسناده عن سماعة بن مهران أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن زيارة القبور وبناء المساجد فيها، فقال: أما زيارة القبور فلا بأس بها، ولا يبنى عندها مساجد.

ورواه الكليني عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة قال: سألته، وذكر مثله. قال: وقال النبي صلى الله عليه وآله: لا تتّخذوا قبري قبلة ولا مسجدا، فإن الله لعن اليهود حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[1].

وقد ورد عند أهل السنة مثل ذلك إذ أورد البخاري في صحيحه تحت عنوان (باب: هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد لقول النبي صلى الله عليه – وآله – وسلم لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وما يكره من الصلاة في القبور ورأي عمر أنس بن مالك يصلى عند قبر فقال القبر القبر ولم يأمره بالإعادة) فقال (حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا

(١) وسائل الشيعة- الحر العاملي – ج ٢ – ص ٨٨٧ – ٨٨٨

يحيى عن هشام قال أخبرني أبي عن عائشة إن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا ذلك للنبي صلى الله عليه - وآله - وسلم فقال إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تيك الصور فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة) [١].

وأورد في باب الجنائز عن عائشة إن النبي قال في مرضه الذي مات فيه (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مسجدا) [٢].

وفي الحقيقة فهناك موضوعان في هذه الأحاديث:

الموضوع الاول: وهو دلالة الأحاديث:

فأما الحديثين اللذين أوردهما العاملي فالذي قد يظهر منهما أن الكراهة التي قصدها كراهة التحريم لا كراهة التنزيه، لكون موضوع الحديثين واحد ولكون اللعن متجه الى من يفعل ذلك، واللعن هو الطرد من رحمة الله ومن الواضح إنه لا يمكن أن نقول على من يخالف الأَولى بأنه ملعون مع عدم وجود القرينة الصارفة عن الحرمة! ولكن بعض الفقهاء لما رأوا أن التحريم لا يتلائم مع إجماع الطائفة على البناء على القبور بلا اختلاف عندهم ذهبوا على القول بالكراهة، كما قال النراقي[٣] (والنهي فيهما وإن كان حقيقة في التحريم إلا أنه يحمل فيهما على الكراهة لئلا يلزم استعمال اللفظ في

---

(١) صحيح البخاري - البخاري - ج ١ - ص ١١٠ - ١١١

(٢) صحيح البخاري - البخاري - ج ٢ - ص ٩٠ - ٩١

(٣) مستند الشيعة - المحقق النراقي - ج ٤ - ص ٤٣٦

معنييه.... مضافاً إلى عدم قول بالحرمة هنا قطعاً. وبه يُدفع دلالة النهي عن جعل القبر مسجداً عليها أيضا مع إمكان حمله على جعله محل السجدة للقبور).

وقول الشيخ الحائري[1] (وعن البعض تقوية الحرمة.... وتقييد بعض الصحاح النافية للبأس عن الصلاة بين القبور بما إذا لم يكن إليها، وفيه إنه إخراج للفرد الغالب كما لا يخفى، فالأَولى الحمل على الكراهة لمكان بعض الصحاح النافية للبأس عن الصلاة بين القبور مطلقاً، بقي هنا إشكال وهو أن النهى عن الصلاة إلى القبور سواء حملناه على التحريم أم على الكراهة ينافي الأخبار المستفيضة الآمرة بالصلاة خلف قبور الأئمة عليهم السلام....) الخ وهو واضح في كون الأخبار تحتمل الحرمة لولا وجود الأخبار المعارضة لها لذا حملت على الكراهة لهذا السبب فقط!.

وقال الشهيد الأول (روى الصدوق عن سماعة، إنه سأله (عليه السلام) عن زيارة القبور وبناء المساجد فيها، قال: (زيارة القبور لا بأس بها، ولا يبنى عندها مساجد). قال الصدوق: وقال النبي (صلى الله عليه وآله): (لا تتخذوا قبري قبلة، ولا مسجدا، فان الله تعالى لعن اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). قلت: هذه الأخبار رواها الصدوق والشيخان وجماعة المتأخرين في كتبهم، ولم يستثنوا قبراً، ولا ريب أن الإمامية مطبقة على مخالفة قضيتين من هذه: إحداهما البناء، والأخرى الصلاة، وتانك ما في المشاهد

(١) كتاب الصلاة – شيخ عبد الكريم الحائري – ص ١١٠

المقدسة. فيمكن القدح في هذه الأخبار لأنها آحاد، وبعضها ضعيف الإسناد، وقد عارضها أخبار أشهر منها، وقال ابن الجنيد: لا بأس بالبناء عليه، وضرب الفسطاط يصونه ومن يزوره. أو تخصص هذه العمومات بإجماعهم في عهود كانت الأئمة ظاهرة فيهم وبعدهم من غير نكير، وبالأخبار الدالة على تعظيم قبورهم وعمارتها وأفضلية الصلاة عندها، وهي كثيرة منها.....الخ)[(١)]

فالشهيد الأول هنا يتكلم عن مخالفة الاحاديث ثم يقول (أحدهما البناء) والحديثان لا يتكلمان عن مطلق البناء بل يتكلمان عن اتخاذ المساجد وهذا أخصُّ من المدَّعى! ثم إنه على هذا البناء الخاطيء تصور أنها معارضة لأحاديث أخرى، بينما الذي يتمعن في الروايات التي قيل بمخالفتها لا يجد فيها شيئاً من ذلك، فالأحاديث التي ساقها تتكلم عن البناء أو الصلاة عند القبور وقد أورد جملة منها فقال (منها: ما رواه الشيخ في التهذيب عن عامر البناني، عن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه، عن النبي (صلى الله عليه وآله)، انه قال لعلي (عليه السلام): (يا أبا الحسن ان الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعا من بقاع الجنة، وعرصة من عرصاتها. وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه، وصفوة من عباده تحن إليكم، وتحتمل المذلة والأذى فيكم، فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها، تقربا منهم إلى الله، ومودة منهم لرسوله، أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي، والواردون حوضي، وهم زواريغدا في

(١) ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة - الشهيد الأول - ج ٢ - ص ٣٧ - ٣٩

الجنة. يا علي، من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنها أعان سليمان على بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدل ثواب سبعين حجة بعد حجة الإسلام، وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه، فأبشر وبشر أوليائك ومحبيك من النعيم وقرة العين بما لا عين رأت، ولا إذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ولكن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم بزيارتكم كما تعير الزانية بزناها، أولئك شرار أمتي لا تنالهم شفاعتي ولا يردون حوضي). وقد روى كثير من أهل الحديث، وذكر تعيير الحثالة الحافظ ابن عساكر من علماء العامة. قال المفيد رحمه الله: وقد روي أنه لا بأس بالصلاة إلى قبله فيها قبر إمام، ويصلي الزائر مما يلي رأس الامام، وهو أفضل. وقال الشيخ: وقد روي جواز الصلاة إلى قبور الأئمة (عليهم السلام)، خاصة في النوافل. قلت: الذي رواه في التهذيب باسناده إلى محمد بن عبد الله الحميري، قال: كتبت إلى الفقيه أسأله عن الرجل يزور قبور الأئمة، هل يجوز أن يسجد على القبر أم لا؟ وهل يجوز للمصلي أن يقوم وراء القبر ويجعله قبلة؟ فأجاب: (أما السجود على القبر فلا يجوز في نافلة، ولا فريضة، ولا زيارة، ولكن يضع خده الأيمن على القبر. وأما الصلاة فإنها خلفه، ولا يجوز أن يصلي بين يديه، لأن الأمام لا يتقدم، ويصلى عن يمينه وشماله). وقد روى المفيد عن ابن قولويه، بسنده إلى ابن أبي عمير، عمن روى عن الباقر (عليه السلام): (ان الصلاة الفريضة عند قبر الحسين تعدل عمرة). وبسنده إلى أبي علي الحراني، عن الصادق (عليه السلام): (من أتاه وزاره، وصلى عنده

ركعتين أو أربع ركعات، كتبت له حجة وعمرة). قال وكذلك لكل من أتى قبر إمام مفترض الطاعة، قال: (نعم). وبسنده إلى شعيب العقرقوفي، عن الصادق (عليه السلام): (ما صلى عنده أحد صلاة إلا قبلها الله منه، ولا دعا عنده أحد دعوة إلا استجيبت له عاجلة وآجلة). والأخبار في ذلك كثيرة، ومع ذلك فقبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) مبني عليه في أكثر الأعصار، ولم ينقل عن أحد من السلف إنكاره بل جعلوه أنسب لتعظيمه. وأما اتخاذ القبور مسجدا، فقد قيل هو لمن يصلّي فيه جماعة، أما فُرادى فلا).

ولا أعلم هذا (القيل) ما مستنده بعد وضوح كلمة (المسجد)؟!

وأنت ترى أن هذه عمدة الأخبار التي تصوروا أنها معارضة للحديثين سالفي الذكر، ولا معارضة هناك فيها، فهي لا تتكلم عن بناء المساجد على قبور أهل البيت لذا لا نجد مسجداً بُني على قبور أهل البيت عليهم السلام.

وليس بعيداً عن هذا الكلام ما سطره الفاضل الهندي في كتابه الكبير (كشف اللثام)[1] والشيخ يوسف البحراني في (الحدائق الناضرة)[2].

ومن لم يجد مجالاً لإسقاط روايات النهي عن بناء المساجد على القبور بدعوى المعارضة – مثل الميرزا القمُّي – قام بتأويلها تأويلاً بعيداً فقال (أما ما رواه الصدوق في العلل في الحسن لإبراهيم بن هاشم، عن زرارة، عن الباقر عليه السلام قال، قلت له: الصلاة بين القبور، قال: " بين خللها، ولا

---

(١) كشف اللثام (ط.ج) – الفاضل الهندي – ج ٣ – ص ٣٠٠ – ٣٠٣

(٢) الحدائق الناضرة – المحقق البحراني – ج ٤ – ص ١٣٩ – ١٤١

تتخذوا شيئا منها قبلة، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن ذلك وقال: لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجدا، فإن الله لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ". وروى في الفقيه كلامه صلى الله عليه وآله مرسلا، إلا أنه قال: " لعن اليهود لأنهم اتخذوا " الحديث، فنحملها على المنع من جعلها كالكعبة يصلى إليها من كل جانب.) (١).

وهذه التأويلات موجودة عند أهل السنة، قال السيوطي في تنوير الحوالك (عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم اللهم لا تجعل قبري وثناً، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، قال بن عبد البر: قيل معناه النهي عن السجود على قبور الأنبياء وقيل النهي عن اتخاذها قبلة يصلَّى إليها)(٢).

ولا أعلم كيف يؤول قوله (لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجداً)؟! فإن كان اتخاذها قبلة تعني أن يصلي اليها من جميع الجهات فما معنى قوله (ولا مسجدا)؟!!

نعم يمكن حمل المسجد هنا على كونه يُصلَّى عليه، أي فوقه وذلك يلزم أن يكون النبي صلى الله عليه وآله قد لَفَظَها على وزن (مَفْعَل) لا على وزن (مَفْعِل) فالفرق بين (المَسْجَد) الذي يُسجد عليه و(المَسْجِد) الذي يُسجد فيه واضح.

(١) غنائم الأيام - الميرزا القمي - ج ٢ - ص ٢٢١

(٢) تنوير الحوالك - جلال الدين السيوطي - ص ١٨٩

نقل ابن منظور قول سيبويه (وأما المَسْجِد فإنهم جعلوه اسماً للبيت ولم يأت على فعل يفعل كما قال في المُدُق إنه اسم للجلمود، يعني أنه ليس على الفعل، ولو كان على الفعل لقيل مِدَق لأنه آلة، والآلات تجئ على مِفْعَل كمِخْرَز ومِكْنَس ومِكْسَح)[١].

ونقل ابن منظور تفريق ابن الاعرابي بين المسجِد والمسجَد فقال (مَسْجَد، بفتح الجيم، محراب البيوت، ومصلّى الجماعات مَسْجِد، بكسر الجيم)[٢].

ومع اهمية التفريق بين (المَسْجِد) وال (المَسْجَد) وعند البحث في مئات المصادر فإني لم أظفر بمن فرق بين المصطلحين عند مناقشته حديث اتخاذ الارض مسجدا وطهورا الا عند الرازي المفسر إذ انه اكتفى بنقل الأقوال المتضاربة فيها فقال (ختلفوا في المساجد على وجوه أحدها: وهو قول الأكثرين: أنها المواضع التي بنيت للصلاة وذكر الله ويدخل فيها الكنائس والبيع ومساجد المسلمين، وذلك أن أهل الكتاب يشركون في صلاتهم في البيع والكنائس، فأمر الله المسلمين بالإخلاص والتوحيد.

وثانيها: قال الحسن: أراد بالمساجد البقاع كلها قال عليه الصلاة والسلام: " جعلت لي الأرض مسجدا " كأنه تعالى قال: الأرض كلها مخلوقة لله تعالى فلا تسجدوا عليها لغير خالقها.

(١) لسان العرب – ابن منظور – ج ٣ – ص ٢٠٤

(٢) لسان العرب – ابن منظور – ج ٣ – ص ٢٠٤

وثالثها: روي عن الحسن أيضا أنه قال: المساجد هي الصلوات فالمساجد على هذا القول جمع مَسْجَد بفتح الجيم والمَسْجَد على هذا القول مصدر بمعنى السجود.

ورابعها: قال سعيد بن جبير: المساجد الأعضاء التي يسجد العبد عليها وهي سبعة القدمان والركبتان واليدان والوجه، وهذا القول اختيار ابن الأنباري، قال: لأن هذه الأعضاء هي التي يقع السجود عليها وهي مخلوقة لله تعالى، فلا ينبغي أن يسجد العاقل عليها لغير الله تعالى، وعلى هذا القول معنى المساجد مواضع السجود من الجسد واحدها مسجَد بفتح الجيم.

وخامسها: قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: يريد بالمساجد مكة بجميع ما فيها من المساجد، وذلك لأن مكة قبلة الدنيا وكل أحد يسجد إليها، قال الواحدي: وواحد المساجد على الأقوال كلها مسجَد بفتح الجيم إلا على قول من يقول: إنها المواضع التي بنيت للصلاة فإن واحدها بكسر الجيم لأن المواضع والمصادر كلها من هذا الباب بفتح العين إلا في أحرف معدودة وهي: المسجِد والمطلع والمنسِك والمسكِن والمنبِت والمفرِق والمسقِط والمجزِر والمحشِر والمشرِق والمغرِب، وقد جاء في بعضها الفتح وهو المنسَك والمسكَن والمفرَق والمطلَع، وهو جائز في كلها وإن لم يسمع.)[1]

لذا قال النبي صلى الله عليه وآله فيما رواه عنه أمير المؤمنين عليه السلام (أُعطيت ثلاثا لم يُعطَهنّ نبي قبلي، نُصرت بالرعب، وأُحلت لي

(١) تفسير الرازي - الرازي - ج ٣٠ - ص ١٦٢ - ١٦٣

الغنائم، وجُعلت لي الأرض مَسجَداً وترابها طَهورا) [(١)] إذ لا يمكن ان يكون قد لفظها (مَسجِدا) لوضوح كونها لا تصبح كذلك الا بوقف صريح بينما هو يتكلم هنا عن جواز السجود على الأرض، بل كونه أحد موارد الحصر في ما يجب أن يُسجد عليه. وأنى لأحد اليوم التأكد بضرس قاطع على كون النبي صلى الله عليه وآله قد لفظها (مَسْجَدا) في قوله الشريف: (لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجدا)!

لكن الذي لم ينتبه له الجميع ممن راجعت أقوالهم هو انه لا معارضة أصلاً بين احاديث النهي عن بناء المساجد على القبور وبين بناء أبنية على القبور وهو ما استفدناه من قول الطرفين في سورة الكهف فالآية فرّقت بين من يقول:

﴿ قَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ﴾ (الكهف: من الآية٢١).

وبين من قال:

﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً ﴾ (الكهف: من الآية٢١).

فالعبرة بالفرق بين البناء والمسجد، وبمعونة اللعن الموجه لليهود والنصارى يترجح ان الذين اتخذوا المسجد من المنحرفين وليس من المؤمنين! وهذا خلاف الذي يذهب اليه أغلب المفسرين، والذين أرادوا بناء البنيان هم أهل الاستقامة لكون النبي صلى الله عليه وآله لعن الطرف الثاني صريحاً

(١) دعائم الإسلام – القاضي النعمان المغربي – ج ١ – ص ١٢٠ – ١٢١

وبالتالي لا يتوجه لوم لمن بنى بناء على قبر ولم يبن مسجداً عليه.لذا فلا معارضة بين الأحاديث إذا قُوِّمت بهذا التقويم، وبالتالي لا إسقاط لأحاديث لها دلالة قرآنية تتسق معها بلا اختلاف.

الموضوع الثاني:

إن الذي يحدث الآن من صراع طائفي وتأجيج لحقد تكفيري ضد الشيعة في العالم بأنهم قبوريون وأن النبي صلى الله عليه وآله نهى عن بناء المساجد على القبور وهم يبنون، وتكفيرهم واجب لهذا العمل وما تلازمه من شركيات، لا يصبح له أي مجال إذ أن الشيعة لا تبني المساجد على قبور الأئمة أصلاً والأئمة نهوا عن ذلك كما أوردنا أحاديثهم، فهي تبني أبنية ومشاهد لم يقم احد بتوقيفها مساجد حتى يشملهم اللعن المتوجه لمن فعل هذا الفعل، وبهذا لا تعارض بين ما ذكره علماؤنا وادّى بهم الى رفع الحرمة الظاهرة في معاني الأحاديث، فلما كانت الحرمة متّجهة لمن بنى المساجد وكانت الإباحة بل الاستحباب ببناء البنيان على القبور صار هذا بحكم القولين اللذين لا تناقض بينهما، فأين التعارض! وهذا مما نشترك فيه مع أهل السنة يقول المليباري في كتاب الوقف (ومن الصرائح قوله: جعلت هذا المكان مسجدا فيصير به مسجدا، وإن لم يقل لله، ولا أتى بشئ مما مر: لان المسجد لا يكون إلا وقفا... ولا يثبت حكم المسجد من صحة الاعتكاف وحرمة المكث للجنب لما أضيف من الأرض الموقوفة حوله إذا احتيج إلى توسعته على ما أفتى به شيخنا ابن زياد وغيره. وعلم مما مر أن الوقف لا يصح إلا بلفظ، ولا

يأتي فيه خلاف المعاطاة. فلو بنى بناء علي هيئة مسجد وأذن في إقامة الصلاة فيه: لم يخرج بذلك عن ملكه)[١].

وهذا موضع وفاق بين المسلمين إذ يقول السيد روح الله الخميني رحمه الله (لابد في وقف المسجد من قصد عنوان المسجدية، فلو وقف مكاناً على صلاة المصلين وعبادة المسلمين صحَّ لكن لم يصر به مسجداً ما لم يكن المقصود عنوانه، والظاهر كفاية قوله: جعلته مسجداً وإن لم يذكر ما يدل على وقفه وحبسه، والأحوط أن يقول: وقفته مسجداً أو على أن يكون مسجداً)[٢].

ويقول السيد الخوئي رحمه الله (إذا لاحظ الواقف منفعة خاصة مثل الصلاة أو الذكر أو الدعاء أو نحوها من أنحاء العبادة فقال: وقفت هذا المكان على المصلين أو الذاكرين أو الداعين أو نحو ذلك لم يصر مسجداً ولم تجرِ عليه أحكام المسجد وإنما يصير وقفا على الصلاة أو غيرها مما لاحظه الواقف ويكون من القسم الأول الذي له موقوف عليه وهو الذي لاحظ الواقف فيه المنفعة)[٣].

ويقول السيد السيستاني حفظه الله (إذا وقف مكاناً على المسلمين لينتفعوا منه ببعض ما ينتفعون به في المساجد أو بجميعها من الصلاة والذكر والدعاء والتدريس وغير ذلك لم يصر مسجداً ولم تجرِ عليه أحكام المساجد من حرمة التنجيس ونحوها، وإنما يصير وقفا على الصلاة وغيرها مما لاحظه

---

(١) فتح المعين – المليباري الهندي – ج ٣ – ص ١٩٠ – ١٩١

(٢) تحرير الوسيلة – السيد الخميني – ج ٢ – ص ٦٢ – ٦٣

(٣) منهاج الصالحين – السيد الخوئي – ج ٢ – ص ٢٣١

الواقف من المنافع)[1].

إذن فالمكان لا يصبح مسجداً الا بوقف لفظي، أما كون البناء له مآذن او قبة فلا عبرة بالشكل، أرأيت ان بنى احدهم بيتا له وجعل له قبة أيصبح مسجداً لكونه يشبه المسجد؟! اذن فالشيعة لها مراقد واضرحة ومشاهد، وتجد بجانبها مساجد وليس فوقها أصلاً.

وبمراجعة تاريخ بناء المرقد العلوي الشريف على سبيل المثال يتضح أنه لم يُوقَف مسجداً بل عبارة عن هو بناء مشهد يشير الى أهمية صاحب القبر الشريف، ولانتفاع الزوار من خدمات ذلك البناء إذ أن العمارات التي انشئت على الضريح كانت خمس:

١ - عمارة هارون الرشيد الخليفة العباسي بنى الرشيد على الضريح المقدس سنة ١٧٠ هـ قبة وجعل لها أربعة أبواب وهي من طين أحمر وطرح على رأسها حبرة خضراء، وأما نفس الضريح الطاهر فإنه بناه بحجارة بيضاء ووضع عليه قنديلا من الفيروز المرصع بالجواهر اليتيمة.

٢ - عمارة محمد بن زيد المعروف بالداعي المتوفى عام ٢٨٧ هـ ٩٠٠ م بنى محمد بن زيد الداعي على القبر الشريف قبة وحائطا فيه سبعون طاقا، وقد ذكر هذه العمارة ابن أبي الحديد في شرحه ج ٢ ص ٤٥ - ٤٦ ولكنه اقتصر على ذكر القبة فقط. وقد طرأت على هذه العمارة عمارة الريس الجليل عمر بن يحيى القائم بالكوفة فإنه عمر مرقد جده من خالص ماله. وكان يحيى هذا

---

(١) منهاج الصالحين - السيد السيستاني - ج ٢ - ص ٣٨٨

من أصحاب الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قتل سنة ٢٥٠ هـ وحمل رأسه في قوصرة إلى المستعين العباسي وقد ذكر عمارة ابن الداعي الإمام الصادق عليه السلام قبل وقوعها إذ قال " زار الإمام الصادق جده أمير المؤمنين في النجف فقال عليه السلام لا تذهب الليالي والأيام حتى يبعث الله رجلا ممتحنا في نفسه في القتل يبني عليه حصنا فيه سبعون طاقا " اه.

٣ – عمارة عضد الدولة البويهي هي العمارة الثالثة وقد بناها السلطان عضد الدولة فناخسرو بن الحسن بن بويه القمي وكانت عمارته تعد من أجل العمارات ومن أحسن ما توصل إليه الفن المعماري في ذلك الوقت وأنها أنشئت سنة ٣٣٨ هـ وقد بقيت قائمة إلى سنة ٧٥٣ هـ وقد صرف عضد الدولة البويهي على هذه العمارة أموالا كثيرة وستر حيطانها بخشب الساج المنقوش وعين لها أوقافا لإدارتها، وقد وأصل إصلاح هذه العمارة سائر الملوك والوزراء من البويهيين والحمدانيين وبعض العباسيين الذين تشيعوا كالمستنصر العباسي وأولاد وأحفاد جنكيز خان وغيرهم، وجميع هؤلاء قد تبرعوا بسخاء مفرط للعمارة نفسها سواء كان بجلب الأحجار الكريمة أو الآثاث النفيسة أو إجراء إصلاحات فنية في الروضة الحيدرية المطهرة مما جعل العمارة آية في الإبداع ومعجزة ذلك القرن كما أنبأتنا الكتب التأريخية القديمة.

٤ – العمارة الرابعة بعد احتراق العمارة الثالثة وما اختلف فيها من الأخبار بعد احتراق العمارة الثالثة سنة ٧٥٣ هـ ١٣٥٢م أنشئت العمارة الرابعة في عام ٧٦٠ هـ ١٣٥٨م ولم يذكر مؤرخو القرن الثامن للهجرة اسم صاحبها

ولم ينسبوها إلى أحد - إلا أن بعض المتأخرين يرتأي أنها من آثار السلطان أويس بن الشيخ حسن الجلائري مستشهداً على ذلك بالخدمات الكثيرة التي أسداها إلى أهل البيت عليهم السلام وما قاله السماوي في أرجوزته:

فقام في بناء ذاك الدائر ... أويس بن حسن الجلائري
واعتاض من أخشابه الرخاما ... هياكلا منحوتة ضخاما
مرصوفة على اعتدال سمت ... في حسن شكل وبديع نحت
رأيت منها قطعا رواقي ... في جوف سرداب من الرواق
وتم في خمس سنين تهيئه ... في سنة الستين والسبع مئة

وأدخل الشاه عباس الأول إصلاحات كبيرة على هذه العمارة يوم زار النجف سنة ١٠٣٢ - ١٦٢٢ م فإنه عمر الروضة المطهَّرة والقبَّة والصحن الحيدري.

٥ - عمارة الشاه صفي حفيد الشاه عباس الأول في عام ١٠٤٧هـ ١٦٣٧ م بدأ الشاه صفي حفيد الشاه عباس الأول ببناء العمارة الحاضرة بعد أن شاهد تضعضعاً في القبة المنوَّرة، وضيّق ساحة الصحن الشريف، فأمر الشاه المذكور بهدم بعض جوانب الصحن الشريف وتوسيعه وتوسيع ساحة الحرم العلوي المطهر. والذي تصدَّى لهذه الخدمة وزيره ميرزا تقي المازندراني بأمر من الشاه واستمر العمل ثلاث سنين وصرف لها أموالاً طائلة وجلب أمهر المعمارين والمهندسين مما جعلها بديعة الشكل، مُتقنة الصُنع، وأوجد فيها معرفة أوقات الزوال وعدم اختلافه صيفاً وشتاءً وما تقف عنده أساتذة الفن

من تحكيم بزوغ الشمس في الضريح المقدس، وما التزم بها من المقابلة والمجانسات الفنية وسيأتي وصف الروضة المطهرة في فصل خاص)[(١)].

وكل هذه العمارات لم يوقفها أحد مساجد او غير مساجد، بل كانت احتراماً وإجلالاً لهذه البقعة الشريفة ولتوفير المكان المناسب للزوار لتأدية الزيارة ولكي يلجأ لها الزوار من الحر والبرد وغيرها.

والآن نرجع الى الآية القرآنية فقوله تعالى:

﴿ إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً ﴾ (الكهف: من الآية٢١).

لا يدل على أكثر من أن هناك طرفان يتنازعان، الطرف الأول يريد بناء بنيان يشير الى أهمية هذا الموقع لكن الموقع على أهميته فهو مجهول التفاصيل ويبدو منه أن هؤلاء لم يتم لديهم فهم ما حصل، ولم يستوعبوه فيظهر منهم الاحتياط في التصرف وأيكال علمه الى الله وهو من صفات الراسخين في العلم كما قال تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (آل عمران:٧).

فالراسخون في العلم يسلّمون لله حتى إن لم يعلموا ما الذي حصل

(١) مدينة النجف ـ محمد علي جعفر التميمي ـ ص ١٩٩ – ٢٠٧.

بالتفصيل اذا آمنوا بأنه من الله. يقول أمير المؤمنين عليه السلام (واعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما. وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا.)[1]

وروى الشيخ الصفار عن زرارة بن حمران (كان يجالسنا رجل من أصحابنا فلم يكن يسمع بحديث الا قال: سلِّموا حتى لُقِّب، فكان كلما جاء قالوا: قد جاء سلِّم، فدخل حمران وزرارة على أبي جعفر عليه السلام فقال: إن رجلاً من أصحابنا إذا سمع شيئا من أحاديثكم قالوا: سلِّموا، حتى لُقِّب، وكان إذا جاء قالوا: جاء سلِّم، فقال أبو جعفر عليه السلام: قد أفلح المسلمون إن المسلمين هم النجباء)[2].

أمّا الطرف الثاني فهم الذي يظهر أنهم شملهم لعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد) ولنعلم أن اصحاب الكهف كانوا إما قبل ولادة المسيح عليه السلام كما هو مفاد إحدى الروايات، وإما بعده كما هو مفاد غيرها (وهو المرجّح) وبالتالي فالعصر الذي كانوا فيه هو بعد الميلاد أي ابتداءاً من القرن الميلادي الأول، ولما كان لبثهم في الكهف كما ذكر القرآن:

---

(١) نهج البلاغة – خطب الإمام علي عليه السلام – ج ١ – ص ١٦٢

(٢) بصائر الدرجات – محمد بن الحسن الصفار – ص ٥٤٣

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً ﴾ (الكهف:٢٥).

فخروجهم من الكهف يكون في نهاية القرن الثالث أو بداية القرن الرابع على أقل تقدير، إن لم يكن أبعد بما لا يتعدى نسبة خطأ ثلاثة قرون إذ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بُعث في العام الميلادي ٦١٠ للميلاد ومن هنا فبلاد الروم المشرقية - وهي الأناضول والشام ومصر - تعيش زمن الدولة الرومانية المسيحية وليست الوثنية بعدما أعلن (قسطنطين) إن الدين الرسمي للدولة هو الدين المسيحي، لذا فلا يوجد في هذه الفترة الا جيوب صغيرة للوثنية، فليس هناك كفار بل هناك نصارى بعضهم على الحق وبعضهم ليس عليه، كما هو حال كل دين بعد وفاة نبيه،لذا فقول المفسرين واختيارهم بين الطرفين بأن هذا الطرف مؤمن والطرف الثاني كافر مما لا دليل عليه إطلاقاً، لكنه اعتقاد خاطيء عند الرعيل الأول من المفسرين جرّاء روايات أجمع العلماء على ضعفها، إذ أن المشهور أن عامة روايات قصص الأنبياء لا تثبت بطرق معتبرة، وهذا القول الناتج من روايات ضعيفة ترسَّخ الى أن وصل الى المتأخرين وصار لا يقبل التأويل!!.

وأقوى ما يستدل به المستدل هو رأي الطباطبائي في تفسيره إذ يقول[(١)] (وقوله: ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً ﴾ (الكهف: من الآية٢١) " هؤلاء القائلون هم الموحدون ومن الشاهد عليه التعبير عما اتخذوه بالمسجد دون المعبد فإن المسجد في عرف القرآن هو المحل المتخذ لذكر

(١) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ١٣ - ص ٢٦٧

الله والسجود له قال تعالى: ﴿ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ ﴾ الحج: ٤٠).

وهذا المعنى غير راجح، فالطرف الأول لو كان متيقناً من تفسير ما حدث وهو أمر خارج عن العادة فقد يكونوا هم من يطلبون بناء المسجد باعتقاد أنه أمر راجح، فالأمر يدور بين طرفين متشابهين بالعقيدة لا بين كفار ومؤمنين، ثم إن الطرف الأول لم يُرد بناء معبد حتى تكون القرينة بالمقابلة بين المعبد والمسجد، إضافة لكون المسجد في القرآن مصطلح لغوي لا علاقة له بمضمون استعماله وذلك كقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادَاً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (التوبة:١٠٧).

فهنا أتى ذكر المسجد بكونه ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله، إذن فكلمة مسجد بنفسها لا تدل على كون من يتخذه من المستقيمين. نعم قد يكون في قوله تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا ﴾ (الكهف:٢١).

هذا القول منه تعالى قد يشير الى ما أفادته بعض الروايات من كون أهل الكهف قد خرجوا في زمان كان فيه النصارى قد اختلفوا في مسالة البعث والنشور وبالتالي نعلم بهذا إن الطرفين من النصارى وأحدهم مستقيم والآخر منحرف. والله اعلم.

(المجرمون) في القرآن الكريم

جاء لفظ (مجرم) بهيئاته المختلفة في واحد وخمسين مورداً في القرآن، منها: في مورد واحد جاء مفردا معرّفاً، كما في قوله تعالى:

﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴾ (المعارج:١١).

في مورد واحد جاء مفرداً نكره، كما في قوله تعالى:

﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى ﴾ (طه:٧٤).

في الموارد الباقية جاء اللفظ مجموعاً جمعاً مذكراً كما في قوله تعالى:

﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (لأنفال:٨).

وقوله تعالى:

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (يونس:١٧).

وقوله تعالى:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً أَوْ نَهَاراً مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (يونس:٥٠).

وقوله تعالى:

﴿ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (يونس:٨٢).

وقوله تعالى:

﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفاً ﴾ (الكهف:٥٣).

وقوله تعالى:

﴿ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴾ (الشعراء:٩٩).

وقوله تعالى:

﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (القصص:٧٨).

ولهذه المجموعة المميزة صفات عامة يشترك أفرادها بها منها:

إنهم يأتون مُبلسين يوم القيامة:

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (الروم:١٢).

إنهم يطلبون الرجوع ليؤمنوا كما في قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا

فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ (السجدة:١٢).

إنهم يُخَاطَبون من دون الجموع بالامتياز والتجمع لوحدهم:

﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ (يس:٥٩).

﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً ﴾ (مريم:٨٦).

إنهم معروفون بسيماهم فيميزون عن باقي مجموعات الكفار بعلامات:

كما في قوله تعالى:

﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ (الرحمن:٤١).

وقوله تعالى:

﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ (ابراهيم:٤٩).

وقوله تعالى:

﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً ﴾ (طه:١٠٢).

إنهم سيخلدون في جهنم:

﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ (الزخرف:٧٤).

إنهم مكذبون بالنبوات.

﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأنعام:١٤٧).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف:٤٠).

ومن هؤلاء المكذبين قوم لوط الذين قال الله فيهم:

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف: ٨٤).

وكذلك عاد التي قال الله فيها بعد إنزال العذاب عليهم بالعارض:

﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأحقاف:٢٥).

ولما كان عاد وقوم لوط على طرق القوافل قال تعالى:

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (النمل:٦٩).

لذا فهم يستغربون من كون كتاب الأعمال لا يغادر شيئا من أعمالهم:

﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾ (الكهف:٤٩).

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً ﴾ (الفرقان:٣١).

وحتى يكون حجة عليهم افهمهم الله الحق فنبذوه وأنكروه:

﴿ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الشعراء:٢٠٠).

وأعرضوا عن آياته تعالى:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾ (السجدة:٢٢).

وكذبوا بلوازمها:

﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ (الرحمن:٤٣).

لذا فالمجرمون على هذا هم كل منكر في الحقيقة غير مؤمن في الداخل أي إن الإجرام لا يشمل الذين قال الله فيهم:

﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (النمل:١٤).

فسماهم مفسدين ولم يقل: مجرمين، لكونهم استيقنوا بها في داخلهم وجحدوها باللسان ظلماً وعلوّاً، أما المجرمون فهم منكرون مكذبون مع قيام الحجة وليسوا جاحدين للنبوات.

من هنا فلو كان تعالى يقول:

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً ﴾ (الفرقان:٣١).

فمن هو المجرم الذي كان في زمان النبي صلى الله عليه وآله؟!

هل هو الذي قالت عنه الآية:

﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤) ﴾ المعارج ١١-١٤.

نعم بالتأكيد!! وقد ذكرته الروايات الواردة عن أهل البيت باسمه!!

﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ﴾

مَن سيُلقي مَن...في جهنم؟!

قال تعالى: في سورة (ق):

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ(٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴾ (قّ:٢٠ – ٢٦).

ورد في المأثور عن أهل البيت ان قوله تعالى (ألقيا) وقوله تعالى (فألقياه) إشارة الى النبي محمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام فهما يومئذ موكلان بالنار يلقيان فيها كلّ كفّار عنيد، فهنا مبحثان:

إثبات أن الملقيين هما النبي وعلي عليهما الصلاة والسلام

لماذا اختص إلقائهما بالكَفّار المعاند دون غيره؟!

الملقيان هما النبي وعلي عليهما الصلاة والسلام:

جاء في مأثور المسلمين أن الملقيين هما النبي عليه الصلاة والسلام وعلي عليه السلام كما ذكر ذلك:

القمّي في تفسيره فقال: حدثنا أبو القاسم الحسيني قال حدثنا فرات بن إبراهيم قال حدثنا محمد بن أحمد بن حسان قال حدثنا محمد بن مروان عن عبيد بن يحيى عن محمد بن الحسين ابن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب عليه وعليهم السلام في قوله ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله تبارك وتعالى إذا جمع الناس يوم القيامة في صعيد واحد كنت انا وأنت يومئذ عن يمين العرش، ثم يقول الله تبارك وتعالى لي ولك قوما فألقيا من أبغضكما وكذبكما في النار[1].

وقال القمّي: حدثني أبي عن عبد الله بن المغيرة الخزاز عن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إذا سألتم الله فاسألوه الوسيلة فسألنا النبي صلى الله عليه وآله عن الوسيلة، فقال هي درجتي في الجنة وهي الف مرقاة جوهرة إلى مرقاة زبرجد إلى مرقاة لؤلؤ إلى مرقاة ذهب إلى مرقاة فضة، فيؤتى بها يوم القيامة حتى تنصب مع درجة النبيين وهي في درجة النبيين كالقمر بين الكواكب، فلا يبقى يومئذ نبي ولا شهيد ولا صديق إلا قال طوبى لمن كانت هذه درجته، فينادي المنادي

---

(١) تفسير القمي – علي بن إبراهيم القمي – ج ٢ – ص ٣٢٤

ويسمع النداء جميع النبيين والصديقين والشهداء والمؤمنين " هذه درجة محمد صلى الله عليه وآله " فقال لرسول الله: فأقبل يومئذ متزرا بريطة من نور على رأسي تاج الملك، مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله المفلحون هم الفائزون بالله، وإذا مررنا بالنبيين قالوا: هذان ملكان مقربان وإذا مررنا بالملائكة قالوا هذان ملكان لم نعرفهما ولم نرهما أو قال هذان نبيان مرسلان حتى أعلو الدرجة وعلي يتبعني، حتى إذا صرت في أعلى الدرجة منها وعلي أسفل مني وبيده لوائي فلا يبقى يومئذ نبي ولا مؤمن إلا رفعوا رؤوسهم إلي يقولون: طوبى لهذين العبدين ما أكرمهما على الله فينادي المنادي يسمع النبيين وجميع الخلائق: هذا حبيبي محمد وهذا وليي علي بن أبي طالب طوبى لمن أحبه وويل لمن أبغضه وكذب عليه. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي فلا يبقى يومئذ في مشهد القيامة أحد يحبك إلا استروح إلى هذا الكلام وابيض وجهه وفرح قلبه ولا يبقى أحد ممن عاداك ونصب لك حربا أو جحد لك حقا إلا اسود وجهه واضطربت قدماه، فبينا أنا كذلك إذا بملكين قد أقبلا إلي اما أحدهما فرضوان خازن الجنة، واما الآخر فمالك خازن النار فيدنو إلي رضوان ويسلم علي ويقول: السلام عليك يا رسول الله؟ فأرد عليه السلام فأقول: أيها الملك الطيب الريح الحسن الوجه الكريم على ربه من أنت؟ فيقول: أنا رضوان خازن الجنة امرني ربي ان آتيك بمفاتيح الجنة فخذها يا محمد! فأقول قد قبلت ذلك من ربي فله الحمد على ما أنعم به علي، إدفعها إلى أخي علي بن أبي طالب، فيدفعها إلى علي ويرجع

رضوان. ثم بدنو مالك خازن النار فيسلم علي ويقول: السلام عليك يا حبيب الله! فأقول له: عليك السلام أيها الملك ما أنكر رؤيتك وأقبح وجهك من أنت؟ فيقول: أنا مالك خازن النار أمرني ربي أن آتيك بمفاتيح النار، فأقول: قد قبلت ذلك من ربي فله الحمد على ما أنعم به علي وفضلني به إدفعها إلى أخي علي ابن أبي طالب، فيدفعها إليه، ثم يرجع مالك فيقبل علي عليه السلام ومعه مفاتيح الجنة ومقاليد النار حتى يقف على شفير جهنم ويأخذ زمامها بيده وقد علا زفيرها واشتد حرها وكثر شررها، فتنادي جهنم يا علي! جِزني قد أطفأ نورك لهبي، فيقول لها علي عليه السلام قرّي يا جهنم ذري هذا وليي وخذي هذا عدوي، فلجهنم يومئذ أشد مطاوعة لعلي من غلام أحدكم لصاحبه، فان شاء يذهب به يمنة وإن شاء يذهب به يسرة، ولجهنم يومئذ أشد مطاوعة لعلي فيما يأمرها به من جميع الخلائق، وذلك أن عليا عليه السلام يومئذ قسيم الجنة والنار[١].

وورى فرات الكوفي في تفسيره: حدثني الحسن بن علي بن بزيع والحسين بن سعيد قالا: حدثنا إسماعيل بن إسحاق قال: حدثنا يحيى بن سالم الفراء عن فطر عن موسى بن طريف: عن عباية بن ربعي في قوله تعالى: (القيا في جهنم كل كفار عنيد) فقال: النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي بن أبي طالب عليه السلام [٢].

(١) تفسير القمي - علي بن إبراهيم القمي - ج ٢ - ص ٣٢٤ - ٣٢٦

(٢) تفسير فرات الكوفي - فرات بن إبراهيم الكوفي - ص ٤٣٦

وروى الصفار في بصائره فقال: حدثنا أحمد بن محمد وعبد الله عامر عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمر الجعفي قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول فضل أمير المؤمنين ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله اخذ به وما نهى عنه انتهى عنه جرى له من الفضل ما جرى لمحمد صلى الله عليه وآله ولمحمد الفضل على جميع من خلق الله المتعقب عليه في شئ من أحكامه كالمتعقب على الله وعلى رسوله الراد عليه في صغيرة أو كبيرة على حد الشرك بالله كان أمير المؤمنين باب الله الذي لا يؤتي الا منه وسبيله الذي من سلك بغيره هلك وكذلك جرى على الأئمة الهدى واحدا بعد واحد جعلهم الله أركان الأرض ان تميد باهلها والحجة البالغة من فوق الأرض ومن تحت الثرى وقال عليه السلام كان أمير المؤمنين كثيرا ما يقول انا قسيم الله بين الجنة والنار...الى آخر الحديث(١)

وروى الصدوق في علل الشرائع: حدثنا محمد بن الحسن رضي الله عنه قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار قال حدثنا محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن موسى بن سعدان عن عبد الله بن القاسم الحضرمي، عن سماعة بن مهران قال: قال أبو عبد الله عليه السلام إذا كان يوم القيامة وضع منبر يراه جميع الخلائق يقف عليه رجل يقوم ملك عن يمينه وملك عن يساره فينادي الذي عن يمينه يقول: يا معشر الخلائق هذا علي بن أبي طالب صاحب الجنة يدخل الجنة من شاء، وينادي الذي عن يساره يا معشر الخلائق

---

(١) بصائر الدرجات ـ محمد بن الحسن الصفار ـ ص ٢٢٠ ـ ٢٢١

هذا علي بن أبي طالب صاحب النار يدخلها من شاء.(١)

وفي هذا المعنى روايات عديدة

وروى اهل السنة الحديث بألفاظ منها:

ما رواه الحسكاني في شواهد التنزيل: حدثنا شريك بن عبد الله قال: كنت عند الأعمش وهو عليل، فدخل عليه أبو حنيفة وابن شبرمة وابن أبي ليلى فقالوا له: يا أبا محمد إنك في آخر يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، وقد كنت تحدث في علي بن أبي طالب بأحاديث فتب إلى الله منها!! فقال: أسندوني أسندوني. فأسند، فقال: حدثنا أبو المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى لي ولعلي. ألقيا في النار من أبغضكما وأدخلا الجنة من أحبكما، فذلك قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ فقال أبو حنيفة للقوم: قوموا بنا لا يجيء بشيء أشدَّ من هذا.(٢)

وروى البخاري في صحيحه عن ابي هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام (في حديث الحوض) قال:

بينا انا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم فقلت أين قال إلى النار والله قلت وما شأهم قال إهم ارتدوا بعدك على ادبارهم القهقري ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم

(١) علل الشرائع - الشيخ الصدوق - ج ١ - ص ١٦٤

(٢) شواهد التنزيل - الحاكم الحسكاني - ج ٢ - ص ٢٦٢

فقال هلم قلت أين قال إلى النار والله قلت ما شأنهم قال إنهم ارتدوا بعدك على ادبارهم القهقري فلا أراه يخلص منهم الا مثل همل النعم [(١)]

والرجل الذي يخرج من بين النبي وبينهم هو علي عليه السلام وقد اخفوا اسمه كالعادة وقد جاء بلفظ (رجل) منكّراً في حديث عائشة في البخاري اذ تقول: لما ثقل النبي صلى الله عليه – وآله – وسلم واشتد وجعه استأذن أزواجه ان يمرض في بيتي فأذن له فخرج بين رجلين تخط رجلاه الأرض وكان بين العباس ورجل آخر قال عبيد الله بن عبد الله فذكرت ذلك لابن عباس ما قالت عائشة فقال لي وهل تدرى من (الرجل) الذي لم تسمِّ عائشة؟ قلت: لا، قال: هو علي بن أبي طالب[(٢)]!.

فأبهمت ايم الرجل الآخر ولم تسمّه! وقد كشف عنه شارح الحديث ابن حجر فقال ((قوله قال هو علي بن أبي طالب) زاد الإسماعيلي من رواية عبد الرزاق عن معمر ولكن عائشة لا تطيب نفسا له بخير ولابن إسحاق في المغازي عن الزهري ولكنها لا تقدر على أن تذكره بخير ولم يقف الكرماني على هذه الزيادة فعبر عنها بعبارة شنيعة وفي هذا رد على من تنطع فقال لا يجوز أن يظن ذلك بعائشة ورد على من زعم أنها أبهمت الثاني لكونه لم يتعين في جميع المسافة إذ كان تارة يتوكأ على الفضل وتارة على أسامة وتارة على عليّ وفي جميع ذلك الرجل الآخر هو العباس واختص بذلك إكراما له وهذا

---

(١) صحيح البخاري – البخاري – ج ٧ – ص ٢٠٨ – ٢٠٩

(٢) صحيح البخاري – البخاري – ج ١ – ص ١٦١ – ١٦٢

توهم ممن قاله والواقع خلافه لأن بن عباس في جميع الروايات الصحيحة جازم بأن المبهم عليّ فهو المعتمد والله أعلم)(١).

فلما كانت نفوسهم لا تطيب بذكر علي اهموه في الروايات(٢)!

فعلي يبهم حتى لا تذكر كفضيلة ومنقبة له كما زعموا ولم يدروا ان عليا هو من يعطي المنقبة اسمها وليست هي التي تزينه!

وورى المعنى ابن مخلط القرطبي في كتابه (ما روي في الحوض والكوثر) فقال:

قال ابن أبي عاصم: حدثنا إسماعيل بن موسى، ثنا سعيد بن خثيم الهلالي، عن الوليد بن مسار الهمداني، عن علي بن أبي طلحة مولى بني أمية، قال: حج معاوية بن أبي سفيان وحج معه معاوية بن خديج، فمر في مسجد الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - والحسن بن علي جالس، فدعاه، فقال له الحسن: أنت الساب لعلي رضي الله عنه؟ أما والله لتردن عليه الحوض، وما أراك أن ترده، فتجده مشمر الإزار عن ساق يذود عنه. لا يأتي المنافقون ذود غريبة الإبل. قول الصادق المصدوق، وقد خاب من افترى.(٣)

وقد روى الحديث ابن عساكر بلفظ ثان فقال: عن أبي كثير قال كنت

(١) فتح الباري - ابن حجر - ج ٢ - ص ١٣١

(٢) راجع كتاب فلان وفلانة لتعرف مدى التحريف والإبهام الذي طال الروايات التي تذكر أمير المؤمنين عليه السلام إذ لا يذكرونه باسمه وإنما يقولون عنه (رجل) أو (فلان).

(٣) ما روي في الحوض والكوثر - ابن مخلد القرطبي - ص ١٣٥

جالسا عند الحسن بن علي فجاءه رجل فقال لقد سبّ عند معاوية عليا سبّا قبيحا رجل يقال له معاوية بن حديج قال: تعرفه؟ قال: نعم، قال إذا رأيته فائتني به، قال فرآه عند دار عمرو بن حريث فأراه إياه قال: أنت معاوية بن حديج فسكت فلم يجبه ثلاثا، ثم قال: أنت السابّ عليا عند ابن أكلة الأكباد؟! أما لئن وردت عليه الحوض وما أراك ترده لتجدنه مشمرا حاسرا ذراعيه يذود الكفار والمنافقين عن حوض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما تُذاد غريبة الإبل عن صاحبها قول الصادق المصدوق أبي القاسم (صلى الله عليه وآله وسلم)[١].

وروى القندوزي في ينابيعه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي أنت قسيم الجنة والنار يوم القيامة، تقول للنار: هذا لي وهذا لك.[٢]

وللدلالات الخطيرة التي ينطوي عليها حديث الحوض نرى أن طواغيت بني أميّة منعوا من التحديث به بحجّة عدم وروده في القرآن! ولنتذكّر أن القرآن الذي يقصدونه هو القرآن الذي تولوا تفسيره هم حسبما يشتهون واتخذوا ائمة الضلالة مطايا في ذلك! إذ يروي الهيثمي[٣] (عن أبي حيان التيمي عن عمه قال انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا، قال يزيد ابن

---

(١)تاريخ مدينة دمشق – ابن عساكر – ج ٥٩ – ص ٢٨

(٢) ينابيع المودة لذوي القربى – القندوزي – ج ١ – ص ٢٥٤

(٣) مجمع الزوائد – الهيثمي – ج ١ – ص ١٤٤

حيان حدثنا زيد في مجلسه ذلك قال: بعث إلي عبد الله بن زياد فأتيته فقال ما أحاديث تحدث بها وترويها عن رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم لا نجدها في كتاب الله! تحدث أن له حوضا في الجنة؟ قال: قد حدَّثَناه رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم ووعدناه، فقال: كذبت ولكنك شيخ قد خرفت! قال: إليَّ قد سمعته أذناي ووعاه قلبي من رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم يقول من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وما كذبت على رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم) قال الهيثمي (رواه أحمد والطبراني في الكبير والبزار ورجاله رجال الصحيح).

فابن زياد يعلم كما يعلم كل مسلم استفاضة حديث الحوض وان الأمة ترد على أبويها نبي الله صلى الله عليه وآله ووصيه عليه السلام فيروون من يريدون ممن أراد الله ويذودون عنه من يريدون ممن أراد الله. وقد روى النسائي المعنى في السنن الكبرى[١] إذ قال (عن كعب بن عجرة قال: خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم ونحن تسعة، خمسة وأربعة أحد العددين من العرب والآخر من العجم، فقال: اسمعوا هل سمعتم أنه سيكون بعدي أمراء من دخل عليهم فصدّقَهُم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منّي ولست منه وليس يرد عليّ الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يصدّقهم بكذبهم ولم يُعنهم على ظلمهم، فهو منّي وأنا منه وسيرد عليّ الحوض).

فتحصل ان عليا عليه السلام يذود المنافقين عن الحوض والنبي عليه

---

(١) السنن الكبرى – النسائي – ج ٤ – ص ٤٣٥

الصلاة والسلام فرط المسلمين على الحوض اذن الحوض عليه اثنان فقط يطردان عنه من لا يستحق شرب الماء منه لكون من شرب منه لا يظمأ بعدها كما جاء في الحديث وهو من اهل الجنة! وهما عليهما الصلاة والسلام بعملهما هذا يدبران امر الحوض للامة فقد جاء في الحديث النبوي: أنا وعلي أبوا هذه الأمة فعلى عاق والديه لعنة الله(١).

لكن.. هل سيلقيان كل من لا يستحق بأيديهم الشريفة في النار أم سيختص عملهما المباشر بقوم معينين؟ وفي الجواب نقول يجب أن نعرف المراد من مفردتي (كفّار) و(عنيد):

وردت مفردة (كفّار) في سورة (ق) للمفرد المتصف بالكفر وهو هنا على الأرجح ليس الكفر الاصطلاحي بل اللغوي وقد جاءت هذه المفردة في القرآن في اربعة مواضع:

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (البقرة:٢٧٦).

﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الْأِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (ابراهيم:٣٤).

﴿ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ (الزمر:٣).

---

(١) غاية المرام – السيد هاشم البحراني – ج ٥ – ص ٣٠١

﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ (ق:٢٤).

نعم ورد في سورة نوح قول نوح عليه السلام:

﴿ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً ﴾ (نوح:٢٧).

وهذا خارج عن الكلام في مفردة كَفّار التي نتحدث عنها لكونها هناك بمعنى الجحود وهنا بمعنى الكفر الاصطلاحي.

ودليل قولنا بأن الكفر هنا لغوي وليس اصطلاحي هو مورد نزول الآيات فمورد سورة البقرة قيل فيه (تغليظ في أمر الربا وإيذان بأنه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين. أخذوا ما شرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فأمروا أن يتركوها ولا يطالبوا بها. روي أنها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا)[1]

ومورد سورة ابراهيم واضحة في نسبة صفة الجحود والأنكار للنِعم الى الإنسان وهذا بديهي في جنس الإنسان وليس بأفراده بالقطعي الملموس.

وأما مورد سورة الزمر فواضح في أن الكفر هنا أعم من الكفر الاصطلاحي لكون بعض من شملتهم الآية بالحكم يمكن أن يكون مسلما فيعبد غير الله توسلا الى الله كما يزعم قال الطوسي (تخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله " وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال ما عبدوهم من دون الله وإنما حرموا لهم حلالا وأحلوا لهم حراما، فكان ذلك

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل – الزمخشري – ج ١ – شرح ص ٤٠١.

اتخاذ الأرباب من دون الله)[1] وهذا واضح في وجوده في المسلمين وغيرهم فأئمة الضلالة يحللون الحرام ويحرمون الحلال من يوم شهادة النبي صلى الله عليه وآله الى يومنا هذا.

وأما مورد سورة (ق) فلقيام الادلة النقلية على قدوم قوم من المسلمين على الحوض وذودهم الى ذات الشمال والى النار بألفاظ الحديث في صحيح البخاري وغيره فشملهم العنوان بمعنى الجحود وليس الكفر البواح في الدنيا ظاهرا.

وعلى هذا فقوال نوح:

﴿ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً ﴾ (نوح:٢٧).

فقول قومه:

﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً ﴾ (نوح:٢٣).

فوصفوهم بالآلهة فكانوا كفّاراً بالكفر البواح الاصطلاحي وهذا لا يدخل ضمن مفردة (كفّار) التي بمعنى الجحود عن استيقان ومعرفة.

والكفر في الأصل اللغوي: الجحود، قال الفراهيدي (والكفر أربعة أنحاء: كفر الجحود مع معرفة القلب، كقوله عز وجل: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) وكفر المعاندة: وهو أن يعرف بقلبه، ويأبى بلسانه. وكفر النفاق: وهو أن يؤمن بلسانه والقلب كافر. وكفر الانكار: وهو كفر القلب

(١) التبيان – الشيخ الطوسي – ج ٢ – ص ٤٨٨

واللسان. وإذا ألجأت مطيعك إلى أن يعصيك فقد أكفرته)[1].

وكفّار مبالغة في الكفر (وهو هنا كما هو راجح قد يكون الجحود وليس الكفر الاصطلاحي) قال في شرح الشافية (ويجئ فُعال - بضم الفاء وتخفيف العين - مبالغة فعيل في هذا الباب كثيرا، لكنه غير مطرد، نحو طويل وطُوال، وشجيع وشُجاع، ويقل في غير هذا الباب كعجيب وعُجاب، فإن شُدِّدت العين كان أبلغ كطوّال)[2].

وجاءت مفردة (عنيد) في اربعة مواضع في القرآن كما في قوله تعالى:

﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ (هود:٥٩).

﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ (ابراهيم:١٥).

﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ (قّ:٢٤).

﴿ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً ﴾ (المدثر:١٦).

والعنيد كما قال الفراهيدي (عند الرجل يعند عندا وعنودا فهو عاند وعنيد، إذا طغى وعتا، وجاوز قدره، ومنه: المعاندة، وهو أن يعرف الرجل الشيء ويأبى أن يقبله أو يقر به)[3].

فعلى هذا سيكون النبي وعلي عليهما السلام هما الموكلان بإلقاء

---

(١) كتاب العين - الخليل الفراهيدي - ج ٥ - ص ٣٥٦

(٢) شرح شافية ابن الحاجب - رضي الدين الأسترابادي - ج ١ - ص ١٤٨

(٣) كتاب العين - الخليل الفراهيدي - ج ٢ - ص ٤٢

صنف معيَّن وهو كل من اتَّصف بأنه (كّفار عنيد) في جهنم وظاهر الآية كونهما عليهما الصلاة والسلام سيباشران إلقاء هؤلاء بنفسيهما، وجرم من كان كفارا عنيدا انه عرف الحق وجحده بلسانه ووطغيانه، وعتوه انه عرف الحق وأبى قبوله والإقرار به وكون الكَفّار جاءت في اربعة مواضع والعنيد جاءت في أربعة مواضع فقد يكون هذا الصنف عبارة عن اربعة اشخاص فقط انكروا امرا عظيما اوجب اكتسابهم اثما عظيما سيكون جزاءه من جنسه وهو ان اشرف الخلق وابوا امة الاسلام سيلقونهم بأنفسهم في جهنم، وقد ورد في مأثور أهل البيت الإشارة الى اربعة اشخاص جحدا وصية النبي بعدما قبلوا بها ظاهرا وغدروا بأهل بيته عليهم السلام بعد شهادته صلى الله عليه وآله فقد جاء في زيارة أير المؤمنين عليه السلام عند ضريحه:

اللهم العن الجوابيت والطواغيت والفراعنة، واللات والعزى، والجبت والطاغوت، وكل ندٍّ يُدعى من دون الله وكل مفترٍ على الله. اللهم العنهم وأشياعهم وأتباعهم وأولياءهم وأعوانهم ومحبيهم لعناً كثيرا.(١)

ففي الزيارة لعن للطواغيت والجوابيت بشكل عام ثم بتخصيص اربعة أسماهم: اللات والعزى والجبت والطاغوت.

وجاء في بحار الأنوار في زيارة عاشوراء عن الإمام الباقر عليه السلام: اللهم خصَّ أنت أول ظالم باللعن مني وابدأ به أولا ثم الثاني ثم الثالث ثم

(١) كامل الزيارات – جعفر بن محمد بن قولويه – ص ٩٩

الرابع، اللهم العن يزيد بن معاوية خامسا[1]

فتراه عليه السلام خصَّ اربعة من هؤلاء الظالمين باللعن بدون ذكر اسمائهم لما لهم من موضع عند بعض المسلمين لا يريد الأمام عليه السلام إثارتهم بذكرهم فذكر يزيد ولم يذكر غيره وخصَّهم بالعدد الرباعي!.

وارتباط هؤلاء بجهنم قد يشير الى آيات أخرى تتحدث عن أصحاب الشقاق الذين كانوا يؤذون النبي عليه الصلاة والسلام بعدما بين لهم النبي الهدى كما قال تعالى:

﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ (النساء:١١٥).

ولكونه تعالى يقول:

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً ﴾ (الفرقان:٣١).

فالمجرم الذي كان عدوا للنبي صلى الله عليه وآله والذي كان يتحيَّن الفرصة لنقل أساس الخلافة عن مكانها فكان السبب في انحراف الامة قد يكون من هؤلاء خصوصا مع كون المجرمين سيدخلون الى جهنم وليس الى غيرها يقول تعالى:

﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً ﴾ (مريم:٨٦).

---

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٣٠ – ص ٣٩٩

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى ﴾ (طه:٧٤).

وهؤلاء (المجرمين) هم أعداء الأنبياء فلكل نبي عدو منهم سيأتون بجماعة خاصة مميزة:

﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ (يّس:٥٩).

لكون ذنبهم واحد وهو تزعم حركة المعارضة لله في الارض في زمان كل نبي ولكون جهنم أشد النيران سيكون خلودهم فيها، والله أعلم.

المحراب في القرآن

قال تعالى في كتابه الكريم في قصة مريم عليها السلام:

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) ﴾ (آل عمران ٣٧-٣٩).

وقال تعالى في قصة زكريا عليه السلام:

﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً ﴾ (مريم:١١).

وقال تعالى في قصة داود عليه السلام:

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ (ص:٢١).

وقال تعالى في قصة سليمان عليه السلام وعمل الجن المسخّر له:

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ:١٣).

الملاحظ في هذه الآيات:

إنها تشترك في كون الأنبياء المذكورين من أنبياء بني إسرائيل.

إن مفهوم (المحراب) قد ذُكر معرَّفاً بالألف واللام في موارده الأربعة كلها.

إن مفهوم (المحراب) جاء في الموارد الأربعة مؤكداً عليه بشكل واضح، فسبحانه وتعالى ذكر دخول زكريا على مريم ولم يكتف بل إنه زاد (في المحراب)، ثم ذكر دعاء زكريا بطلب الولد بعدما رأى كرامة مريم على ربها بأن أوصل لها رزقها إلى مكان عبادتها في المحراب، فأبرز سبحانه طلب زكريا بقوله(هنالك) أي في المحراب، ولمّا أراد سبحانه بيان طريقة خروج زكريا بعد تكليم الملائكة له وتبشيره بيحيى فقال سبحانه (من المحراب)، فأبرز سبحانه (المحراب)كعنصر ضروري في خروج زكريا من المكان الذي كان فيه، مع أننا نعلم إن المحراب إذا كان هو البناء المقوّس المخروطي الذي يستعمل لصلاة الإمام فهو ليس بناءً مغلقاً حتى يخرج منه زكريا! بل يجب على زكريا أن يمرّ بالبناية التي يقع فيها المحراب حتى يخرج إلى قومه!

ولمّا ذكر سبحانه قصة الخصمين الذين جاءا لداود عليه السلام ليحكم بينهما، نجد أن المحراب كان عنصراً أساسيا في ذكر القضية، فكان يكفي أن

يذكر سبحانه مجيء الخصمين إلى داود بدون ذكر الكيفية، لكنه سبحانه ذكر ذلك لنكتة ما!.

وقصة سليمان عليه السلام لا تختلف عن ذلك، فالمحاريب (جمع محراب) كانت أول ما ذكر الله سبحانه من عمل الجن له فقال سبحانه:

﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ ﴾ (سبأ: من الآية١٣).

ولو تأملنا في قوله سبحانه بعد ذكره المحاريب:

﴿ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ (سبأ: من الآية١٣).

واختلاف المفسرين الشديد في تفسير هذه المفاهيم، يجعلنا نشك في ما قيل عن المحراب في كلمات المفسرين إذ فسرّه بعضهم (بالمكان الذي يتوجه إليه في الصلاة) وهذا لا يتناسب مع السياق! ومنهم من قال (هو المصلّى)، والبعض الآخر قال (هي أشرف المجالس)، والبعض سكت وفسر ما قبله وما بعده ولم يبين ما هو المحراب! وهناك من قال (هو اشرف البيوت في الدار)، وبعضهم احتمل كونها (مساجد اليهود) ومنهم من قال إضافة لذلك (هي الصومعة التي بناها زكريا لمريم)، وكثير من المفسرين عدّد المحتملات بدون ترجيح احد منها. وحتى الذين جزموا بآرائهم فلم أجد أحدا استدل بدليل قرآني أو بالسنة على المراد من (المحراب)!.

ولكن! لو تأملنا المشتركات بين الألفاظ التي اقترنت بذكر (المحراب) فمن السهل أن نقول بأن المحراب كان بناء له أهمية خاصة، وقداسة خاصة، من خلال ارتباط ذكر الأنبياء بذكره، وتعريفه كشيء لا يقبل أن يُجهل،

وهذا موجود اليوم! فهذا البناء معروف في كتب اليهود والنصارى (وهم من يدّعون الرجوع إلى الأنبياء المذكورين بمعيّة ذكر المحراب)، وهذا البناء هو جزء مما يعرف بـ(الهيكل) الذي بناه نبي الله داود عليه السلام، وحتى تكون لنا معرفة عامة لهذا البناء يجب أن نعرف بالشخصيات التي ارتبط اسمها بهذا البناء في القرآن.

وأولهم هو نبي الله داود عليه السلام باني الهيكل:

وهو على ما قيل[1] (داود بن عوبد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمى نادب بن رام بن حصرون ابن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام)، وقد ذُكر في القرآن في أربعة عشر موضعا في اجلّ ذكر وأجمله، وقد كان في صباه جندياً في جيش الملك طالوت الذي عبر نهر الأردن إلى فلسطين لقتال العمالقة وقائدهم جالوت، فقال تعالى:

﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة:٢٥١).

وبعد المعركة وما أصبح عليه داود من مكانة واحترام أصبح داود نبياً وملكاً على بني إسرائيل في فلسطين بقوله تعالى:

﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ

(١) تاريخ الطبري – الطبري – ج ١ – ص ٣٣٦

بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ (ص:٢٦).

وقيل بأن النبي (ناتان) هو من أخبر داود بنبوته واصطفائه وقال له إن الله يقول (قل لعبدي داود: إبن لي بيتا، فقد ملكتك على بني إسرائيل، بعد أن كنت في صيرة الغنم، وقتلت أعداءك)[١] وهذا البيت هو (الهيكل) الشهير، وهذا لو صح يكون من الخطأ القول بأن من بنى الهيكل هو سليمان ابنه بعدما جمع داود في زمانه العدة والعدد،بل إن داود هو من بدأ البناء وأكمله سليمان، بل إننا لا نحتاج إلى هذه الرواية لو تم المدلول في قوله تعالى:

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ (ص:٢١).

فالمحراب هو جزء من هذا البناء الذي أمر الله داود ببنائه في المكان المبارك. وهو حسب الآية كان موجودا في عهد داود النبي عليه السلام. وقد كرمّه الله بإيتائه (الزبور) فقال تعالى:

﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً ﴾ (الاسراء:٥٥).

وعندما كان داود يسبّح كانت الجبال تسبّح معه والطير:

﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (الأنبياء:٧٩).

وألان الله له الحديد فكان يعمل ما يشاء منه:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ (سبأ:١٠).

---

(١) تاريخ اليعقوبي – اليعقوبي – ج ١ – ص ٥١ – ٥٢

الى غيرها من الأمور التي تميز بها النبي داود عليه السلام.

وهذا البناء الذي بناه داود كان معروفاً في ذلك الزمان لفخامته التي نقلتها الكتب القديمة بصورة قد تكون مبالغ فيها، إذ قال عنه (ول ديورانت) المؤرخ المعروف (إن طراز الهيكل هو الطراز الذي أخذه الفينيقيون عن مصر، وأضافوا إليه ما أخذوه عن الآشوريين والبابليين من ضروب التزيين، ولم يكن هذا الهيكل كنيسة بالمعنى الصحيح، بل كان سياجاً مربعاً يضم عدة أجنحة، ولم يكن بناؤه الرئيسي كبير الحجم، فقد كان طوله حوالي مائة وأربع وعشرين قدما، وعرضه حوالي خمس وخمسين وارتفاعه حوالي اثنتين وخمسين. وقد اختير لتشييد الهيكل مكانٌ فوق ربوة)[١]..

والى زمان بناء الهيكل كان اليهود يتعبدون الله في خيمة يقدّسونها، وكانوا يحملونها في حلّهم وترحالهم من زمان موسى عليه السلام، إلى أن اشترى داود الأرض من (أورنا) أو (أوريا) اليبوسي ليقيم الهيكل بعد ما أمره الله تعالى.

وقد ورد متفرقا في الكتب وصفا دقيقا لهذا المعبد إذ قيل:

(كان الهيكل يتجه إلى جهة الشرق. كان بجانب مدخله رواق وعواميد ثم اتسع الرواق في عهد خلفاء سليمان حتى شمل جميع الجهات. وبُنيت إلى الغرب من الرواق الشرقي دار مربعة الشكل، ثم إلى غربها دارٌ أصغر منها. أما المذبح فكان صندوقاً من الخشب تُشعل على رأسه. وإلى جانبها وضعت

---

(١) مقارنة الأديان، اليهودية ـ الدكتور أحمد الشلبي ـ ص ٢٠٠

أوعية الغسل، من النحاس، ليتطهر بها الكهنة والذبائح. وكان في الدار الصغيرة غرف للكهنة وللطبخ. أما الدار الكبرى فكان فيها الهيكل الحقيقي. وكان بناؤه شاهقاً. وكانت أبوابه من الخشب المرصع بالذهب. وجُعلت بعض جوانبه مُخصّصة للملوك. وتحت رواقه وضع عمودان مزخرفان هما ياكين وبوعز. وكان لا يسمح بدخول أحد غير رئيس الكهنة إلى الجانب المقدّس المخصص له. وكان ذلك الجانب يغلق ببابين ضخمين وكان ينيره ضوء منارة من الذهب وإلى جانبها خمس منائر على خمس موائد. وفيه كان يُقدم البخور وخبز الوجوه. ووُضع فيه المحراب، أو قدس الأقداس، وهو غرفة، مظلمة. فيه تابوت العهد على صخرة وفوقه كاروبا (ملاكا) المجد. هذا وصف لهيكل سليمان الذي حافظ على عظمته مدة أربعة قرون وربع، أي منذ حوالي سنة ٩٦٨٨ ق. م. إلى أن هاجم البابليون القدس وسبوا أهلها واستولوا على ما في الهيكل من ثروة سنة ٥٨٧ ق. م.)[١].

وقصة هذا الهجوم أو ما يسمى في التاريخ (السبي البابلي الثاني) هو أن المملكة اليهودية بعد النبي سليمان عليه السلام افترقت إلى مملكة شمالية تسمى (السامرة) ومملكة جنوبية تسمى (يهوذا) وقد انقسمت أسباط بني إسرائيل بينهما إذ حكم السامرة عشرة أسباط وحكم يهوذا سبطان،وكانتا تحت النفوذ الآشوري ومن ثم البابلي، وفي بداية القرن السادس قبل الميلاد احتل المصريون المملكتين بمساعدة بعض اليهود، فانتقم لذلك البابليون بقيادة

(١) قاموس الكتاب المقدس ـ مجمع الكنائس الشرقية ـ ص ١٠١٣ ـ ١٠١٤

(نبوخذ نصر) فقاموا بغزو فلسطين لمرتين وأجلوا اليهود عنها، المرة الأولى كانت في عام (٥٩٧ق. م) والثانية عام (٥٨٧ ق.م) ودمروا الهيكل واخذوا اليهود أسرى إلى بابل، وقد تراوحت تقديرات أعداد الأسرى ما بين عشرات الآلف إلى مئتي ألف يهودي اخذوا قسرا إلى بابل في الغزو الثاني.

وقد ورد في التوراة وصفا مفصلا للبناء الذي أسموه (الهيكل)، إذ ورد:

(١. وكان في سنة الأربع مئة والثمانين لخروج بني إسرائيل من أرض مصر في السنة الرابعة لملك سليمان على إسرائيل في شهر زيو وهو الشهر الثاني أنه بنى البيت للرب. ٢ والبيت الذي بناه الملك سليمان للرب طوله ستون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وسمكه ثلاثون ذراعا. ٣ والرواق قدام هيكل البيت طوله عشرون ذراعا حسب عرض البيت وعرضه عشر أذرع قدام البيت. ٤ وعمل للبيت كوى مسقوفة مشبكة. ٥ وبنى مع حائط البيت طباقا حواليه مع حيطان البيت حول الهيكل والمحراب وعمل غرفات في مستديرها. ٦ فالطبقة السفلى عرضها خمس أذرع والوسطى عرضها ست أذرع والثالثة عرضها سبع أذرع لأنه جعل للبيت حواليه من خارج أخصاما لئلا تتمكن الجوائز في حيطان البيت. ٧ والبيت في بنائه بني بحجارة صحيحة مقتلعة ولم يسمع في البيت عند بنائه منحت ولا معول ولا أداة من حديد. ٨ وكان باب الغرفة الوسطى في جانب البيت الأيمن وكانوا يصعدون بدرج معطف إلى الوسطى ومن الوسطى إلى الثالثة. ٩ فبنى البيت وأكمله وسقف البيت بألواح وجوائز من الأرز. ١٠ وبنى الغرفات على البيت كله سمكها

خمس أذرع وتمكنت في البيت بخشب أرز ١١ وكان كلام الرب إلى سليمان قائلا ١٢ هذا البيت الذي أنت بانيه إن سلكت في فرائضي وعملت أحكامي وحفظت كل وصاياي للسلوك بها فإني أقيم معك كلامي الذي تكلمت به إلى داود أبيك. ١٣ وأسكن في وسط بني إسرائيل ولا أترك شعبي إسرائيل ١٤ فبنى سليمان البيت وأكمله. ١٥ وبنى حيطان البيت من داخل بأضلاع أرز من أرض البيت إلى حيطان السقف وغشاه من داخل بخشب وفرش أرض البيت بأخشاب سرو. ١٦ وبنى عشرين ذراعا من مؤخر البيت بأضلاع أرز من الأرض إلى الحيطان. وبنى داخله لأجل المحراب أي قدس الأقداس. ١٧ وأربعون ذراعا كانت البيت أي الهيكل الذي أمامه. ١٨ وأرز البيت من داخل كان منقورا على شكل قثاء وبراعم زهور. الجميع أرز. لم يكن يرى حجر. ١٩ وهيأ محرابا في وسط البيت من داخل ليضع هناك تابوت عهد الرب. ٢٠ ولأجل المحراب عشرون ذراعا طولا وعشرون ذراعا عرضا وعشرون ذراعا سمكا. وغشاه بذهب خالص وغُشّي المذبح بأرز. ٢١ وغشّى سليمان البيت من داخل بذهب خالص. وسد بسلاسل ذهب قدام المحراب. وغشاه بذهب. ٢٢ وجميع البيت غشّاه بذهب إلى تمام كل البيت وكل المذبح الذي للمحراب غشّاه بذهب. ٢٣ وعمل في المحراب كروبين من خشب الزيتون علّو الواحد عشر أذرع. ٢٤ وخمس أذرع جناح الكروب الواحد وخمس أذرع جناح الكروب الآخر. عشر أذرع من طرف جناحه إلى طرف جناحه. ٢٥ وعشر أذرع الكروب الآخر. قياس واحد وشكل واحد للكروبين. ٢٦ علو الكروب

الواحد عشر أذرع وكذا الكروب الآخر. ٢٧ وجعل الكروبين في وسط البيت الداخلي وبسطوا أجنحة الكروبين فمس جناح الواحد الحائط وجناح الكروب الآخر مس الحائط الآخر وكانت أجنحتهما في وسط البيت يمس أحدهما الآخر. ٢٨ وغشّى الكروبين بذهب. ٢٩ وجميع حيطان البيت في مستديرها رسمها نقشا بنقر كروبيم ونخيل وبراعم زهور من داخل ومن خارج. ٣٠ وغشّى أرض البيت بذهب من داخل ومن خارج. ٣١ وعمل لباب المحراب مصراعين من خشب الزيتون. الساكف والقائمتان مخمسة. ٣٢ والمصراعان من خشب الزيتون. ورسم عليهما نقش كروبيم ونخيل وبراعم زهور وغشّاهما بذهب ورصع الكروبيم والنخيل بذهب. ٣٣ وكذلك عمل لمدخل الهيكل قوائم من خشب الزيتون مربعة ٣٤ ومصراعين من خشب السرو. المصراع الواحد دفتان تنطويان والمصراع الآخر دفتان تنطويان. ٣٥ ونحت كروبيم ونخيلا وبراعم زهور وغشاها بذهب مطرق على المنقوش. ٣٦ وبنى الدار الداخلية ثلاثة صفوف منحوتة وصفا من جوائز الأرز. ٣٧ في السنة الرابعة أسس بيت الرب في شهر زيو. ٣٨ وفي السنة الحادية عشرة في شهر بول وهو الشهر الثامن أكمل البيت في جميع أموره وأحكامه. فبناه في سبع سنين).

وبعد التدمير الأول للهيكل ومدينته وبقاء اليهود في سبيهم في بابل سبعين عاماً، نشبت الحرب بين كورش الفارسي (المسمى سايروس) وبابل، إنتصر على إثرها كورش ودخل بابل، محرّراً لليهود ومُعيداً لهم إلى القدس.

ومرّت أحوال مختلفة على المدينة، لكن الوضع لم يختلف بالنسبة للهيكل، فقد كان اليهود يقيمون مراسيم دينهم على الجبل نفسه إلى العام (٢٠ ق. م) إذ أنه وفي[1] (عهد الرومان حلت أسرة هيرودس محل المكابيين، وقد استطاع هيرودس الكبير (٧٢ – ٤ ق. م) القضاء على آخر ملوك المكابيين ليثأر لأبيه الذي كان ضحية عدوانهم، وحاول هيرودس أن يُرضي اليهود فبنى هيكلا على نسق هيكل سليمان سنة ٢٠ ق. م، وقد ظل هذا الهيكل حتى سنة ٧٠ م حيث دمر تيطس الروماني مدينة أورشليم وأحرق الهيكل على أثر ثورة قام بها اليهود بالمدينة، وهذا هو التدمير الثاني للمدينة والمعبد. وإذا كان تيطس قد اكتفى بتدمير المدينة والهيكل وأبقى الحطام مكانه فإن أدريانوس أزال معالم المدينة ومعالم الهيكل تماما سنة ١٢٥ م، إذ حرث الأرض وسواها وزرعها كما تخلص تماما من اليهود بها بين قتل وتشريد، فلم يبق بها يهودي واحد، ورحل من استطاع الهرب منهم إلى مصر وشمالي إفريقية وإسبانيا وأوربا. وأقام الإمبراطور الروماني أدريانوس مكان الهيكل اليهودي هيكلاً وثنياً باسم جوبيتار Jupitar رب الآلهة عند الرومان إذ لم تكن المسيحية قد اعترف بها بعد، وبقي هذا الهيكل إلى أن قامت المسيحية في أورشليم، فدمره المسيحيون من أساسه في عهد الإمبراطور قسطنطين)[2].

من هنا فإن (المحراب) مصطلح معروف يسمى به أقدس مكان من

---

(١) مقارنة الأديان، اليهودية – الدكتور أحمد الشلبي – ص ٨٦

(٢) العهد القديم – سفر الملوك الأول – الإصحاح السادس

الهيكل وهي غرفة التابوت والتي كانت خلوة الأنبياء والصدّيقين وتسمى تارة (قدس الأقداس) وقد عرفّه أهل الكتاب بقولهم[1] (القدس وقدس الأقداس: القسم الخارجي والداخلي من المسكن وكان في القدس مائدة خبز الوجوه والمنارة ومذبح البخور وقد يُسمّى المحراب قدساً على أنه يُسمّى غالبا قدس الأقداس)، والذي ذُكر في التوراة في مواضع عديدة منها:

١٦وبنى (واقتطع) عشرين ذراعا من مؤخر البيت بأضلاع أرز من الأرض إلى الحيطان. وبنى داخله لأجل المحراب أي قدس الأقداس. ١٧ وأربعون ذراعا كانت البيت أي الهيكل الذي أمامه. (التوراة – سفر الملوك الاول– الإصحاح السادس).

١٩ وهيأ محرابا في وسط البيت من داخل ليضع هناك تابوت عهد الرب. (التوراة – سفر الملوك الأول– الإصحاح السادس).

٢٠ ولأجل المحراب عشرون ذراعا طولا وعشرون ذراعا عرضا وعشرون ذراعا سمكا. وغشاه بذهب خالص وغشّى المذبح بأرز. (التوراة – سفر الملوك الأول– الإصحاح السادس).

٢١ وغشّى سليمان البيت من داخل بذهب خالص. وسد بسلاسل ذهب قدام المحراب. وغشاه بذهب. (التوراة – سفر الملوك الأول– الإصحاح السادس).

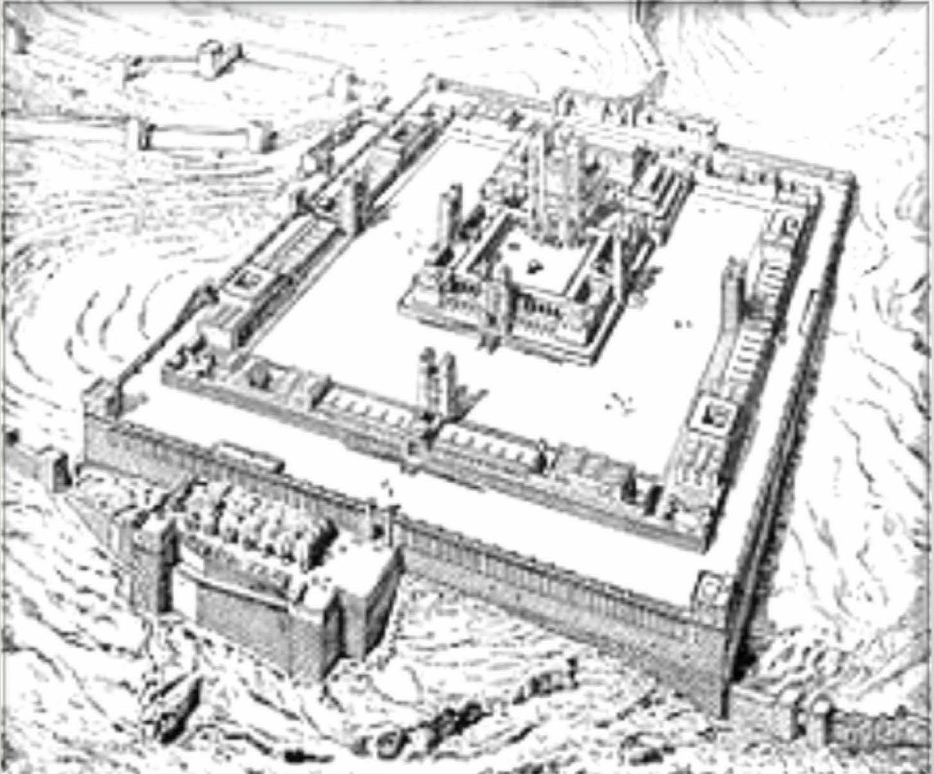
٢٢ وجميع البيت غشاه بذهب إلى تمام كل البيت وكل المذبح الذي للمحراب غشاه بذهب. (التوراة – سفر الملوك الأول– الإصحاح السادس).

(١) قاموس الكتاب المقدس – مجمع الكنائس الشرقية – ص ٧١٨

٣١ وعمل لباب المحراب مصراعين من خشب الزيتون. الساكف والقائمتان مخمسة. (التوراة – سفر الملوك الأول– الإصحاح السادس).

من هنا فما ذُكر في القرآن باسم (المحراب) لا يمت بصلة لما في أذهاننا وأذهان بعض المفسرين من أنه المحراب الذي في مساجدنا! كيف ذلك والمحراب الإسلامي كطراز بناء مميّز مخروطي الشكل لم يظهر للوجود إلا في القرن الثاني للهجرة على ما قاله المؤرخون، وهذا بعد زمان داود عليه السلام بأكثر من ألف عام!

رسم تقريبي للهيكل الذي بناه داود عليه السلام



معاني استعمال (نظر وبصر) ومشتقاتهما في القرآن

كثيرة هي المفردات القرآنية التي تتبادل المعاني مع غيرها لتكتشف عند تحليلها نكتاً جميلة تزيد القرآن رونقاً، ومن هذه المفردات مفردتا النظر والبصر حيث جاءت مفردة (بصر) ومشتقاها في القرآن ١٤٧ مرة بينما جاءت مفردة (نظر) ومشتقاها في القرآن ١٢٧ مرة ولكي نحيط بجزء من معاني هاتين المفردتين سنبدأ بالمعاجم القرآنية لنحاول الإحاطة بالمعاني التي تعطيها هاتان المفردتان، قال الراغب الأصفهاني في معنى نظر (النظر تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته وقد يراد به التأمل والفحص وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو الروية يقال نظرت فلم تنظر أي لم تتأمل ولم تترو)[1]...

وقال الراغب الأصفهاني في معنى بصر (البصر يقال للجارحة الناظرة

(١) المفردات- ص ٤٧٩

نحو قوله تعالى " كلمح البصر - وإذ زاغت الأبصار " وللقوة التي فيها ويقال لقوة القلب المدركة بصيرة وبصر)[١]...

إذن معاني النظر: -

عمل الجارحة (العين) وإعمال قوتها في الموجودات الكثيفة القابلة للرؤية.

مثل قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾ (التوبة: من الآية١٢٧).

وقوله تعالى:

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ (الأعراف: من الآية١٤٣).

وقوله تعالى:

﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴾ (الصافات:٨٨).

التأمل والفحص أي الانتظار.

مثل قوله تعالى:

﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ

---

(١) المفردات - ص ٤٩

نُورِكُمْ﴾ (الحديد: من الآية١٣)..

قال الطوسي في التبيان (أي انتظرونا)[١]

وقوله تعالى:

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴾ (السجدة:٣٠)..

وقوله تعالى:

﴿ وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ ﴾ (الأنعام:٨).

قال المولى محسن الفيض الكاشاني في التفسير الصافي (لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين)[٢].

المعرفة الحاصلة بعد الفحص والتي نعبر عنها بالرؤية نقول (رأيت أن افعل كذا).

مثل قوله تعالى:

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (الأنعام:١١).

وقوله تعالى:

﴿ انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُبِيناً ﴾ (النساء:٥٠).

---

(١) ج١ – ص١٢٨

(٢) ج٢ ص١٠٨

وقوله تعالى:

﴿ انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾ (الاسراء: ٤٨).

أما معاني البصر: -

الجارحة الباصرة (العين).

كقوله تعالى:

﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ (النحل: من الآية٧٧).

وقوله تعالى:

﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ (الأحزاب:١٠)..

قال الشيخ الطبرسي في تفسيره (وإذ زاغت الأبصار أي مالت عن كل شيء فلم تنظر إلا عدوها مقبلاً من كل جانب) (١)

قوة الرؤية للموجودات القابلة للرؤية والتي تمتلكها الجارحة. مثل قوله تعالى:

﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ (القصص:١١).

وقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ

(١) مجمع البيان - ج٨ - ص١٢٤

أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا ﴾ (لأعراف: من الآية١٧٩).

وقوله تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً ﴾ (مريم:٤٢).

لقوة القلب المعنوية والقادرة على معرفة الحقائق.

كقوله تعالى:

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ (الأنعام:١٠٤).

وقوله تعالى:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ (القصص:٧٢).

وقوله تعالى:

﴿ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ ﴾ (الواقعة:٨٥)..

والآية الأخيرة جديرة بالتأمل (وكل آيات الله جديرة بالتأمل)..

فعندما يقول سبحانه (فلولا إذا) فهي بمعنى قولك (هلّا إذا).. قال الفرّاء (كلما رأيت في الكلام " لولا" ولم تر بعدها اسما فهي بمعنى هلا)[1]..

---

(١) تفسير التبيان – ج٤ – ص١٣٦

فيكون المعنى (هلّا إذا بلغت الروح الحلقوم وانتم حينئذٍ تنظرون ونحن اقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون)... فلو كانت (تبصرون) هنا تعني (تنظرون) لم يكن للكلام أي معنى! ولكان المعنى كالتالي: وأنتم حينئذٍ تنظرون ونحن اقرب إليه ولكن لا تنظرون!.. وإنما جاء بكلمة (تبصرون) لنكتة في الآية تتصل بمباحث جمة تتعلق بالغيب والعالم غير المشهود من حولنا.. فالإبصار يأتي لما يُرى ولما لا يُرى أي لما يرى بالعين ولما يرى بالقلب بينما يأتي النظر لما يرى بالعين فقط.. فالآية هنا تريد أن تقول: هلّا إذا بلغت (الروح) الحلقوم وانتم حينئذٍ تنظرون (له ولما حولكم من المحسوسات) ونحن اقرب إليه (منكم) ولكن لا تبصرون (ما لا تحسون به من الكائنات القريبة منه والتي تحضره)... ولذلك سُمي بالمُحتَضَر فلو كان اسمه مُحتَضَراً لأن الناس تحضره لسمي المريض كذلك مُحتَضَراً ولكنه سُمّي كذلك لأن ملائكة الموت تحضره ... والآية تصور تصويراً عجيباً (ومسكوتاً عنه) لما يحدث في تلك اللحظات والتي هي اللحظات الأخيرة للإنسان في الحياة وهو يضع قدمه في العالم الآخر ليجتاز عقبة الموت.. وهي تفتح باباً واسعاً للسؤال .. من هو الذي أقرب إليه من أهله بتلك اللحظة؟ وما دوره؟ وكيف يفعل ذلك؟وما الذي يرافق ذلك من أهوال تحيط بالمحتضر فتشغله عن أهله؟... وقد يكون هذا هو معنى الحديث الشريف: الناس نيام..فإذا ماتوا انتبهوا ..

بقي أن نقول إن بعض الألفاظ وردت بالقرآن وهي تحتمل أكثر من معنى مثل قوله تعالى حكاية عن السامري:

﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ (طه:٩٦)..

فاستعمال كلمة (بَصُرْتُ) إما يكون بمعنى رأيت (بالعين) فيكون المعنى: رأيت ما لم يراه الناس..كما احتمله الشيخ الطوسي في تفسيره [١]

وإما أن يكون بمعنى علمت (أي بقوة غير طبيعية) فيكون المعنى: علمت بما لم يعلموا به.. كما احتمله الطبرسي في تفسيره [٢] إضافة لاحتماله المعنى الأول. أما لماذا أتت الكلمة بهذا الوضع (بصرت) ولم يقل (أبصرت) فقد يكون ذلك لنكتة كامنة في القصة كما قال تعالى:

﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ (القصص:١١).

فالموردان اللذان انفردا بهذه اللفظة بصيغة المفرد في القرآن يشتركان بأن صاحبيهما (أخت موسى والسامري) كانا يختلسا الرؤية، فأخت موسى كانت تتبعه وتقص أثره من حافة النهر وهو في الوعاء الذي وضعته فيه أمه وألقته في ماء النيل، أما السامري فقصته معروفة حيث إنه انفرد بان رأى ما لم يره غيره من آثار الرسول (جبريل) على الأرض وهذا بمنزلة الاختلاس والانفراد بالنظر (هذا إن كانت (بصرت بما لم يبصروا به) تعني رأيت ما لم يروه..أما لو كانت تعني (علمت بما لم يعلموا به من الآثار العجيبة التي يتركها حافر الفرس الذي كان ينقل الرسول) كما جاء في الروايات فالمعنى يكون أقرب للسرية

---

(١) التبيان – ج٧ – ص٢٠٣

(٢) مجمع البيان – ج ٧ – ص٥١

حيث ان العلم قوة باطنية تناسب استعمال (بصرت) هنا..والله أعلم.. علماً أن لفظة بصير إنفردت بالمجيء كصفةٍ لله في ٤٨ مورداً قرآنياً،

مثل قوله تعالى:

﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة: من الآية٩٦)..

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: من الآية١١٠)

وقوله تعالى:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: من الآية٢٣٣).

وقوله تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ (الملك:١٩).

وقوله تعالى:

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة:١)..

وقوله تعالى:

﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (فصلت: من الآية٤٠).

بينما أتت كلمة (نظر) بمورد واحد منسوبة لله وهو قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (يونس:١٤).

(الإنسان والبشر) في القرآن الكريم

استعملت كلمة (بشر) ومشتقاتها ٣٧ مرة في القرآن الكريم..

واستعملت كلمة (إنس) ومشتقاتها في ٩٠ مورداً في القرآن الكريم..

قال الراغب في مفرداته في مادة بشر (البشرة ظاهر الجلد والأدمة باطنه .... وجمعها بشر وأبشر وعبر عن الإنسان بالبشر اعتبارا بظهور جلده من الشعر بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف أو الشعر أو الوبر واستوى في لفظ البشر الواحد والجمع) مفردات القرآن ص ٤٧.. وقال ابن السكّيت الأحوازي (والبشر جمع بشرة وهو ظاهر الجلد والبشر أيضاً الخلق)[١]

وقال الراغب في مادة إنس (الإنس خلاف الجن، والإنس خلاف النفور، والإنسي منسوب إلى الإنس يقال ذلك لمن كثر أنسه ولكل ما يؤنس به ولهذا قيل إنسي الدابة للجانب الذي يلي الراكب.... والإنسان قيل سمي

(١) ترتيب إصلاح المنطق- ص ٧٩

بذلك لأنه خلق خلقة لا قوام له إلا بإنس بعضهم ببعض ولهذا قيل الإنسان مدني بالطبع من حيث لا قوام لبعضهم إلا ببعض ولا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه، وقيل سمي بذلك لأنه يأنس بكل ما يألفه) [١]وقال أبو هلال العسكري في الفرق بين البشر والناس (أن قولنا البشر يقتضي حسن الهيئة وذلك انه مشتق من البشارة وهي حسن الهيئة يقال رجل بشير وامرأة بشيرة إذا كان حسن الهيئة فسمي الناس بشراً لانهم أحسن الحيوانات هيئة)[٢].

واللفظان (إنس وبشر) يتبادلان الاستعمال بالقرآن الكريم (على خلاف من قال " أما البشر فقد أطلق على الأنبياء والأصفياء والرسل خاصة") وإلا فماذا يقول أمام آيات قرآنية وردت وهي تجمع ما بين الأنبياء وأعداءهم بلفظ البشر مثل قوله تعالى:

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (ابراهيم:١١).

فالكلام هنا للرسل فهم يقولون لقومهم (الضالين) بأنهم بشر مثلهم!

وقوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾ (الكهف: من الآية١١٠).

وكذلك هنا..

---

(١) مفردات القرآن ص٢٨.

(٢) الفروق اللغوية- ص ١٠٢.

وقوله تعالى:

﴿ لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ (الانبياء: من الآية٣).

فهنا الخطاب (للذين ظلموا) هل هذا إلا بشر.. مثلكم؟!.. وسوف نستعرض نماذج تبين أن لفظي بشر وإنسان هما لفظان مترادفان يشيران لنفس الحقيقة والذات لكن من حيثيتين مختلفتين وقد أحسن الراغب الأصفهاني عندما قال في مادة بشر (وخص في القرآن كل موضع اعتبر من الإنسان جثته وظاهره بلفظ البشر)[1]

معاني استعمال (بشر ومشتقاها) في القرآن:

استعمل لفظ بشر تارة مجردا عن المدح أو الذم وتارة للذم:

أما استعماله مجردا عن المدح والذم:

ففي قوله تعالى حكاية عن الصديقة مريم عليها السلام:

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾ (آل عمران: من الآية٤٧).

وجاءت هذه الآية مرتين بنفس اللفظ وهي تشير إلى أن الصديقة مريم كانت بمعرض الاستفهام واستعملت لفظ بشر للإشارة إلى أنها لم تتزوج حتى يصبح لديها طفل كما هو الأمر الطبيعي لمثلها لما تمتاز به من العفة والطهارة

---

(١) مفردات القرآن – ص ٤٧.

وأشارت هنا بكلمة بشر إلى الذكر خاصة بمعزل عن كونها بمقام المدح أو الذم.

وكذلك في قوله تعالى:

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (آل عمران:٧٩).

فاستعمال بشر هنا للإشارة للذات الإنسانية مجردة عن أي عنوانٍ ثانٍ ودليل ذلك انه قال بعد ذلك:

﴿ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾.

فهو بشر قبل أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة..

وقوله تعالى:

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ (ابراهيم: من الآية١١).

فالرسل هنا تقول: إن نحن إلا بشر كما انتم بشر لكن الله فضلنا من بعد ذلك ومن علينا بالنبوة والرسالة. فبشر هنا خالية من المدح والذم.. وجاء المدح متأخراً لمقام الاجتباء والمن الرباني..

استعماله في مورد الذم:

جاء ذلك في قوله تعالى حاكيا عن أبليس:

﴿ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ (الحجر:٣٣).

فهنا استُعمل لفظ بشر للازدراء من قبل إبليس فهو يقول: ما كنت لأسجد لمن هو أوطأ مني:

﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ (ص:٧٦).

وقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (النحل:١٠٣).

فكفار قريش هنا كانوا بمعرض التشكيك فقالوا لم يبعثه الله بل إنه يأخذ كلامه من بشر مثلنا فيتقوله على الله.. فاستعملوا لفظ بشر للتقليل من الشأن..

وقوله تعالى:

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ (المؤمنون:٢٤).

وهي كالمورد السابق في المعنى...

استعمال كلمة إنسان في القرآن الكريم:

يستعمل لفظ إنسان مجردا عن الذم في آيات ومذموما في آيات أخرى..

موارد استعماله مجردا عن الذم:

كما في قوله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْأِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْأِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام:١٢٨).

فكلمة (إنس) استعملت مرتين، المرة الأولى للإشارة لكل الإنس والمرة الثانية قال ﴿ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْأِنْسِ ﴾ فكأنه أشار إلى فئة خاصة ن الأنس.. وفي الاستعمال الأول لا نلاحظ الاستعمال في مورد الذم بل هو مجرد استعمال للفظ..

وقوله تعالى:

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (النمل:١٧).

وهي كما ترى خالية من الذم والمدح

وقوله تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذريات:٥٦).

وقوله تعالى:

﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴾ (الرحمن:٥٦).

وقوله تعالى:

﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (يوسف:٥).

وقوله تعالى:

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً ﴾ (الإسراء:٥٣).

وقوله تعالى:

﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً ﴾ (الفرقان:٢٩).

وقوله تعالى:

﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (النجم:٣٩).

٢- موارد استعمال اللإنسان بمورد الذم: -

كما في قوله تعالى:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً ﴾ (النساء:٢٨).

وقوله تعالى:

﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (ابراهيم:٣٤).

وقوله تعالى:

﴿ خَلَقَ الْأِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ (النحل:٤).

وقوله تعالى:

﴿ وَيَدْعُ الأِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الأِنْسَانُ عَجُولاً ﴾ (الإسراء:١١).

وقوله تعالى:

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْأِنْسَانُ كَفُوراً ﴾ (الاسراء:٦٧).

وقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً ﴾ (الاسراء:٨٩).

وقوله تعالى:

﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الأِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوساً ﴾ (الاسراء:٨٣).

وقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْأِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾ (الكهف:٥٤).

وقوله تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْأِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴾ (الحج:٦٦).

وقوله تعالى:

﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً إِنَّ الأِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴾ (الزخرف:١٥).

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْأِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ (الأحزاب:٧٢).

الخلاصة:

١- إن لفظي (إنسان وبشر) لفظان يطلقان على ذات واحد ة بلحاظين.

٢- التسمية (بشر) جاءت حاكية عن جهة الظهور والبيان الخارجي للجسد وعبر عنه بهذا الاسم من باب تسمية الكل بجزئه.

٣- التسمية (إنسان) جاءت حاكية عن الطبيعة الاجتماعية لهذا المخلوق ولكونه يستأنس بالموجودات التي حوله من جنسه أو من باقي الأجناس.

٤- جاء لفظا البشر والإنسان بالقرآن في موردي الذم تارة والإيراد بدون مدح أو ذم بموارد متعددة، وغالباً ما يكون إيراد اللفظين حكاية عن الذين قالوا وليس عن الله سبحانه وتعالى، فلذلك اختلف المراد باللفظ ما بين التجريد من الغاية التي وراءه أو على سبيل الذم والتقليل..

متى يُنفَخ في الصور؟!

ذُكر النفخ في الصور في اثني عشر مورداً في القرآن، وكالتالي:

قال تعالى:

﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً ﴾ (الكهف:٩٩).

وقال تعالى:

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (المؤمنون:١٠١).

وقال تعالى:

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ (يس:٥١).

وقال تعالى:

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ (الزمر: من الآية٦٨).

﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ (الزمر: من الآية٦٨).

وقال تعالى:

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴾ (ق:٢٠).

وقال تعالى:

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ (الحاقة:١٣).

وقال تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام:٧٣).

وقال تعالى:

﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً ﴾ (طه:١٠٢).

وقال تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ (النمل:٨٧).

وقال تعالى:

﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً ﴾ (النبأ:١٨).

لم يَرْتَب المفسرون في كون كل هذه الموارد تتكلم عن قيام إسرافيل بنفخ الصور النفختين اللتين ذكرهما تعالى في سورة الزمر بقوله:

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ

ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ (الزمر:٦٨).

ولكنهم واجهوا عقبة حقيقية في قوله تعالى في سورة الحاقّة:

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ (الحاقة:١٣).

فكيف يقول في (الزُمَر) بأن النفخ يحصل مرتين ويقول هنا بأن النفخ يحصل مرة واحدة؟! لذا فلم يجدوا محيصاً غير أن يقولوا إن النفخة في سورة الحاقة هي إحدى النفختين في سورة الزمر[1]!! ولكنهم اختلفوا اختلافا بيّناً أية واحدة منهما هي! هل هي النفخة الأولى أم النفخة الثانية من الزمر!! فانقسموا إلى فريقين:

منهم من قال بأنها النفخة الأولى كما هو الحال مع:

الطوسي في التبيان والطبرسي في مجمع البيان والمجلسي في بحاره (واحتمل أنها الثانية على ضعف) والكاشاني التفسير الأصفى ومكارم الشيرازي في الأمثل والطبري في تفسيره والثعلبي في تفسيره والواحدي في تفسيره والسمعاني في تفسيره والبغوي في تفسيره والنسفي في تفسيره وعطاء والرازي صاحب التفسير الكبير والقرطبي في تفسيره عن ابن عباس والبيضاوي في تفسيره والغرناطي الكلبي في تفسيره وأبو حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط والآلوسي في تفسيره وغيرهم.

ومنهم من قال بأنها النفخة الثانية كما هو الحال مع:

الطباطبائي في الميزان ومقاتل بن سليمان في تفسيره وأبو حاتم الرازي

(١) الكشاف- الزمخشري- ج٣- ص٤٠٩

في تفسيره وابن زِمْنين في تفسيره والجلالين في تفسيرهما والسيوطي في الدر المنثور وغيرهم.

وقال السيد عبد الله شبر في تفسيره (هي الأولى أو الثانية!)، ولو كانت النفخة أحد نفختي الزمر فطبعاً ستكون إمّا الأولى أو الأخرى!!

إلا أننا سنضع الألفاظ على مقياس الاستعمال القرآني لنرى كم نفخة ستكون قبل يوم القيامة.

فالآية الأولى (مورد سورة الكهف) وهي مورد الكهف لا شك بأنها تقصد النفخة الثانية لكونه تعالى يقول بعدها:

﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضاً ﴾ (الكهف:١٠٠).

وهذا لا يكون إلا في يوم القيامة.

والآية الثانية (مورد سورة المؤمنون) تشير إلى النفخة الثانية بلا شك لكونه سبحانه قال بعدها:

﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤) ﴾ المؤمنون١٠٢-١٠٤

وها لا يحدث إلاّ في يوم القيامة طبعاً.

وأما الآية الثالثة (مورد سورة يّس) وهو قوله تعالى:

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ (يّس:٥١)

فهذا واضح في كونها النفخة الثانية لكونه تعالى يقول بعدها بآيتين:

﴿ فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (يّس:٥٤).

وهذا يحصل عند الحساب في يوم القيامة.

وأما مورد سورة (قّ) وهو قوله تعالى:

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴾ (قّ:٢٠)

فهو واضح في يوم القيامة وكونها النفخة الثانية إذ أنه سبحانه يقول بعدها:

﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) ﴾ سورة قّ ٢١- ٢٤.

وهذا لا يحدث إلا في يوم القيامة بعد النفخة الثانية.

وعلى ذلك باقي الموارد إلا في قوله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ (النمل:٨٧).

وقوله تعالى:

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ (الزمر: من الآية٦٨).

﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ (الزمر: من الآية٦٨).

وقوله تعالى:

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ (الحاقة:١٣).

وقوله تعالى:

﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً ﴾ (طه:١٠٢).

فمورد الزمر واضح في أن هناك نفختان للصور متعاقبتان، الأولى يُصعَق بسببها من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء ربك، وبعد النفخة الثانية يقوم الخلق المصعوق لينظروا ماذا حدث ثم بعدها تبدأ سلسلة الأحداث الكونية بالتتابع والتي بها يعلن عن قيام يوم الحساب.

لكن الكلام في مورد (النمل) ومورد (الحاقة) ومورد (طه)، إذ أن مورد النمل يتكلم عن(فزع) وليس الفَزَعُ صعْقاً ولا قياماً إذ يقول تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ (النمل:٨٧).

والآية ليست من ضمن السياق السابق ولا اللاحق، مما يجعلنا نرجّح وجود نفخة ثالثة لم يوردها سبحانه ضمن مورد (الزمر) وأوردها ضمن مورد النمل، وبعد ما توصلت لتلك النتيجة وجدت أن هناك ما يفيد ذلك في قول مجهول النسبة! إذ يقول المجلسي[١] (وقيل: إنه ينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات: النفخة الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق التي يصعق من في السماوات والأرض بها فيموتون، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين فيحشر الناس بها من قبورهم " فجمعناهم جمعا " أي حشرنا الخلق كلهم يوم القيامة في صعيد واحد).

---

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٦ – ص ٣١٨ – ٣١٩

وروى أهل السنة مثل ذلك عن أبي هريرة إذ يقول[1] (أن المَلَك له في الصور ثلاث نفخات، نفخة الفزع وهو فزع حياة الدنيا وليس بالفزع الأكبر، ونفخة الصعق، ونفخة القيام من القبور) وهذا ما يدل عليه ظاهر القرآن الكريم. أما مورد (طه) فهو قوله تعالى:

﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً ﴾ (طه:١٠٢).

ولو وضعنا الآية في سياقها الطبيعي فسنعلم المخاطَب بها وزمنه، إذ يقول تعالى:

﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً (١٠٢) يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً (١٠٣) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً (١٠٤) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً (١٠٦) لا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْتاً (١٠٧) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً (١٠٨) ﴾ طه ١٠٢-١٠٨.

فهذه النفخة ليست من نفخات يوم القيامة بل قد تكون نفخة للظهور المقدس للإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، فـ(المجرمون) مجموعة متميزة ورد ذكرها في الظهور في قوله تعالى:

﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ (يس:٥٩).

والمجرمون هم أعداء متميزون للأنبياء، يكون حسابهم في الرجعة قبل يوم القيامة، كما في قوله تعال:

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – ابن عطية الأندلسي – ج ٤ – ص ٢٧٢

﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ (الرحمن:٤١).

وقوله تعالى:

﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ (إبراهيم:٤٩).

وقلنا هناك أن لكل نبي مجرم يعاديه وينصب له الحرب، قال تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً ﴾ (الفرقان:٣١).

لذلك فإن هؤلاء المجرمين يرجعون في الرجعة بعد نفختهم، نقل الحلي في مختصر بصائر الدرجات[1] (عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله (ويوم نحشر من كل أمة فوجاً) قال ليس أحد من المؤمنين قتل إلا ويرجع حتى يموت ولا يرجع إلّا من محض الإيمان محضاً ومحض الكفر محضاً) فهؤلاء المجرمين مُحّضوا الكفر محضاً فيرجعون في الرجعة ولهم نفخة ترجعهم.

لذا قال تعالى هنا:

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً (١٠٦) لا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْتاً (١٠٧) ﴾ طه ١٠٥-١٠٧.

فهنا تكون الجبال متساوية مع الأرض حتى تُظهر الأرض بركتها، وهو استواء للبركة المقبلة وليس هذا المورد كما قال تعالى:

﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ (الحاقة:١٤).

---

(١) مختصر بصائر الدرجات - الحسن بن سليمان الحلي - ص ٤٣

لكون الدك استواء للعذاب وليس للبركة، وهذا يحصل في يوم القيامة، وأما قوله تعالى:

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ ﴾.

فقد ورد أن الداعي هو أمير المؤمنين عليه السلام[1] أو القائم عليه السلام[2].

لذا فمورد سورة الحاقّة وهو قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ (الحاقة:١٣).

لا يمكن أن نقول عنه بأنه غير النفخة الأخيرة، لكونه تعالى يقول بعدها مباشرة:

﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) ﴾ الحاقة ١٤-١٥.

والواقعة التي تقع عندئذ هي ما قال عنها تعالى:

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجّاً (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً (٦) ﴾ الواقعة١-٦

والفرق بين كلامنا هنا وما قالوه عن هذه النفخة هو أننا استدللنا قرآنيا على ذلك. والله اعلم.

---

(١) بحار الأنوار-المجلسي- ج٣٦- ص١٢٧

(٢) بحار الأنوار- المجلسي-ج٣٤- ص١١٦

﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ في القرآن

الذين أوتوا العلم مركَب قرآني يتحدث عن جماعة جرى التطرق اليهم بالمبني للمجهول فالله جل وعلا لم يؤتهم العلم مباشرة- كما الأنبياء- بل قد يكون بالواسطة وقد ورد هذا المصطلح تسع مرات وفي مورد واحد اضيف اليه (الايمان) كما في قوله تعالى:

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (النحل:٢٧).

﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً﴾ (الاسراء:١٠٧).

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الحج:٥٤).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ (القصص:٨٠).

﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٩).

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (الروم:٥٦).

﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (سبأ:٦).

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (محمد:١٦).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (المجادلة:١١).

ومن الموارد التسعة نلاحظ ما يلي:

إنهم ممدوحون في كل الموارد فهم من المؤمنين الكمَّل

انهم شهداء يوم القيامة بشهادة قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (النحل:٢٧).

وقوله تعالى:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ

فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (الروم:٥٦).

ان بعضهم كان من الصحابة بدليل قوله تعالى:

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (محمد:١٦).

ومورد هذه الآية هو في المنافقين فالإجماع على كون سورة محمد مدنية فهؤلاء الذين يستمعون حتى اذا خرجوا سألوا عن معنى كلام النبي صلى الله عليه وآله فهؤلاء المستمعين هم من المنافقين أو من مرضى القلوب إذ يقول الله تعالى بعد هذه الآية:

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧) فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ (١٨) فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (٢١) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤) إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) ﴾.

فالآيات تتكلم عن الارتداد وعن مرض القلب وقد استدللنا على كون مرضى القلوب يفترقون عن المنافقين بكونهم ارتدوا سرا بعد ما آمنوا فانتبه لقوله تعالى (والله يعلم إسرارهم) فهؤلاء المستمعين يسألون (الذين أوتوا العلم) بعد خروجهم من النبي صلى الله عليه وآله.

ان مقام ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ اعلى من مقام الباقين من ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بدليل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة:١١).

ومن درجاتهم التي في هذه الآيات:

هم مخبتون الى ربهم ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ ....(الحج:٥٤).

وفسر الاخبات هنا: أي فتسلِّم وتطمئن وتخشع قلوبهم قد وعدهم الله برفعهم درجات:

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة:١١).

الصحابة منهم مصدقون لما جاء به النبي صلى الله عليه وآله بلا مراء واختبار وإنما يسأل عن الدليل من كان من خارج الأمر كيف والامر نزل في بيوتهم؟!

﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (سبأ:٦).

ولما كان العلم هو علم الكتاب والله يقول:

﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (الأنعام: من الآية٣٨).

وسواء كان الكتاب هنا هو اللوح او هو العلم اللدني او هو علم القرآن فهذه المجموعة تحمل هذا العلم بالواسطة فهم قد (اوتوا العلم) ولم يرد أن الله (آتاهم العلم) بشكل مباشر فالله يؤتي علمه للأنبياء بشكل مباشر عن طريق الوحي كما في قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النمل:١٥).

وبقرينة التعبير القرآني عما كان عند وصي سليمان بأنه ﴿ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ (النمل: من الآية٤٠) لكونه ليس نبيا وبقرينة قوله تعالى:

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ (الرعد: ٤٣) وقد استفاضت الروايات واستدللنا عليها بأن المقصود هنا هو أمير المؤمنين عليه السلام

فيكون (الذين اوتوا العلم) هم اوصياء النبي صلى الله عليه وآله فمنهم من كان صحابيا كأمير المؤمنين عليه السلام وهو الصديق الأكبر الذي لم يشك ولم يسأل عن بينة لتصديق النبي صلى الله عليه وآله وكذلك الحسن والحسن،

وهو الاذن الواعية التي كانت تعلم ما يقول النبي بينما كان بعضهم عم صم لا يفقهون فيسألونه.

وقد تظافرت الأخبار عن أن ما يروونه من المغيبات هو تعلم من ذي علم فهذا أمير المؤمنين عليه السلام لما تكلم عن بعض المغيبات قال له رجل كلبي: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب! فقال له أمير المؤمنين عليه السلام:

(يا أخا كلب ليس هو بعلم غيب، وإنما هو تعلم من ذي علم. وإنما علم الغيب علم الساعة وما عدد الله سبحانه بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الآية، فيعلم سبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أنثى، وقبيح أو جميل، وسخي أو بخيل، وشقي أو سعيد، ومن يكون في النار حطبا، أو في الجنان للنبيين مرافقا. فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله، وما سوى ذلك فعلم علَّمه الله نبيه فعلَّمنيه، ودعا لي بأن يعيه صدري، وتضطمّ عليه جوانحي)(١).

وقد تظافرت رواية الجامعة وهي أمالي رسول الله صلى الله عليه وآله بخط امير المؤمنين عليه السلام فقد روي عن أبي بصير قال(دخلت على أبى عبد الله عليه السلام فقلت له انى أسئلك جعلت فداك عن مسألة ليس هيهنا أحد يسمع كلامي؟

فرفع أبو عبد الله عليه السلام سترا بيني وبين بيت اخر فاطلع فيه ثم

---

(١) نهج البلاغة – خطب الإمام علي عليه السلام – ج ٢ – ص ١٠ – ١١

قال يا أبا محمد سل عما بدا لك قال قلت جعلت فداك ان الشيعة يتحدثون ان رسول الله صلى الله عليه وآله علم عليا عليه السلام بابا يفتح منه الف باب،قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا محمد علم والله رسول الله عليا الف باب يفتح له من كل باب الف باب، قال: قلت له والله هذا لعلم! فنكت ساعة في الأرض ثم قال: إنه لعلم وما هو بذلك، ثم قال يا أبا محمد وان عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة؟! قال: قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟ قال صحيفة طولها سبعون ذراعا بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله واملاء من فلق فيه وخطّ علي بيمينه فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش وضرب بيده إلي فقال: تأذن لي يا أبا محمد قال: قلت: جعلت فداك إنما انا لك اصنع ما شئت، قال: فغمزني بيده فقال حتى أرش هذا كأنه مغضب، قال :قلت: جعلت فداك هذا والله العلم، قال: إنه لعلم وليس بذلك ثم سكت ساعة قال: إن عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر مسك شاة أو جلد بعير قال قلت جعلت فداك ما الجفر قال وعاء احمر أو ادم احمر فيه علم النبيين والوصيين قلت هذا والله هو العلم قال: إنه لعلم وما هو بذلك ثم سكت ساعة ثم قال وان عندنا لمصحف فاطمة عليه السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة قال مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد إنما هو شيء املاها الله وأوحى إليها قال قلت هذا والله هو العلم قال إنه لعلم وليس بذاك قال ثم سكت ساعة ثم قال إن عندنا لعلم ما كان وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة قال

قلت جعلت فداك هذا والله هو العلم قال إنه لعلم وما هو بذاك قال قلت جعلت فداك فأي شيء هو العلم قال ما يحدث بالليل والنهار الأمر بعد الامر والشيء بعد الشيء إلى يوم القيمة)(١).

فهذه مصادر العلم عند أهل البيت وهي تورث كابرا عن كابر فلم ينزل بها جبريل من السماء عليهم بل كلها موروثة عن النبي صلى الله عليه وآله،وقد جاءت الروايات في انحصار ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾بهم عليهم السلام روى فرات الكوفي في تفسيره فقال: حدثني علي بن محمد الزهري معنعنا: عن زيد بن سلام الجعفي قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت: أصلحك الله إن خيثمة حدثني عنك أنه سألك عن قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ فحدثني إنك حدثته أنها نزلت فيكم وأنكم الذين أوتيتم العلم. قال: صدق والله خيثمة لها كذا حدثته.)(٢)

وفي هذا المعنى روايات عديدة.

اعتراض وجواب:

لو قيل إن في الموارد التسعة مورد لم ينزل في امة محمد أصلا بل هو في مورد مدح من كان قبل الاسلام وهو قوله تعالى:

﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْلا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ

(١) بصائر الدرجات – محمد بن الحسن الصفار – ص ١٧١ – ١٧٢

(٢) فسير فرات الكوفي – فرات بن إبراهيم الكوفي – ص ٣١٩ – ٣٢٠

يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ (الاسراء:١٠٧).

وبقرينة قوله تعالى (من قبله) أي من قبل القرآن.

الجواب: لم يرد قول لمعصوم في ذلك اطلاقا وكل ما ورد هي اقوال تفسيرية غير مدعومة بآي القرآن فيبقى احتمال ان المقصود هنا من هؤلاء ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ من قبل نزول القرآن هو أمير المؤمنين عليه السلام فهو كان مع النبي صلى الله عليه وآله قبل البعثة وبعدها فهو يقول عن نفسه(وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة. وضعني في حجره وأنا ولد يضمني إلى صدره، ويكنفني إلى فراشه، ويمسني جسده ويشمني عرفه. وكان يمضغ الشئ ثم يلقمنيه. وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل. ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره. ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما ويأمرني بالاقتداء به. ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري. ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما. أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله، فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال هذا الشيطان أيس من عبادته. إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي. ولكنك وزير وإنك لعلى خير)[1].

---

(١) نهج البلاغة – خطب الإمام علي عليه السلام – ج ٢ – ص ١٥٧ – ١٥٨

فالله جل وعلا قد قرن بالنبي عليه الصلاة والسلام اعظم ملك لديه يسلك به طرق المكارم وعلي صبي يومئذ عنده يتبعه اتباع الفصيل لامه وبالتالي فعلي لا يفعل الا ما يرضي ويرد النبي صلى الله عليه وآله وهذا دليل على عصمتهما من قبل البعثة فعلي مؤمن بالنبي وبما سياتي به في المستقبل فعلي اتاه الله العلم من النبي قبل نزول القرآن فقد يكون هذا المراد من قوله تعالى:

﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْلا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً﴾ (الاسراء:١٠٧).

والله اعلم.

(الوفاة) و(الموت) و(القتل) في القرآن

إن الموت والحياة في القرآن ليس كما نعرف، بل هي مصطلحات لها معانيها الخاصة.

فالموت في عرف البشر هو انتهاء حياة الإنسان على الوجه الطبيعي جراء بلوغ الأجل، أما القتل فهو إنهاء الحياة بفعل تسببي، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (آل عمران:١٥٦).

فالضرب في الأرض يقابله الموت، والغزو يقابله القتل.

لكن هذه معاني الموت والقتل بالنسبة إلى انتهاء الحياة التي تدب في البدن على شكل وضائف الأعضاء، وهناك حياة أخرى وموت آخر إذ يقول تعالى:

﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام:١٢٢).

فالميت هنا هو الضال الذي أصبح حياً بالهداية، وهذا معنى آخر للموت.

على أن الآيات القرآنية تُشعر بأن الحياة والموت بالهداية والضلالة كما هي في الدنيا فهي في الآخرة كقوله تعالى:

﴿ وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً ﴾ (مريم:١٥).

هذا يدل على أن البعض سيُبعثون أمواتا - بمقابلة الذين سيبعثون أحياء - لأنهم غير مهتدين أي سيبعثون ضالين كما قال تعالى:

﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ (الاسراء:٧٢).

بل إنه تعالى يقول:

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل عمران:١٦٩).

فكل من يموت في سبيل الله فهو حي حتى لو أُنهيت نفسه (فيَقتلون ويُقتلون)، فهم مقتولون لكنهم أحياء!!

لكن الاستيفاء جاء مع المؤمنين والكافرين سواء، لكون هذا اللفظ يعني

(الإكمال) لا أكثر، أي أن من جاء أجله فقد حلّت وفاته لكونه استوفى ما كتبه الله له من عمر، فنرى الوفاة استعملت مع الأنبياء وهم أحياء كقوله تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (آل عمران: من الآية٥٥).

وكذلك استعمل مع الظالمين، كما قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (النساء: من الآية٩٧).

وقوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النحل:٢٨).

وكذلك استعمل مع الذين كفروا، كما في قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (الأنفال:٥٠).

إذن يتحصل لدينا:

مُتوفى حي في الدنيا (عيسى عليه السلام)

متوفى مقتول في الدنيا وهو حي في الحقيقة كالشهيد ومن ينطبق عليه عنوانه

متوفى قُتل في الدنيا مبعوث حيا في الآخرة كالمؤمن المقتول ومـن ينطبـق عليه عنوانه

مُتوفى مات في الدنيا مبعوث حيا في الآخرة كالمؤمن الذي مات بغير قتل

مُتوفى قتل في الدنيا مبعوث ميتا في الآخرة كالضال المقتول ومـن ينطبـق عليه عنوانه

ومُتوفى مات في الدنيا مبعوث ميتا في الآخرة كالضال ومن ينطبـق عليـه عنوانه

جنّات الدنيا في عصر الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)

ورد في القرآن الكريم ذكر لفظ (الجنّة) بهيئات مختلفة، وجاء ذكرها مرتبطاً بثواب المؤمنين والذين آمنوا والمسلمين...الخ، ولكن الملفت للنظر إن هذا المصطلح يرتبط أحياناً بالخلود، ولا يرتبط أحياناً أخرى، بل ارتبط في بعض الموارد بما يدل على الدنيا بعد ذكر الجنّة! وعندما نقرأ أقوال المفسرين نجد أنهم لا يتطرقون في القرآن إلاّ لجنّات الآخرة، والتي تُوجد بعد البعث والحساب. فما تأويل ذلك؟

في البداية سنقوم باستعراض الآيات التي ادّعينا أنها تحتوي على ما أوردناه، ثم نقوم بتحليل ما ورد فيها لنستنتج منها نتيجة مفيدة ولنضع أمام ناظرينا قول النبي صلى الله عليه وآله (معاشر الناس تدبروا القرآن، وافهموا آياته)[1].

(١) وسائل الشيعة –الحر العاملي- ج٢٧- ص١٩٣

من الآيات التي ارتبط مصطلح (الجنة) بهيئاته المختلفة فيها بالخلود:

قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيراً﴾ (الفرقان:١٥).

قوله تعالى:

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة:٢٥).

قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة:٨٢).

قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (لأعراف:٤٢).

قوله تعالى:

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (يونس:٢٦).

قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (هود:٢٣).

قوله تعالى:

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (الزخرف:٧١).

قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (آل عمران:١٥).

﴿ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (آل عمران:١٣٦).

إلى باقي الموارد، وهي أربعة وثلاثون مورداً في القرآن الكريم.

أما الموارد التي جاء فيها مصطلح (الجنة) بهيئات مختلفة غير مرتبطة بالخلود فكما في قوله تعالى:

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران:١٣٣).

﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى

بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ (آل عمران:١٩٥).

وقوله تعالى:

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (الزمر:٧٤).

وقوله تعالى:

﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (الحديد:٢١).

قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ (الحجر:٤٥).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (يونس:٩).

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) ... وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) ... مُدْهَامَّتَانِ ﴾ (الرحمن:٤٦-٦٤).

إلى آخر الموارد في القرآن الكريم،وهي مما يقرب من ستة وأربعين موردا.

ولو قمنا باستنباط علاقات معينة، تحكم السياق القرآني المرتبط بالخلود

وغير المرتبط به لنحاول إيجاد الفرق بين المركّبين. لاستخلصنا النتائج التالية:

فلو أتينا إلى الآيات التي ارتبطت بها (الجنّات) بالخلود لوجدناها تتكلم عن الآخرة بقرائن ذاتية الورود ومن داخل النص، مثلا فالنص الأول من سورة البقرة التي استشهدنا به نورده في سياقه في المصحف:

قال تعالى:

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥) ﴾ البقرة(٢٣-٢٥).

فالآيات وبقرينة المقابلة بين النار المُعَدّة للكافرين، ثم مقابلتها بالجنات المرتبطة بالخلود، تتكلم جزما عن دار البقاء في الآخرة، فمنها من يذهب إلى النار ومنهم من يذهب إلى الجنة، وهذا مختص بنتيجة الحساب الأخروي.

وأما الآية الثانية، فسندرجها في سياقها القرآني لنعرف من خلاله ما تعنيه:

قال تعالى:

﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ

يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨٢) ﴾. البقرة(٨٠-٨٢)

فالسياق واضح بالكلام عن الخلود في النار والخلود في الجنة، وهو قطعا لا يكون إلا في الآخرة وبعد الفراغ من الحساب.

والآية الثالثة التي أوردناها لو أُدرجت في سياقها لعلمنا أنها لا تختلف عن الآيات السابقة في أنها تعني الآخرة فقوله تعالى:

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (٢٦) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (٢٧) ﴾ يونس (٢٦-٢٧).

وهي واضحة في مقابلة الخلود في الجنات بالخلود في النار، وهذا الخلود من الجانبين لا يكون إلا بعد الفراغ من الحساب كما عليه إجماع الأمة.

وكذلك الآيات الباقيات لا تخلو من وجود تصريح أو قرينة قوية تؤدي إلى فهم أن الخلود متى ما ورد مرتبطا بالجنة فهو في الآخرة، فضلا عن مدلول الخلود الواضح بنفسه.

أما الآيات التي لا ترتبط (الجنّات) فيها بالخلود فسنستعرض بعضها لنرى ما تريد إيصاله وما هو الفرق بينها وبين مجموعة الآيات التي ارتبطت بالخلود.

فقوله تعالى في الآية الأولى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) ﴾. آل عمران ١٣٣-١٣٦.

فسبحانه وتعالى تكلم في البداية عن جنّة عرضها السموات والأرض! وهذا في الدنيا وليس في الآخرة لقوله عن الآخرة ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ (إبراهيم: ٤٨) وقد ورد في المأثور عن أهل البيت عليهم السلام أنها تبدل بخبزة بيضاء نقية يأكلون منها حتى يفرغ الناس من الحساب[١].

وسبحانه وتعالى ذكر (السموات والأرض) بالتعريف، فهو يقصد العهد الذهني، وقد أُعدت هذه الجنة للمتقين وهم الذين عرفهم بقوله:

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾.

ثم اختتم السياق القرآني والمقطع الحالي بقوله:

﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

---

(١) تفسير القمّي- ج١ - ص٢٣٣

ثم شرع تعالى بمقطع قرآني آخر بقوله:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ فأولئك ﴿ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾.

فجاء الآن بمصطلح الخلود مرتبطا بالجنات! وهذا يدعو للتفريق بين (جنة) مفردة عرضها السموات والأرض، وبين (جنات) خالدين فيها.

وأما الآية الثانية: فقوله تعالى:

﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ (آل عمران١٩٤-١٩٥).

فلو أكملنا السياق لكانت الآيات تصرح:

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (١٩٨) ﴾ (آل عمران ١٩٦-١٩٨).

فتراه سبحانه يتكلم عن جنات الخلود بعدها بآيتين، مما يجعلنا نرجح بان ما كان يتكلم عنه في الآية ١٩٥ ليس بجنات أخروية بل دنيوية. إضافة لقوله تعالى بعدها في ذيل الآية نفسها ﴿ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ فقال سبحانه ﴿ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّه ﴾ ثم قال سبحانه ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ فهذه الجنات ليست هي حسن الثواب وغنما حسن الثواب عند الله أي في حياة الخلود وجنات الخلود وبهذا يكون هناك ثواب دنيوي بجنّات الدنيا وثواب أخروي بجنات الخلود.

وأما الآية الثالثة: فقوله تعالى:

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (الزمر:٧٤).

فقد وردت في السياق التالي:

﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠) وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) ﴾ الزمر(٧١ - ٧٤).

فالآيات كانت تتحدث عن إشراق الأرض بنور ربها، ثم خلود اللذين كفروا في جهنم وخلود الذين اتقوا في الجنة، ثم نقل سبحانه قول الذين أورثهم الأرض وهم في رياض الجنة!

فأما إشراق الأرض بنور ربها فهو في الدنيا عند ظهور القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، كما جاء في العديد من الروايات كرواية الإمام الصادق التي ينقلها الكاشاني عن المفيد بقوله[1](عنه عليه السلام قال إذا قام قائمنا أشرقت الأرض بنور ربها واستغنى العباد عن ضوء الشمس ونور القمر وذهبت الظلمة ووضع الكتاب للحساب وجئ بالنبيين والشهداء).

لذا فالآيات ٧١-٧٢-٧٣ كانت تتكلم عن الحساب والخلود وهو شأن الآخرة ثم رجعت الآيات لتقول:

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (الزمر: ٧٤).

فمتى هذا التوريث الذي حصل للأرض؟!

الجواب: هو بالتأكيد عند إشراق الأرض بنو ربها! عند ظهور الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف والذي تعنيه الآية ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (القصص: ٥).

---

(١) التفسير الصافي - الفيض الكاشاني - ج ٤ - ص ٣٣١

وكذلك في قوله تعالى:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (النور:٥٥).

إذن فالذي قاله هؤلاء الوارثون كان يتعلق بجنة دنيوية على الأرض سنأتي على مواصفاتها لاحقا إن شاء الله.

إشكال وردّ:

وردت جنات عدن غير مرتبطة بالخلود تارة ومرتبطة به تارة أخرى فكيف يكون ذلك على قولكم بالتفريق؟!

الجواب: نحن نقول بأن كل ما ارتبط المصطلح بالخلود فهو يعني الآخرة بلا عكس فلو لم يرتبط المصطلح بالخلود فيمكن أن يعني انه يتحدث عن الآخرة وممكن أن لا يعني ذلك ويعرف ذلك بدلائل سياقية، أو قرائن واضحة ذاتية.

من هنا فنحن نستنتج أن القرآن الكريم ذكر نوعين من (الجنات) جنات في الآخرة يُخلّد الداخلون فيها، و(جنات) لا ترتبط بالخلود قرآنياً، يمكن أن تكون في الآخرة ويمكن أن تكون في الدنيا، بل إن بعضها ارتبط بآيات تخص ظهور الإمامعجل الله تعالى فرجه الشريف مما يجعلنا نرجّح أنها تخص عصر ظهور الإمام.

ولفظ (الجنة) لا يختص بالآخرة من حيث المصطلح اللغوي، بل هو يعني البستان، الحديقة الكبيرة، الأرض المعشبة المنبتة،قال الفراهيدي [١] (الجنة هي الحديقة وهي بستان ذات شجر ونزهة) وقال الجوهري[٢] (والجنة، البستان، والعرب تسمي النخيل جنة) وقد يكون هذا اللفظ أي(جنة) أطلق لكون البستان يجتن أي يستر بورق الشجر والنخيل وباقي النباتات[٣]. وقد ورد في القرآن في موارد عدة ذكر الجنة وأراد بها بساتين الدنيا منها:

في حوار الرجلين اللذين ذكرهما القرآن:

﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً ﴾ (الكهف:٣٢).

ومنها:

قوله تعالى وهو يذكر النعمة التي أنعمها على أهالي سبأ:

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ .(سبأ:١٥-١٦).

ومنها:

---

(١) العين- الفراهيدي - ج٦- ص٢٢

(٢) الصحاح- الجوهري- ج٥- ص٢٠٩٤

(٣) معجم مقاييس اللغة - احمد بن فارس زكريا- ج١- ص٤٢١

ما في المثل الذي ضربه الله:

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقرة:٢٦٦).

ومنها:

ما حكاه الله عن كفار قريش واعتراضهم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً ﴾ (الفرقان:٨).

إذن فليس بدعا من القول أن هناك أنواعا أخرى من الجنات لم يكشف عنها من قبل، موجودة في القرآن! بل هي أفضل الجنات في الدنيا. فهي الجنات التي ستكون لمن يرث الأرض مع القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وقد تكون الآية ناظرة الى ذلك إذ يقول سبحانه:

﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا

وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥) لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (١٩٨) ﴾ (آل عمران ١٩٤-١٩٨).

فهم قد غفر الله لهم وأدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار فكيف يرجع فيقول (ولكن الذين اتقوا...)!! ولماذا ارتبط الخلود بالجنات الثانية ولم يرتبط بالجنات الأولى؟! حتى انه ورد في تفسير علي بن إبراهيم (والذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم يعنى أمير المؤمنين عليه السلام وسلمان وأبا ذر حين اخرج وعمار الذين أوذوا في الله وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب)(١)

وأمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه سيرجعون في الرجعة، إذ قد ورد أن من محض الإيمان محضا ومن محض الكفر محضا يرجعون في الرجعة ليعيشوا في جنات الأرض (٢).

ولما كان الله لا يخلف الميعاد ولكونه قال سبحانه:

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً

---

(١) تفسير نور الثقلين – الشيخ الحويزي – ج ١ – ص ٤٢٥

(٢) مختصر بصائر الدرجات– الحسن بن سليمان الحلي – ص ٤٣

(١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً(١٢) ﴾ (نوح١٠-١٢).

فارتبط جعل الجنات وإظهارها بالاستغفار والتوبة والإنابة، فكيف في عصر الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف والذي تملأ الأرض قسطا وعدلا في زمنه وتتكامل العقول وتبسط الشريعة في الأرض مما هو مذكور في عشرات الروايات الصحيحة؟! إذ أن هناك علاقة وثيقة بين العدل والخير،روي عن الإمام الباقر عليه السلام[1] (ما أوسع العدل إن الناس يتسعون إذا عدل فيهم وتنزل السماء رزقها وتخرج الأرض بركتها بإذن الله تعالى)..

وقد ورد في السنة ما يسند ذلك (جنات عصر الظهور) ومن ذلك:

ما رواه الحاكم النيسابوري (لا تقوم الساعة حتى تعود بلاد العرب مروجا وأنهارا)[2].

وما روي من أن[3] (رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم قال: لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويقبض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا).

---

(١) سنن الإمام علي عليه السلام - لجنة الحديث / معهد باقر العلوم عليه السلام - ص ٤١٥ - ٤١٦

(٢) المستدرك - الحاكم النيسابوري-ج ٤- ص٤٧٨

(٣) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام للشيخ علي الكوراني العاملي: ج١، ص٢٧٥

والمروج هي الجنات الأرضية التي تجري من تحتها الأنهار، فأرض العرب القاحلة منذ آلاف السنين ترجع خضراء تملؤها الأشجار والغابات وتتفجر خلالها الأنهار بفعل بركة ظهور الإمام وقيام الحكم العادل.

وروى الأربلي[١] (بإسناده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يخرج المهدي في أمتي يبعثه الله غياثا للناس، تنعم الأمة وتعيش الماشية وتخرج الأرض نباتها ويعطى المال صحاحا).

وروى الكجوري عن أمير المؤمنين عليه السلام فيما يخص الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف[٢] (يملأ الأرض عدلا وقسطا ونورا وبرهانا، يدين له عرض البلاد وطولها، حتى لا يبقى كافر إلا آمن، ولا طالح إلا صلح، وتصطلح في ملكه السباع، وتخرج الأرض نبتها، وتنزل السماء بركتها، وتظهر له الكنوز، يملك ما بين الخافقين أربعين عاما، فطوبى لمن أدرك أيامه وسمع كلامه).

أوصاف جنّات عصر الظهور: -

عند ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سيقوم بفتح أطباق السموات على الأرض، ويقوم بوصل الكواكب المأهولة مع الأرض، إذ ورد في الحديث (أما انه سيركب السحاب ويرقى في الأسباب أسباب

(١) كشف الغُمّة - ابن أبي الفتح الأربلي - ج ٣ - ص ٢٧٠

(٢) الخصائص الفاطمية - الشيخ محمد باقر الكجوري - ج ٢ - ص ٥٧٦

السموات السبع والأرضين السبع...)[١] وجاء في حديث آخر إن الناس في زمنه (يَرقون الظُلمة)[٢] أي يصعدون في الفضاء الخارجي بواسطة الصواريخ والمكوكات الفضائية المتطورة، بل سيكشف الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريفحتما عن (الطرائق السبعة) التي وردت في سورة (المؤمنون١٧) والتي عن طريقها سيتم الوصول الى الكواكب البعيدة بأدنى زمن، وهذا كله ببركة علم الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف والذي ورد إن كل ما جاءت به الرسل وعرفه الناس هو حرفان من العلم، فإذا ظهر القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف اخرج خمسة وعشرين حرفا فأصبحت سبعة وعشرين حرفا من العلم[٣]. فبفضل حرفين من العلم وصلت وكالات الفضاء العالمية الآن إلى مديات رهيبة في الاستكشافات الفضائية فكيف سيكون الحال مع سبعة وعشرين حرفا؟!!

لذا فليس من المستغرب أن تتغير أسس الحياة وطبيعتها على الأرض، سواء للكائنات الذكية (مثل الإنسان) أو حتى لغير الذكية (كالحيوان والنبات) إذا افترضنا القول الشائع بأن الحيوان والنبات كائنات تملك غرائز وصفات وراثية تسير عليها بلا حياد عن ذلك! فبعض الآيات القرآنية لا يمكن أن تفسر إلا على هذا الفرض كقوله تعالى:

---

(١) بصائر الدرجات- الصفار- ص٤٢٩

(٢) الملاحم والفتن- ابن طاووس- ص١٦٣

(٣) مختصر بصائر الدرجات- الحسن بن سليمان الحلي- ص١١٧

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٦١).

فهل تظن أن الله سبحانه وتعالى ضرب هذا المثل عبثا؟! كلا، فسيأتي اليوم الذي تنبت فيه حبة القمح سبع سنابل وتعطي سبع مئة حبة! وما هذا اليوم ببعيد، حتى أننا نرى دولا مشهورة بالقمح كاستراليا وكندا وأميركا تكون معدلات الإنتاج عندها للدونم الواحد أضعاف معدلات الإنتاج عند غيرها من الدول، وهذا لا يرجع للأرض وحدها ولا للمناخ وحده بل للوسائل المتطورة في الزراعة، فإذا كان كل ذلك بحرفين! فكيف سيكون الحال بسبعة وعشرين حرفا؟! وهذا التغيير الكوني ذكر في الكتب السماوية السابقة (وبقي رغم تحريفها) كما ذكر في القرآن فقد ورد في إنجيل لوقا[1]:

(٢٠ ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها. ٢١ حينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال. والذين في وسطها فليفروا خارجا. والذين في الكور فلا يدخلوها. ٢٢ لأن هذه أيام انتقام ليتم كل ما هو مكتوب. ٢٣ وويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام لأنه يكون ضيق عظيم على الأرض وسخط على هذا الشعب. ٢٤ ويقعون بفم السيف ويسبون إلى جميع الأمم. وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم ٢٥ وتكون علامات في الشمس والقمر والنجوم. وعلى الأرض كرب أمم بحيرة. البحر والأمواج تضج. ٢٦ والناس يغشى عليهم من خوف

(١) العهد الجديد – إنجيل لوقا – إصحاح ٢١ – من ٢٠ الى ٣٠

وانتظار ما يأتي على المسكونة لأن قوات السماوات تتزعزع. ٢٧ وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا في سحابة بقوة ومجد كثير. ٢٨ ومتى ابتدأت هذه تكون فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم لأن نجاتكم تقترب. ٢٩ وقال لهم مثلا. أنظروا إلى شجرة التين وكل الأشجار. ٣٠ متى أفرخت تنظرون وتعلمون من أنفسكم أن الصيف قد قرب. ٣١ هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذه الأشياء صائرة فاعلموا أن ملكوت الله قريب).

فالمثل الذي ضربه المسيح عليه السلام فيه إشارة واضحة لربط المجد والعهد الجديد بشجرة التين وكل الأشجار وثمرها! فالعلامات التي ذكرها في الشمس قد وردت عند المسلمين بروايات كثيرة، وهي تنبئ عن تغيير كوني يلقي بظِلاله على النفوس، فيغير طبيعتها جذريا، وكذلك يتغير المناخ فتجد الفاكهة التي جاء في الروايات إن عدة رجال يأكلون عنقود العنب فلا يستطيعون أن يكملوه من ضخامته وبركته! وتتغير طبيعة الحيوانات وتتبدل السلسلة الغذائية، فالحيوانات التي تقتات على اللحم تغير طبيعتها إلى العشب، وما هذا إلا لتغيير شامل على الأرض يغير معه كل القواعد السابقة للعيش، جاء في سفر إشعياء[1]:

(١ ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله ٢ ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب. ٣ ولذته تكون في مخافة الرب فلا يقضي بحسب نظر عينيه ولا يحكم

(١) العهد القديم – سفر إشعياء – إصحاح٢١ – من١الى ١٠

بحسب سمع أذنيه. ٤ بل يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض ويضرب الأرض بقضيب فمه ويميت المنافق بنفخة شفتيه. ٥ ويكون البر منطقة متنيه والأمانة منطقة حقويه ٦ فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدي والعجل والشبل والمسمن معا وصبي صغير يسوقها. ٧ والبقرة والدبة ترعيان. تربض أولادهما معا والأسد كالبقر يأكل تبنا. ٨ ويلعب الرضيع على سرب الصل ويمد الفطيم يده على حجر (كذا) الأفعوان. ٩ لا يسوؤون ولا يفسدون في كل جبل قدسي لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر. ١٠ ويكون في ذلك اليوم أن أصل يسىّ القائم راية للشعوب إياه تطلب الأمم ويكون محله مجدا). والمثير إن النص التوراتي ذكر الإمام صريحا بأنه (أصل يسّي القائم)! فهل أن معناه: هو القائم من آل يس؟!

لذا فقد ورد في المأثور بأن الأرض تخرج أفاليذ كبدها كما هو:

شرح نهج البلاغة[١] (ألا وفي غد وسيأتي ما لا تعرفون يأخذ الوالي من غيرها عمالها مساوئ أعمالها وتخرج الأرض أفاليذ كبدها وتلقي إليه سلما مقاليدها)

وفي ميزان الحكمة عن أمير المؤمنين عليه السلام[٢](لو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها، ولأخرجت الأرض نباتها، ولذهبت الشحناء من

(١) شرح نهج البلاغة – إبن أبي الحديد– ج٩ – ص٤١

(٢) ميزان الحكمة – محمد الريشهري – ج ١ – ص ١٨٧

قلوب العباد، واصطلحت السباع والبهائم، حتى تمشي المرأة بين العراق إلى الشام لا تضع قدميها إلا على النبات، وعلى رأسها زنبيلها لا يهيجها سبع ولا تخافه).

وقد روي عن الإمام السجّاد عليه السلام[(١)] (إذا قام قائمنا أذهب الله عن شيعتنا العاهة، وجعل قلوبهم كزبر الحديد، وجعل قوة الرجل منهم قوة أربعين رجلا، ويكونون حكام الأرض وسنامها).

إلى غيرها من الأحاديث الصريحة في تغير النفوس في تلك الأيام فيتغير أسلوب الحياة ويشيع العلم وتنعدم الغريزة الافتراسية عند الحيوانات المفترسة، وتنعدم القدرة على اللدغ عند الأفاعي وأمثالها من الحيوانات، وتعيش الحيوانات العشبية مع الحيوانات اللحمية بلا خوف ونزاع لغياب الداعي لذلك، ويأمن الناس على أنفسهم فترى النساء يتنقلن في البوادي (التي تصبح مروجا خضراء) بلا خوف ووجل، وتنعدم الأمراض بفعل التغير المناخي من جهة وبفضل العلم والطب المتقدم من جهة ثانية، وتتضاعف القوة الجسدية عند الإنسان لتصبح أضعافاً مضاعفة، وتنزل السماء قطرها في مواقيت دقيقة فتخرج الأرض كامل طاقتها من الإنبات، فترى المحاصيل الوفيرة المتنوعة والغابات الواسعة والأراضي المعشبة والسهول الفسيحة تملأ الأرض فتكون بحق ﴿جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ ومنها جنّتان قرب الكوفة إذ جاء في الحديث الشريف الذي يتحدث عن قتل إبليس في عصر

---

(١) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - ص ١٨٧

الظهور (وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما حوله بما شاء الله) [1].

وعندما يرى المؤمنون الأرض وقد امتلأت ﴿جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ فيكثرون التحميد والتسبيح بقولهم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ وبذلك يتم الوعد الإلهي ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥).

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام للشيخ علي الكوراني العاملي: ج٤، ص٩٣ ـ ٩٤

مؤمن آل فرعون

في القرآن الكريم تجد شخصياتٍ سُلّط عليها الضوء بشكل مباشر، فلا تجد مناصاً من مراقبة سكناتهم وحركاتهم وأقوالهم المبثوثة في القرآن، لكون الشخصية واضحة المعالم في الاسم والعنوان والظروف المحيطة بالقضية، كشخصية موسى وعيسى ونوح عليهم السلام، وتجد أيضا الشخصيات التي يكون وجودها ساندا ويشكّل خلفية تهدف إلى ما وراء البعثة والحوارات التي تكتنفها، مثل شخصية مؤمن آل فرعون.

فهذا (الرجل) يظهر في القرآن في موضعين فقط لكنه يترك تأثيرا على رسالة موسى بمجملها لكونه السبب في إنقاذ حياة موسى عليه السلام ولمرتين.

وقد أكثر المفسرون من تخميناتهم بالقربى التي كان عليها هذا (الرجل) من فرعون، فبعضهم قال بأنه خازنه، وبعضهم قال بأنه ابن عمه، وكثير منهم قالوا بأنه كان مؤمناً بموسى (مع أن موسى لم يبعث بعد!) ومنهم من

قال بأن اسمه حزقيل ومنهم من قال بأن اسمه حبيب ومنهم من قال بأن اسمه شمعون. وكل هذا ليس وراءه طائل إلا أن يرد في القرآن أو السنة القطعية وعلى كل حال فليس لاسمه ولا لموقعه أهمية إلا مما نقله القرآن لحكمة ما، لذا فالسير مع الآيات القرآنية والتأمل فيها ممكن أن يأتي بنتائج وثمار شهية.

قال تعالى:

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (القصص:٢٠).

أول ما يلفت النظر إنه تعالى ذكر هذا الشخص بقوله (رجل)، وتنكيره قد يكون هادفاً لإبراز أهمية دوره وليس اسمه، وهذا مما لم يُعْره الكثير بالاً، فرووا روايات عديدة في اسمه وماذا كان! وقوله تعالى: (وجاء رجل) يركز النظر على الرجل وعلى دوره بغضّ النظر عن المكان الذي ذكره سبحانه بقوله (من أقصى المدينة)، والمدينة هي (طيبة) عاصمة الفراعنة، ومن المعروف أن أغلب آثار المدينة الباقية الآن هي آثار شمال المدينة، ولما أفاد السياق كون هذا الرجل آتيا من (الملأ) وهم قادة وأصحاب الرأي في مملكة فرعون، ويجب أن يكون فرعون منهم، أفاد ذلك كون مكان حكم الفرعون في أقصى المدينة في الطرف الأبعد منها من مكان تواجد موسى، وهذا يعطي الانطباع بأن القصر الملكي كان في طرف المدينة.

ومدينة طيبة كانت عاصمة الفراعنة من الأسرة السادسة أو السابعة إلى الأسرة الثلاثين قبل سقوط مصر النهائي كدولة مستقلة بيد الاسكندر

اليوناني، وتقديمه تعالى لذكر الرجل على المدينة للنكتة التي ذكرناها، وبعكسه ما قاله تعالى في سورة (يس) إذ يقول تعالى:

﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ (يّس: ٢٠) فقدم أقصى المدينة على الرجل لأهمية المكان في تلك الآية.

وقوله تعالى (يسعى) يشير إلى أهمية الأمر عند هذا (الرجل) إذ أن السعي هو العدو والركض ليس الشديد، أي أنه كان يهرول ليخبر موسى بهذا الخبر المهم وهو:

﴿ يا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾.

والملأ هو أكابر القوم من فرعون وحاشيته كهامان وغيرهم، وقد تشاوروا ليقتلوا موسى بعد حادثة القبطي الذي قتله موسى، ولما كان هذا (الرجل) مطلعا على تشاور الملأ في القصر الملكي أفاد ذلك كون هذا الرجل مقرباً منهم، أو أنه منهم تقيةً، وهذا ليس ببعيد خصوصا مع أنهم وفي زمان أسبق كان المصريون يعيشون زمان النبي يوسف، أي أنهم كانوا يعلمون بأمر الرسالات السماوية التي قال عنها سبحانه:

﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر: من الآية٢٤).

لذا فكون الرجل من الملأ أو أنه مقرباً منهم ظاهر في الآية، ويؤكده ما جاء في قصة موسى وما قاله هذا الرجل بعد رجوع موسى عليه السلام من مدين بعد هروبه من مصر (على الفرض المشهور من كونه الرجل نفسه). من

هنا نعلم بأن هذا الرجل قد يكون على الحنيفية، دين إبراهيم الذي بشّر بها يعقوب ويوسف في مصر، إذ أن موسى عند قتله القبطي لم يكن مرسلاً بعد، وليس هناك في القرآن ما يدل على كونه قد جاء بشيء من ذلك مثلاً قبل هذه الفترة، كما فعل يحيى وعيسى، لذا فقد استعجل العديد من المفسرين بنسبة الإيمان بموسى من هذه الرجل، فلا دليل على ذلك في هذه الفترة، أما كونه ناصحاً لموسى فهذا يدل على استقامته وكونه موحّداً أُعجب باستقامة موسى عليه السلام وكونه لا يعبد الأوثان، وهذا أقرب للسياق وما تدل عليه الآية. وتفصيل قصة هذا الرجل جاء في سورة غافر في قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (غافر:٢٨)

والمشهد الآن هو بعد أن أقام موسى الآيات التي أُرسل بها إذ قال فرعون عندها.

﴿ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ (غافر:٢٦).

إذ أُسقط في يد فرعون، فلم يدرِ ما يفعل إلا أن يشاور ملأه ليقتل موسى، عندها قال ذلك (الرجل) المؤمن كلامه وكلامه يدل على حكمته وبُعد نظره، وعلى كونه عالماً بأن فرعون مُسرِف كذاب، لكنه كان يتّقيه

وملأه، لذا فقد كان نهيه عن المنكر من مقامه الذي كان فيه ذا فائدة عظيمة للديانة التوحيدية.

ومن جديد يضع القَدَر هذا (الرجل) في مقام الامتحان أمام الملأ وفرعون الذين تشاوروا مرة أخرى، وبعد عشر سنوات من تشاورهم الأول لقتل موسى، وعندها ينتفض هذا الرجل المؤمن ليقول كلمة الحق التي أراد أن تكون حجة إضافية على فرعون وملأه فقال:

﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ﴾ (غافر- ٢٨).

لكن فرعون لا يستجيب إذ أن الرَين استولى على قلبه الأسود فنراه يقول:

﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (غافر:٢٩)

وهذه صفة أخرى رديّة من صفات المتجبرين، فحرمان الناس من حق التفكير وقهرهم في بوتقة تفكير الحاكم ووحدانية الحاكم وسطوة الحاكم هي رشحة من رشحات الإحساس الكاذب بالإلوهية من الحاكم المتجبّر.

وهذا استدعى الرد من الرجل المؤمن الذي يظهر أن لديه عِلماً من أخبار الأولين ونبواهم، وهذا ما يكشف عن بعد آخر في شخصيته الفذة، إذ يقول:

﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ (٣١) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (٣٤) الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥) ﴾ (غافر٣٠-٣٥).

وكلامه حول قوم نوح وعاد وثمود ثم تخصيصه لنبوة يوسف يشير إلى البعد العلمي التاريخي الإيماني لهذه الشخصية (المظلومة)، التي لم يُعر اغلب الناس بالاً لها وهم يتلون القرآن. وبعد جداله العنيف والواضح الذي لا يقبل اللبس لفرعون وملأه، نرى فرعون وقد أشاح بوجهه عنه غير راضٍ لما يقول بل ولم يصغ حتى للحوار معه، ويتوجه بالكلام لهامان الذي كان حاضرا لكونه من بطانته الظالمة:

﴿ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِباً (٣٧) ﴾ (غافر٣٦- ٣٧)

وتوجه فرعون لهامان بهذا الأمر يكشف عن مقام هامان في بلاط فرعون، إذ يظهر انه المتنفّذ الأول في المملكة، فهو المسئول عن تنفيذ رغبات فرعون وأوامره، وقد وُجد في بعض الكتابات المصرية أن هامان كان رئيس

المهندسين في مصر في أحد العصور، وهذه الكتابة لم تكن مؤرّخة حتى يُعلم بأي عصر كان، لهذا طلب منه فرعون بناء صرح لمقابلة رب موسى على زعمه!.

وفرعون هنا يطلب منه أمراص خطيراً وهو أن يصنع له بناء ليبلغ به (الأسباب)، والبلوغ هو الوصول إلى نهاية الإرب، أي انه كان يريد أن يصل إلى مدى يعتقد أنه ليس بعده مدى في السماء وعندها يمكن أن يطلع ويرى (إله موسى) كما يظن! وهذا الكلام ليس بغريب على من يرى أن الإلهة تسكن في أماكن معينة وتصعد إلى السماء يوميا وتنزل منها (كما كان يدعي المصريون في الآلهة التي عبدوها)، وطلبه هذا كان خدعة لا أكثر إذ أن فرعون كان مستيقناً بحقانية الدعوة الموسوية، وكما قال تعالى عنه وملأه:

﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (النمل:١٤).

فقوله تعالى هذا عن الداخل النفسي لفرعون يفسّر لنا قول فرعون:

﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (القصص:٣٨).

فلو كان صادقاً في قوله: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾.

فكيف يقول بعدها: ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾.

فلو كان صادقا بنفي الإلوهية عن غيره لكان على يقين بعدم وجود إلهاً غيره لموسى!

لذا قال تعالى عنه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾.

ولما كان فرعون لا يستحق الهداية بعد أن أُقيمت الحجة ولم يلتفت إليها، فقد زين الله له سوء عمله، وهنا يرجع الخطاب للرجل المؤمن الذي لم يرتضِ طلب فرعون من هامان فنراه يقول:

﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (غافر ٣٨-٤٠).

فنرى الرجل المؤمن هنا لا يصرح بإيمانه بموسى بل هو ينصحهم باتّباعه حتى يهديهم سبيل الرشاد، إذ أنه لو صرح بأنه ينصحهم باتباع موسى لكان قد خسر مكانته التي يخدم بها الدين التوحيدي الموسوي من خلالها، لذا فإنه لجأ لنصيحتهم ليتبّعوا مشتَركات كانت تنادي بها الديانات السماوية كلها ومنها دعوة يوسف في مصر والتي ما تزال حية في أذهان الناس ولم تَبْلَ.

لذا قال لهم:

﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾.

وهنا إشارة من الرجل إلى البعث والنشور الذي كانت حتى الوثنية

المصرية لا تنكره ولكنها تتأوله بما بعد الموت مباشرة وليس في يوم القيامة، إذ كانت الميثلوجيا المصرية تؤمن بأن الفرعون يحيي بعد موته في هذا العالم ويشق موج البحار بسفينته التي دفنوها معه الى (دوات) العالم السفلي ليكون مع (أوزوريس) فيُخلّد إلى الأبد. وهذا بعث من الموت وإن كان على نحو مختلف.

وهذا التدرج في الدعوة ضروري لقوم مثل الذين كان معهم هذا الرجل، ثم نراه يقول لهم:

﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

وهذا أيضا مبدأ عاما يشترك به كل الديانات السماوية، وهنا نراه يشير إلى شرط الإيمان ولكنه لم يقل أي إيمان، وهذا ما يجعلنا نعتقد بأن هامشاً من الحرية الدينية كان موجوداً ويسمح لمثل هذا الرجل بأن يشير إلى الإيمان بأمور لا توافق الديانة الرسمية، وهو بحضرة كبار المسئولين في البلاد ومنهم فرعون.

ثم يردف الرجل المؤمن وهو يوجه كلامه للملأ الحاكم في مصر:

﴿ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ(٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ(٤٢) لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) ﴾ غافر٤١-٤٤.

وهنا يصدح بأهم ما يجول في خاطره وبدون أن يصرّح باسم موسى،

مع أنه من أتباعه في هذه الفترة الزمنية، فهو يذكر إنه يدعوهم إلى الجنة وهي الدعوة إلى العزيز الغفار، بينما يقول لهم : إنكم تدعونني إلى النار وهو الإشراك بما ليس لي به علم، ثم يجهر بأن ما يدعونه من ديانة ليس لها أصل في ديانة سماوية ولم يأت بها احد يقول أنا من عند الله. وهذه ليست كما أدعوكم إليه فقد جاءت به آلاف الأنبياء وأصحاب المعاجز والآيات البيّنات.

وبعد كل هذا الأخذ والرد ينقلنا سبحانه في كلماته إلى النتيجة النهائية للحوار العنيف بين الرجل المؤمن وبين الملأ الكافر، إذ أنهم بدؤوا يكيدون له كيدا ويمكرون له مكرا مما قاله تعالى في كتابه :

﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ (غافر:٤٥).

إذ أن الله وقاه سيئات المكر الذي كان يمكرون به له لّما شكّوا في أمره، وهذا أمر طبيعي لمن هم في درجتهم من اسوداد القلب وقبح العقيدة، ويقص الله تعالى مكان هؤلاء الملأ بعد موتهم إذ يقول جلّ وعلا :

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ (غافر:٤٦).

فهذا العذاب الذي يعانون منه يوميا والى قيام الساعة هو من عذاب البرزخ الذي يستمر عليهم من لدن غرقهم في البحر بعد عبور موسى واتبّاعهم له لقتله إلى قيام الساعة، ومع ذلك وهم في هذه الشدة والمحنة نرى أنه سبحانه ينقل لنا محاورة عجيبة طرفاها هم الملأ المستكبرون من أصحاب فرعون والمستضعفون من أصحابه يقول تعالى :

﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا:

إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِنَ النَّارِ (غافر:٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا:

إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ (غافر:٤٨).

فهؤلاء المساكين من المستضعفين الذين كانوا تحت الهيمنة الروحية الكاذبة للديانة الوثنية المصرية يقولون للملأ المستكبرين ﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِنَ النَّارِ ﴾ وهذا مطلب طبيعي لمن هم مثلهم، فقدكانوا يعتقدون بأن عبادهم للفراعنة هي فرع لعبادهم للآلهة، لكون الفرعون ابن الإله وبعد هذا الحوار يطلب الطرفان من خزنة جهنم أن يخفف الله عنهم من العذاب بقولهم :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ:

ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذَابِ ﴾ (غافر:٤٩).

فيقول لهم الخزنة :

أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ؟

قَالُوا: بَلَى

قَالُوا: فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلالٍ ﴾ (غافر:٥٠).

فهم هنا يعترفون أخيراً بأن يوسف وموسى كانوا رسلاً أصحاب بيّنات ويختم سبحانه هذه القصة بقوله :

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ (غافر:٥١).

والظاهر أن (رسلنا) هنا لا تختص بأصحاب الرسالات السماوية فقط، لكونه هنا في مقام العبرة من فعل مؤمن آل فرعون ومن فرعون ومَلَئه، فقد يكون المقصود من رسلنا كل من كان مرسلاً برسالة إلهية وفي جملتهم مؤمن آل فرعون.

(مرج البحرين يلتقيان)!

قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (٢٢) ﴾ (الرحمن ١٩-٢١).

أجمع المفسرون على أن الآية تقصد (يخرج من البحر المالح اللؤلؤ والمرجان) وإنما قال: (منهما) للاتساع والتغليب! ولك أن تراجع كل التفاسير الظاهرية بلا استثناء، لتعرف ذلك وكأنهم قالوا ذلك عطفاً على قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً ﴾ (الفرقان:٥٣).

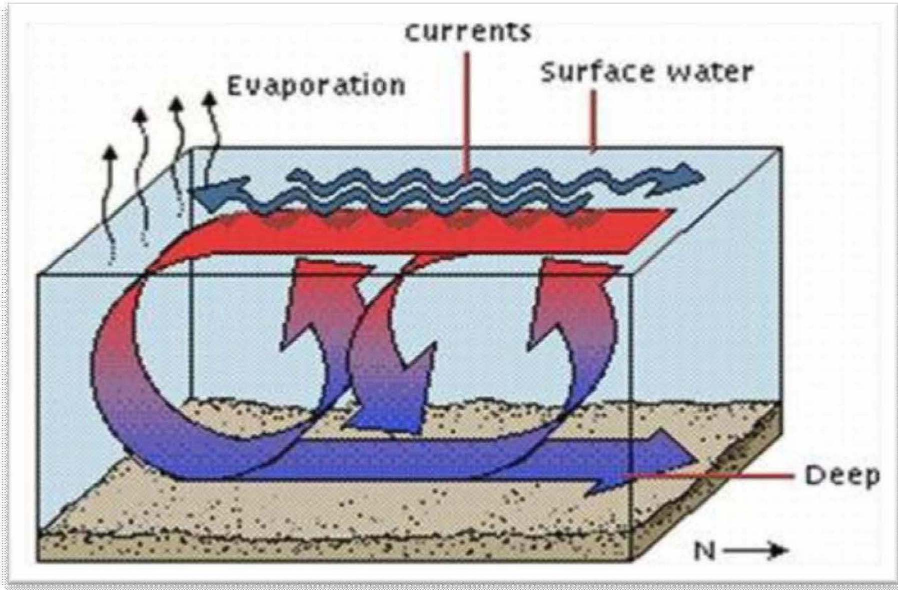
وقوله تعالى:

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ

لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (فاطر:١٢).

والذي يظهر لي أن هذا الربط والاستنتاج غير صحيح، لكون قوله تعالى (منهما) تعني (منهما)! وهذا متحقق، والظاهر أنهم لما لم يجدوا أن هناك لؤلؤاً ومرجاناً في المياه العذبة، ولكونهم فهموا أن البحرين هما العذب والمالح، لم يستطيعوا غير أن يقولوا ذلك، لكن الذي قد يظهر إن البحرين هما البحر البارد والبحر الدافيء وكلاهما مالحان ويحتويان على اللؤلؤ والمرجان، وهما تياران هائلان من الماء، الأول ينطلق شمال المحيط الهادي وينتهي في البحر الكاريبي وهو التيار الدافيء، ولكون كثافة مياه المحيطات تتحدد بدرجة حرارتها ومدى ملوحتها فتتمدد إذا كانت حارّة وتقل كثافتها فتحاول التحرك باتجاه الشمال والجنوب من خط الاستواء، ولكون الجرف القاري يحده من الشمال عند وصوله الى شبه جزيرة غرينلاند فيكون التيار ضعيفاً نحو الشمال، بينما ينطلق باتجاه الجنوب كتيار هائل في عمق المحيط الأطلسي، نحو الأحواض الباردة، وعند وصوله للجرف القاري للقارة القطبية الجنوبية يتحول باتجاه المحيط الهندي ويستمر كذلك إلى أن يصل إلى الساحل الآسيوي في إندونيسيا وماليزيا واستراليا، ويلتفّ على هذه المناطق بضعف إلى أن يصل إلى المحيط الهادئ، وهناك يواجه الجرف القاري لأمريكا الشمالية والجنوبية فيظهر الى السطح ليواجه المناخ الدافئ مما يسبب سخونته وبالتالي رجوعه على نفس الطريق ولكن هذه المرة الى أعلى المحيط وليس في عمقه، وهذه الدورة الضخمة للمياه لها منافع كبيرة على الكائنات البحرية والأسماك في تلك

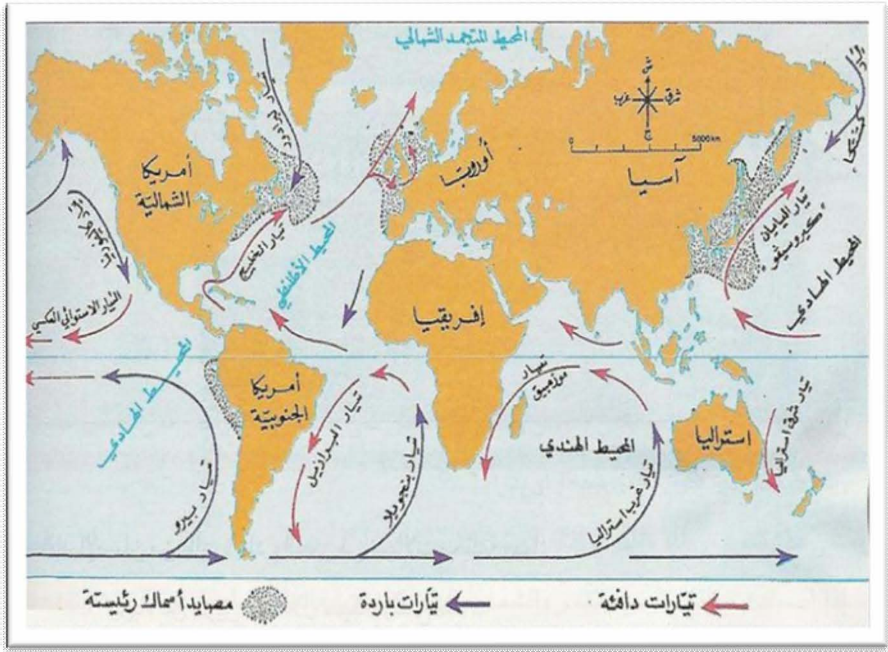
المحيطات، إذ أن تحرك المياه بصورة هائلة من مناطق مناخية معينة لأخرى تختلف اختلافاً جذرياً بمناخها عنها، يعطي التنوع البحري مجالاً واسعاً مساعداً فيحمل الأوكسجين والكائنات المجهرية والصغيرة والأسماك معه مما يوفر مخزوناً غذائياً لأنواع عديدة منها، وبالتالي لها دور في حياة مئات الملايين من البشر.



رسم توضيحي لكيفية تسخين الماء العلوي ثم تحوله الى تيار بارد سفلي

ويذهب العديد من علماء الطبيعة الى كون هذه التيارات لها دور في مناخ أوروبا الدفيء، بل لها دور في حجم الكتل الجليدية في القطبين الشمالي والجنوبي مما يدخل في تحديد المناطق البيضاء في الكرة الأرضية والتي لها دور في تنظيم درجات الحرارة في الكوكب ككلّ، والعنصر الحيوي في هذا كله هو كون هذه المحيطات ملحيّة وليست عذبة! إذ تتكوّن كتل المياه الكثيفة التي

تجري نحو الأحواض العميقة في مناطق مُحدّدة في شمال الأطلسي وفي المحيط الجنوبي. وفي هاتين المنطقتين القطبيتين، تبرّد الرياح المياه السطحية بشدّة، كما تتسبّب الرياح التي تتحرك فوق الماء بكثير من البخار. لا يزيل البخر إلا جزيئات من الماء الصافي، مما يرفع ملوحة ماء البحر المتبقي. تعرف هاتان العمليتان المدفوعتان بالرياح باسم (التبريد البخري).

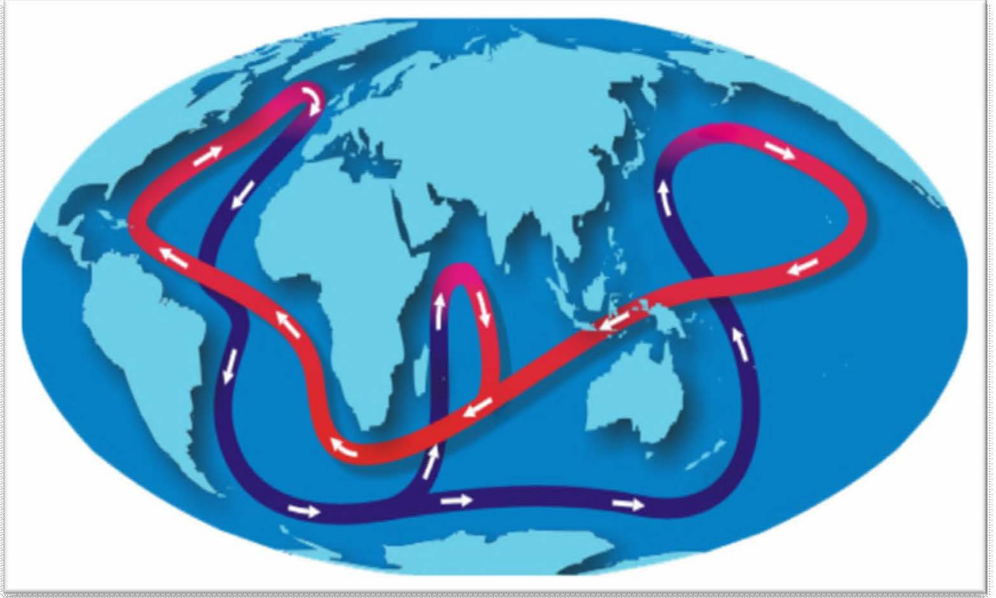


التيارات الإقليمية المتفرعة من التيارات القارية

يمكن لتكوّن ثلوج البحار أيضا أن يساهم في رفع ملوحة المياه، حيث يترك الثلج بعد تجمده معازل ماء شديد الملوحة. تخفض الملوحة من درجة تجمد ماء البحر، وبالتالي فإن بحيرات الماء شديد الملوحة تلك تتكون ومن حولها مجموعات الجليد. شيئا فشيئا، يذيب الماء شديد الملوحة الجليد تحته، إلى

أن يخرج من الجليد ويجري للأسفل. لذا فإني أعتقد أن كل هذه الفوائد لهذين التيارين البحريين المالحين تشير اليه الآية الكريمة:

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (٢٢) ﴾ (الرحمن ١٩-٢١)



التيار العالمي الدافئ والتيار العالمي البارد

فهمـا يلتقيـان، أي أن الأول سـطحي والآخـر في العمـق ويلتقيـان في الوسـط، ولا يبغـي أحـدهما علـى الآخـر فـلا التيـار الـسطحي يوقـف التيـار الداخلي ولا العكس، ولكونهما مالحين فهما يحتويـان علـى الـؤلـؤ والمرجـان. والله أعلم.

نوح وقومه في القرآن

قال تعالى حكاية عن نوح:

﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً ﴾ (نوح:٩).

في هاتين الآيتين يخاطب نوح ربه ويشرح له السبل التي أراد بها هداية قومه فأبوا ذلك، والذي يلفت نظر كل قارئ هو قول نوح في الآية الأولى إنه مارس دعوة قومه جهاراً، ثم يقول في الآية الثانية إنه أعلن لهم ذلك، والذي يظهر لكل قارئ لبيب: إن الجهر لو كان يعطي نفس الإعلان لما كان النص سليماً، فكيف يقول نوح: إني دعوتهم إعلاناً ثم إني أعلنت لهم، مع اختلاف الصيغة في الإعلان؟!

وهذا لا يستقيم إلا باختلاف المعنيين ولكن هذا فات العديد من كبار المفسرين منهم:

السمعاني:

إذ قال (الإعلان والجهر بمعنى واحد، وهو كلام بحيث يسمع الجماعة، وأن الإسرار هو أن يقوله مع الإنسان وحده في خلوة.) [١]

الطباطبائي:

إذ قال (قوله تعالى: " ثم إني دعوتهم جهارا " " ثم " للتراخي بحسب رتبة الكلام والجهار النداء بأعلى الصوت. قوله تعالى: " ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا " الإعلان والإسرار متقابلان وهما الإظهار والإخفاء، وظاهر السياق أن مرجع ضمير لهم في الموضعين واحد فالمعنى دعوتهم سرا وعلانية فتارة علانية وتارة سرّاً سالكا في دعوتي كل مذهب ممكن وسائرا في كل مسير مرجو) [٢].

ابن كثير:

إذ قال ((ثم إني دعوتهم جهارا) أي جهرة بين الناس "ثم إني أعلنت لهم" أي كلاما ظاهرا بصوت عال)[٣].

الطوسي:

إذ قال (حكى أنه قال (ثم اني دعوتهم جهارا) أي إعلانا (ثم إني أعلنت لهم) أي أظهرت الدعاء لهم إلى عبادتك تارة (وأسررت لهم) أي وأخفيت لهم

(١) تفسير السمعاني – السمعاني – ج ٦ – ص ٥٥

(٢) تفسير الميزان – السيد الطباطبائي – ج ٢٠ – ص ٢٩ – ٣٠

(٣) تفسير ابن كثير – ابن كثير – ج ٤ – ص ٤٥٣

الدعاء إلى مثل ذلك كرة أخرى)[١]

قال الطريحي:

إذ قال (قال تعالى: (إني دعوتهم جهارا) و(الجهر) الإعلان بالشيء)[٢].

الطبري:

إذ قال (يقول: ثم إني دعوتهم إلى ما أمرتني أن أدعوهم إليه جهارا ظاهرا في غير خفاء) [٣].

مقاتل بن سليمان:

إذ قال (ثم إني دعوتهم جهارا) يعني مجاهرة وعلانية (ثم إني أعلنت لهم) يعني صحت إليهم علانية) [٤]

الطبرسي:

إذ قال (ثم إني دعوتهم جهارا) أي بأعلى صوتي، عن ابن عباس. وقيل: مجاهرة يرى بعضهم بعضا أي ظاهرا غير خفي. (ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا) أي دعوتهم في العلانية وفي السر. وقيل: معناه إني أعلنت جماعة بالدعوة، وأسررت جماعة ثم أعلنت للذين أسررت، وأسررت للذين أعلنت لهم، ومعناه. إني سلكت معهم في الدعوة كل مذهب،

(١) التبيان – الشيخ الطوسي – ج ١٠ – ص ١٣٥

(٢) تفسير غريب القرآن – فخر الدين الطريحي – ص ٢٣٢

(٣) جامع البيان – إبن جرير الطبري – ج ٢٩ – ص ١١٥

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان – مقاتل بن سليمان – ج ٣ – ص ٤٠٢

وتلطفت لهم في ذلك غاية التلطف، فلم يجيبوا) [١]

والذي يظهر إن الذي أوقع المفسرين بهذا القول مع بيان ضعفه هو مجيء الجهر في مقابل السر في القرآن كقوله تعالى:

﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ (الرعد:١٠).

وقوله تعالى:

﴿ وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ (طه:٧).

وقوله تعالى:

﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (الملك:١٣).

ولكن المعنى في الحقيقة لا يعطي ذلك! فأنت ترى قوله تعالى:

﴿ وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴾ (الإسراء: من الآية١١٠).

والخفوت في الحقيقة إعلان لكنه بصوت ضئيل وليس سراً

وقوله تعالى:

﴿ لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ ﴾ (النساء: من الآية١٤٨).

والجهر بالسوء لا يكون بين الرجل ونفسه بل بين الناس وقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ

---

(١) تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي - ج ١٠ - ص ١٣٢ - ١٣٣

بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴾ (الحجرات:٢)

فالجهور هنا علو الصوت حتى لو لم يكن أعلى من صوت النبي ولكنه على أعين الناس. وقوله تعالى:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الأنعام:٤٧).

والجهرة هنا أي بعلم الناس وليس بمباغتة لهم.

من هنا فالفرق بين هذه الأساليب الثلاثة هو أن الجهر كان دعوة علنية بصوت عالٍ على أعين الناس، والإعلان هو الدعوة بشكل علني بدون صوت عالٍ، والسر هو الدعوة بالاتصال الثنائي أو الجماعي غير المعلن.

والوحيد الذي نال المعنى الحقيقي هو أبو هلال العسكري(١) إذ قال (الفرق بين الإعلان والجهر: أن الإعلان خلاف الكتمان وهو إظهار المعنى للنفس ولا يقتضي رفع الصوت به، والجهر يقتضي رفع الصوت به ومنه يقال رجل جهير وجهوري إذا كان رفيع الصوت)

إذن فنوح يقول: إنه جهر بها بصوت عالٍ بين الناس أول الأمر وتظاهر بها بدون كتمان، ثم لم يكتمها ولكن اتبع سبيلا بين الجهر والإعلان وهو التظاهر بها وعدم إخفائها ولكن بدون مجاهرة كالمرحلة الأولى، ثم بدأ يتصل سرا بهم بمعزل عن الباقين وهذه هي الأساليب الثلاثة التي اتبعها نوح.

(١) الفروق اللغوية – أبو هلال العسكري – ص ٦٠

(الذين لا يعلمون) في القرآن

ورد مركّب (لا يعلمون) مكررا كثيرا في القرآن فهل لهذا التركيب خصائص معينة، في الحقيقة فإن تركيب لا يعلمون مكرر في القرآن في ثلاثة وأربعين موردا منها:

خمسة موارد منها في صيغة (الذين لا يعلمون):

كما في قوله تعالى:

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (البقرة:١١٣).

وقوله تعالى:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ

مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (البقرة:١١٨).

وقوله تعالى:

﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (يونس:٨٩).

وقوله تعالى:

﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم:٥٩).

وقوله تعالى:

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (الجاثية:١٨).

وثمانية وثلاثين موردا في صيغة قوله تعالى (لا يعلمون) منها:

كما في قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:١٣).

وقوله تعالى:

﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأنعام:٣٧).

وقوله تعالى:

﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ

أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف:١٣١).

وقوله تعالى:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف:١٨٧).

من هنا فأنت ترى كون (الذين لا يعلمون) مجموعة لها خصائص معينة، بخلاف المجموعة الثانية التي تعم كل من ليس له علم وهم أكثر الناس حسب التكرار لهذه الآية.

ومن صفات (الذين لا يعلمون):

الآية الأولى أضافت الذين لا يعلمون إلى النصارى واليهود مما يكشف أنهم صنف ثالث

هؤلاء قالوا ﴿ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ﴾ مما يدل على إنكار النبي ومعجزاته التي جاء بها وما ضربوا ذلك إلاّ للاستهزاء وإلّا لكانوا اكتفوا بتسبيح الحصى أو تكليم الشاة للنبي الخ؟!!

من صفات هؤلاء المجادلة في آيات الله بغير سلطان.

هذه المجموعة كانت موجودة في زمن النبي بشهادة قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا

يَعْلَمُونَ ﴾ (الجاثية:١٨).

هذا يشير إلى أن هؤلاء هم كفار قريش ويسند ذلك ما ذكره المفسرون في هذه الآية من أن المخاطب بها كان ملأ قريش.

ومن لطيف الاشارة ان ﴿الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ تنطبق بالعدد على ما ورد في مأثور المسلمين أنهم أئمة الكفر في مكة وهم الخمسة الذين تزعموا الكفر ضد الرسالة المحمدية: أبو جهل بن هشام وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو[1]

(١) جامع البيان – ابن جرير الطبري –ج١٠–ص١١٣

ما كان سؤال المنافقين؟!

قال تعالى في سورة البقرة:

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(١٠٦) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ(١٠٧) أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالأِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٠٨) ﴾ (البقرة١٠٦– ١٠٨).

اختلف المفسرون في سبب نزول الآية اختلافاً كبيراً فمنهم - كصاحب التبيان - أرجع الاختلاف إلى خمسة أقوال، قال الطوسي (اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية، فروي عن ابن عباس أنه قال: قال رافع بن خزيمة، ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وآله ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرأه، وفجر لنا انهارا، نتبعك ونصدقك، فأنزل الله في ذلك من قولهما "أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل".

وقال الحسن عنى بذلك المشركين من العرب لما سألوه فقالوا " أو تأتي بالله والملائكة قبيلا " وقالوا: " أو نرى ربنا "وقال السدّي: سألت العرب محمدا صلى الله عليه وآله أن يأتيهم بالله فيروه جهرة. وقال مجاهد: سألت قريش محمدا أن يجعل لهم الصفا ذهبا. فقال نعم هو لكم كالمائدة لبني إسرائيل. فأبوا ورجعوا.وقال أبو علي: روي أن النبي صلى الله عليه وآله سأله قومه ان يجعل لهم ذات أنواط كما كان للمشركين ذات أنواط وهي شجرة كانوا يعبدونها، ويعقلون عليها التمر، وغيره من المأكولات. كما سألوا موسى " اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ")[١] وروى الطبري مثله[٢].

وموارد النزول التي ذكروها تشبه التطبيقات الحدسية! وإلا لم هذه العجلة والجرأة بالجزم بسبب النزول مع اختلافهم كل هذا الاختلاف؟! فضلاً عن أن هناك إجماع على كون سورة البقرة مدنية وليست مكية، وليس بعد الهجرة إلا الجدال مع المنافقين والذين كانت أساليبهم وطلباتهم تختلف جوهرياً عن المشركين في مكّة! فما رووه من أسباب النزول لا تناسب الزمان والمكان، ويأباه السياق! فالمنافقون كانوا يحاولون زعزعة إيمان المسلمين عن طريق الإرجاف والتشكيك والافتراء بالسر ولم يكونوا يعلنون ذلك ولا أن يواجهوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بطلباتهم التي لا تنتهي كما كان يفعل المشركون في مكة.

---

(١) التبيان – الشيخ الطوسي – ج ١ – ص ٤٠٢

(٢) جامع البيان– الطبري – ج١– ص٦٧٦

فالسياق يشير إلى شيء آخر، فقوله سبحانه ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(١٠٦) ﴾ الآية في القرآن جاءت للدلالة على المعجزات أو العلامات التي لا يأتي بها إلا المرسلون، كقوله تعالى:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ﴾ (البقرة: من الآية١١٨).

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ﴾ (البقرة: من الآية١٤٥).

﴿ سَلْ بَنِي إِسْرائيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ﴾ (البقرة: من الآية٢١١).

﴿ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ (البقرة: من الآية٢٥٩).

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً ﴾ (آل عمران: من الآية٤١).

﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ (الأنعام:٤).

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ ﴾ (البقرة: من الآية٢٤٨).

لذا فالآيات متصلة بالمعصومين، بل قد جاء بالأثر إن المعصومين هم الآيات التي ذكرت في سورة البقرة إذ روى العياشي في تفسيره (عن عمر بن يزيد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله " ما ننسخ من آية أو

نسها نأت بخير منها أو مثلها " فقال: كذبوا ما هكذا هي إذا كان ينسى وينسخها أو يأت بمثلها لم ينسخها قلت: هكذا قال الله قال ليس هكذا قال تبارك وتعالى، قلت: فكيف قال؟ قال ليس فيها ألف ولا واو، قال: " ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها مثلها " يقول: ما نميت من إمام أو ننسه ذكره نأت بخير منه من صلبه مثله) (١).

وروى الكليني عن (عبد الله الجلاب قال: كتب إلي أبو الحسن في كتاب: أردت أن تسأل عن الخلف بعد أبي جعفر وقلقت لذلك فلا تغتم فإن الله عز وجل " لا يضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون " وصاحبك بعدي أبو محمد ابني وعنده ما تحتاجون إليه، يقدم ما يشاء الله ويؤخر ما يشاء الله " ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها " قد كتبت بما فيه بيان وقناع لذي عقل يقظان) (٢).

فالآية تخص تبديل معصومين بعضهم بمثلهم وليس بغيرهم، وتؤكده الآية التي بعده إذ يقول تعالى:

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٠٧) ﴾.

فكل شيء لله وبحكمه وتحت إرادته وخصوصا ما يتعلق بالاستخلاف سواء كان الاستخلاف للأنبياء أم للأوصياء قال تعالى:

---

(١) تفسير العياشي – محمد بن مسعود العياشي – ج ١ – ص ٥٦

(٢) الكافي – الشيخ الكليني – ج ١ – ص ٣٢٨

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (القصص:٦٨).

فالحجج من الأنبياء والأوصياء يكونون تحت التنصيب السماوي المباشر ولا يخضع هذا التنصيب لألاعيب البشر وأهوائهم وإن وقع فهو تحت إرادته سبحانه وليس بخارج عنها ولكنه بقدره وقضائه وليس بإجباره سبحانه، ووقع مثل هذا في قوله سبحانه:

﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (يونس:١٥).

فهؤلاء الذين لا يرجون لقاء الله يقولون ائت بقرآن هذا أو بدل علياً[(١)]! فهم لم يتّحملوا تنصيب أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله فكانوا يريدون أن يكون الوصي من غير بني هاشم لأكثر من سبب، أهمها أنهم حتى يضمنون أن يكون لبطون قريش وقبائل العرب أمل في الحصول على الخلافة وعلو كعبهم بها! وفي هذا المعنى نصوص عديدة منها:

ما رواه السمرقندي في تفسيره (قال قتادة دخل عامر بن الطفيل على رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم وقال أسلم على أن لك المدر ولي الوبر يعني لك ولاية القرى ولي ولاية البوادي فقال النبي صلى الله عليه – وآله – وسلم أنت من المسلمين لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم قال عامر

(١) الكافي – الكليني – ج١ – ص٤١٩

لك الوبر ولي المدر فأجابه بمثل ذلك قال عامر ولي الأمر من بعدك فأجابه بمثل ذلك فغضب عامر وقال لأملأها عليك رجالا ألفا رجل أشعر وألفا أمرد فخرج ولقي أربد بن قيس فقال له ادخل على محمد وألهه بالكلام حتى أدخل فأقتله، فدخلا عليه فجعل عامر يسأله ويقول أخبرنا يا محمد عن إلهك أمن ذهب هو أم من فضة فلما طال حديثه قاما وخرجا فقال عامر مالك لم تقتله قال كلما أردت أن أقتله وجدتك بيني وبينه فجاء جبريل فأخبر النبي صلى الله عليه – وآله – وسلم بذلك فدعا عليه فأصابته صاعقة فقتلته فنزل" ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال)[١].

ما رواه ابن أبي الحديد عن عمر بن الخطاب انه قال لابن عباس (يا عبد الله، ما تقول في منع قومكم منكم؟ قال: لا أعلم يا أمير المؤمنين، قال: اللهم غفرا! إن قومكم كرهوا أن تجتمع لكم النبوة والخلافة، فتذهبون في السماء بذخاً وشمخاً!)[٢]

روى ابن البطريق في عمدته نقلاً عن تفسير الثعلبي (في تفسير قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾. وبالإسناد المقدم، قال: وسئل سفيان بن عيينة، عن قول عز وجل: سئل سائل بعذاب واقع في من نزلت؟ فقال: لقد سألتني عن مسألة، ما سألني عنها أحد قبلك، حدثني جعفر بن محمد، عن آبائه، عليهم السلام، قال: لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خم

(١) تفسير السمرقندي – أبو الليث السمرقندي – ج ٢ – ص ٢٢١

(٢) شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد – ج ١ – ص ١٨٩

نادى الناس، فاجتمعوا، فاخذ بيد علي عليه السلام، فقال: من كنت مولاه فعلى مولاه، فشاع ذلك، وطار في البلاد، فبلغ ذلك الحارث بن نعمان الفهري، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله على ناقة له، حتى أتى الأبطح، فنزل عن ناقته، فأناخها، وعقلها، ثم اتى النبي صلى الله عليه وآله وهو في ملأ من أصحابه، فقال: يا محمد، أمرتنا عن الله، ان نشهد ان لا إله إلا الله، وانك رسول الله، فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصلى خمسا، فقبلناه منك، وأمرتنا ان نصوم شهرا، فقبلناه منك، وأمرتنا ان نحج البيت فقبلناه، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعى ابن عمك، ففضلته علينا، فقلت: من كنت مولاه فعلى مولاه، وهذا شيء منك أم من الله تعالى؟ فقال: والذي لا إله إلا هو، انه من أمر الله، فولى الحارث بن نعمان، يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقوله محمد حقا، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم. فما وصل إليها، حتى رماه الله بحجر، فسقط على هامته، وخرج من دبره، فقتله، وانزل الله تعالى: " سئل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع)[1].

لذا فالآيات التي نحن بصددها لا تخرج عن هذا السياق، خصوصا مع وجود المأثور الذي يدعم ذلك، إذ روى المجلسي في بحاره عن الإمام الحسن العسكري،(قال عليه السلام: قال الله تعالى: يا أيها اليهود "أم تريدون" بل تريدون من بعد ما آتيناكم " أن تسألوا رسولكم " وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله قصده عشرة من اليهود يريدون أن يتعنتوه ويسألوه عن أشياء

(١) العمدة - ابن البطريق - ص ١٠٠ - ١٠١

يريدون أن يعانتوه بها، فبينما هم كذلك إذ جاء أعرابي كأنه يدفع في قفاه قد علق على عصا على عاتقه جرابا مشدود الرأس فيه شئ قد ملأه لا يدرون ما هو؟ فقال يا محمد أجبني عما أسألك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أخا العرب قد سبقك اليهود أفتأذن لهم حتى أبدأ بهم؟ قال الأعرابي: لا فإني غريب مجتاز، فقال رسول الله فأنت إذا أحق منهم لغربتك واجتيازك، فقال الأعرابي: ولفظة أخرى، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما هي؟ قال: إن هؤلاء أهل الكتاب يدعونه بزعمهم حقا، ولست آمن أن تقول شيئا يواطؤونك عليه، ويصدقونك ليفتنوا الناس عن دينهم وأنا لا أقنع بمثل هذا، لا أقنع إلا بأمر بين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله؟ أين علي بن أبي طالب؟ فدعي بعلي عليه السلام فجاء حتى قرب من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال الأعرابي يا محمد: وما تصنع بهذا في محاورتي وإياك؟ قال: يا أعرابي سألت البيان وهذا البيان الشافي، وصاحب العلم الكافي، أنا مدينة الحكمة وهذا بابها، فمن أراد الحكمة والعلم فليأت الباب، فلما مثل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله قال رسول الله بأعلى صوته: يا عباد الله من أراد أن ينظر إلى آدم في جلالته، وإلى شيث في حكمته، وإلى إدريس في نباهته ومهابته، وإلى نوح في شكره لربه وعبادته، وإلى إبراهيم في وفائه وخلته وإلى موسى في بغض كل عدو لله ومنابذته، وإلى عيسى في حب كل مؤمن ومعاشرته فلينظر إلى علي بن أبي طالب هذا، فأما المؤمنون فازدادوا بذلك إيمانا، وأما المنافقون فازداد نفاقهم. فقال الأعرابي: يا

محمد هكذا مدحك لابن عمك، إن شرفه شرفك، وعزه عزك ولست أقبل من هذا شيئا إلا بشهادة من لا يحتمل شهادته بطلانا ولا فسادا، بشهادة هذا الضب، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أخا العرب فأخرجه من جرابك أستشهده فيشهد لي بالنبوة، ولأخي هذا بالفضيلة، فقال الأعرابي: لقد تعبت في اصطياده، وأنا خائف أن يطفر ويهرب، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تخف فإنه لا يطفر ولا يهرب، بل يقف ويشهد لنا بتصديقنا وتفضيلنا، فقال الأعرابي أخاف أن يطفر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فإن طفر فقد كفاك به تكذيبا لنا، واحتجاجا علينا، ولن يطفر ولكنه سيشهد لنا بشهادة الحق، فإذا فعل ذلك فخل سبيله، فإن محمدا يعوضك عنه ما هو خير لك منه، فأخرجه الأعرابي من الجراب ووضعه على الأرض، فوقف واستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله، ومرغ خديه في التراب ثم رفع رأسه، وأنطقه الله تعالى فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه، وسيد المرسلين، وأفضل الخلق أجمعين، وخاتم النبيين، وقائد الغر المحجلين، وأشهد أن أخاك علي بن أبي طالب على الوصف الذي وصفته، وبالفضل الذي ذكرته، وأن أولياءه في الجنان مكرمون، وأن أعداءه في النار خالدون، فقال الأعرابي وهو يبكي: يا رسول الله وأنا أشهد بما شهد به هذا الضب فقد رأيت وشاهدت وسمعت ما ليس لي عنه معدل ولا محيص، ثم أقبل الأعرابي على اليهود فقال: ويلكم أي آية بعد هذه تريدون، ومعجزة بعد هذه تقترحون؟ ليس إلا أن تؤمنوا أو

هلكوا أجمعين، فآمن أولئك اليهود كلهم وقالوا: عظمت بركة ضبك علينا يا أخا العرب، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أخا العرب خل الضب على أن يعوضك الله عز وجل عنه ما هو خير منه، فإنه ضب مؤمن بالله وبرسوله وبأخي رسوله، شاهد بالحق، ما ينبغي أن يكون مصيدا ولا أسيرا، ولكنه يكون مخلى سربه، تكون له مزية على سائر الضباب بما فضله الله أميرا، فناداه الضب: يا رسول الله فخلني ولني تعويضه لأعوضه، فقال الأعرابي وما عساك تعوضني؟ قال: تذهب بي إلى الجحر الذي أخذتني منه ففيه عشرة آلاف دينار خسروانية، وثلاثمأة ألف درهم فخذها، فقال الأعرابي: كيف أصنع؟ قد سمع هذا من الضب جماعات الحاضرين ههنا وأنا تعب، فإن من هو مستريح يذهب إلى هناك فيأخذه فقال الضب: يا أخا العرب إن الله قد جعله عوضا مني، فما كان ليترك أحدا يسبقك إليه ولا يروم أحد أخذه إلا أهلكه الله، وكان الأعرابي تعبا فمشى قليلا وسبقه إلى الجحر جماعة من المنافقين كانوا بحضرة رسول الله، فأدخلوا أيديهم إلى الجحر ليتناولوا منه ما سمعوا فخرجت عليهم أفعى عظيمة فلسعتهم وقتلتهم، ووقف حتى حضر الأعرابي فنادته: يا أخا العرب انظر إلى هؤلاء كيف أمرني الله بقتلهم دون مالك الذي هو عوضك من ضبك، وجعلني هو حافظة فتناوله، فاستخرج الأعرابي الدراهم والدنانير، فلم يطق احتمالها، فنادته الأفعى: خذ الحبل الذي في وسطك وشده بالكيس، ثم شد الحبل في ذنبي فإني سأجره لك إلى منزلك، وأنا فيه خادمك وحارس مالك هذا، فجاءت الأفعى

فما زالت تحرسه والمال إلى أن فرقه الأعرابي في ضياع وعقار وبساتين اشتراها، ثم انصرفت الأفعى)[١].

والتشابه بين أمير المؤمنين عليه السلام وهارون تشابه ملفت لكل ذي لب ويجمعه قوله صلى الله عليه وآله: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي)[٢] فهارون كان وصي موسى عليه السلام وأمير المؤمنين عليه السلام كان وصي النبيً صلى الله عليه وآله وسلم، وهارون كان وصي موسى في حياته على قومه عند غيبته، وعلي عليه السلام كذلك، وأولاد علي كانوا الحسن والحسين وهو اسم مطابق لاسم ابني هارون شبر وشبير[٣]، وعندما رجع موسى من تكليم ربه ووجد القوم قد عبدوا العجل دخل في حوار مع أخيه هارون فقال له هارون ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ (الأعراف: من الآية١٥٠) وهذا ما فعله الإمام عليه السلام إذ قال موجها كلامه لقبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم - وهو يتوجه ليبايع لأبي بكر مضطرا - (يا بن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني)[٤]، من كل هذا نستنتج إن الآية قد تكون نازلة في سؤال المنافقين لكليم الله بتغيير وصيه هارون، كما صرحت بذلك الروايات في الآية(ائت بقرآن غير هذا أو بدله)،وقد ذكر القرآن أن بني إسرائيل فعلوا ذلك لكن بعد

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١٧ - ص ٤١٨ - ٤٢١

(٢) الكافي- الكليني- ج٨- ص١٠٧

(٣) بحار الأنوار-ج١٥-ص٢٣٧

(٤) كتاب سليم بن قيس- ص١٣٦

موسى عليه السلام إذ يقول تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) ﴾ (البقرة ٢٤٦-٢٤٧).

(النَزْع) في القرآن

قال تعالى:

﴿ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (القصص:٧٥).

وقال تعالى:

﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيّاً ﴾ (مريم:٦٩).

فرّق المفسرون بين الآيتين بأن قالوا بأن الأولى تشير إلى نزع الشهيد، وهو النبي والرسول، من بين الأمم، وقد لا تجد اختلافاً بينهم في ذلك، وأما الثانية بأن قالوا إن النزع لأشد الناس عتوّا على ربهم من المجرمين والكافرين.

ولكن الذي يتمعَّن في الآيتين لا يجد فرقاً حقيقياً، فمورد (القصص) يورد الآية كالتالي:

﴿ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ﴾.

﴿ فَقُلْنَا (لهؤلاء الذين تم نزعهم) هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾.

﴿ فَعَلِمُوا (أي الذين تم نزعهم) أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾.

فالشهداء هنا مفترون، أُسقط في أيديهم، فلم يجيبوا على سؤال ربهم بعدما علموا أن الحق لله، فكيف قال المفسرون بأن الشهداء هنا هم الأنبياء والرسل؟!

وفي الحقيقة فإن الذين اعتمدوا على المأثور في فهم الآية لم يُحسنوا توجيه الحديث الوحيد الوارد في الآية، وهو حديث أبي الجارود عن الإمام الباقر عليه السلام (في قوله: (ونزعنا من كل أمة شهيدا) يقول من كل فرقة من هذه الأمة إمامها)(١) وهو ليس كما ذهبوا، فالأمة فيها فرق متعددة منها فرق ضلالة ومنها فرق هداية فهل يجوز أن نقول عن الشهداء (وهم العالمون بالأعمال في هذه الفرقة والمسئولون عنها) إنهم أنبياء ورسل؟!

وحتى اللفظ الثاني الذي نقلوه لهذا الحديث وهو قول الإمام (ومن هذه الأمة إمامها)(٢)

فالحديث لا يدل على ما ذهبوا إليه بل هو إضافة من الإمام بدليل قوله (ومن)، فهو يريد أن يقول بأن هذه الأمة ستأتي بإمامها إضافة للشهداء من الضالين الذين سينزعهم الله، من باقي فرق الأمة، والتي ورد في روايات متعددة بأنها اثنتين وسبعين فرقة.

---

(١) تفسير القمّي – علي بن إبراهيم القمّي – ج ٢ – ص ١٤٣ – ١٤٤

(٢) الأمثل– ناصر مكارم الشيرازي–ج١٢– ص٢٨٦

ولو تم غض النظر عن أي مأثور ودققنا في القرآن فسيتم لنا الفهم الصحيح:

إذ أن (النزع) لا يكون للشيء المحمود قال الفراهيدي (نزعت الشئ: قلعته، أنزعه نزعاً، وانتزعته أسرع وأخف. ونزع الأمير عاملاً عن عمله. قال: نزع الأمير للأمير المبدل ونزعت في القوس نزعاً. والسياق النزع هو في النزع ينزع نزعاً، أي: يسوق سوقاً)[1].

وقال الراغب (نزع: نزع الشئ جذبه من مقره كنزع القوس عن كبده ويستعمل ذلك في الإعراض، ومنه نزع العداوة والمحبة من القلب، قال تعالى: (ونزعنا ما في صدورهم من غل) وانتزعت آية من القرآن في كذا ونزع فلان كذا أي سلب قال: (تنزع الملك ممن تشاء) وقوله: (والنازعات غرقاً) قيل هي الملائكة التي تنزع الأرواح عن الأشباح، وقوله: (إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر) وقوله: (تنزع الناس) قيل تقلع الناس من مقرهم لشدة هبوبها. وقيل تنزع أرواحهم من أبدانهم)[2].

من هنا نرى بأن النزع يكون بقوّة للشيء غير المحمود مثل قوله تعالى:

﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ (الأعراف:١٠٨).

فموسى جذب يده بقوة وبرهبة ما حدث لها إذ ورد أن البياض في يده كان كالبرص وهو مرض (الوَضَح) أو (البهق) إذ يجعل اليد بيضاء كالثلج،

---

(١) كتاب العين – الخليل الفراهيدي – ج ١ – ص ٣٥٧

(٢) مفردات غريب القرآن – الراغب الأصفهاني – ص ٤٨٧ – ٤٨٨

وهو عند الناس تشوه مذموم.

وقوله تعالى:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ ﴾ (الأعراف: من الآية٤٣).

وقوله تعالى:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ (الحجر:٤٧).

والنزع هنا جذب لشيء غير مرغوب فيه وهو الغلّ والبغض للغير والتحامل عليه.

وقوله تعالى:

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران:٢٦).

والملك هنا نزع ممن لا يستحقه ولا يناسبه فانظر للمقابله بين قوله تعالى:

تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ..... وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ

وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ .... وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ

وقوله تعالى:

﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيّاً ﴾ (مريم:٦٩).

والآية واضحة في من هم الذين يُنزَعون!!

ثم إنه سبحانه استعمل كلمة (البعث) مع الشهداء الأئمة عليهم السلام في يوم القيامة ولم يستعمل(النزع) قال تعالى:

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ (النحل:٨٤).

وقال تعالى:

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل:٨٩).

وفي الحقيقة فقوله تعالى:

﴿ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ﴾ قد تكون الآية النظيرة لقوله تعالى في سورة مريم ﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيّاً ﴾ وهي نظيرة لقوله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (النمل:٨٣).

ثم أنه سبحانه ولما تكلم عن الأنبياء والرسل استعمل(جيء) في قوله تعالى:

﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ (الزمر: من الآية٦٩).

بل لو نظرنا للسياق فقوله تعالى في الآية السابقة ﴿ وَيَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ القصص ٧٤.

فقد يكون هؤلاء الشركاء هم الذين ينزعهم الله فهم ولما كانت طاعتهم في عرض طاعة الله سبحانه كانوا شركاء عند الله روي عن الإمام الصادق عليه السلام(" اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله " فقال: والله ما صلوا لهم ولا صاموا، ولكنهم أحلوا لهم حراما وحرموا عليهم حلالا فاتبعوهم)[1] فهم ارباب لكونهم قاموا بما يجب ان ينحصر بالرب وهو الله.

ففي يوم القيامة يتم نزع العتاة من الفرق الضالة، وبالمقابل يجاء بالنبيين والشهداء(وهم الأئمة) ويبعثون ليشهدوا على أعمال البشر.

لذا فالمنزوعون هم أئمة الضلالة لذا فسوف يسألهم الله جلّ وعلا:

﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ؟

فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾.

فهل يكون هكذا خطاب لأنبياءٍ ورسل؟!!

---

(١) المحاسن- البرقي - ج١ - ص٢٤٦

تقدير الكلام في آيات القرآن... بين الوهم والحقيقة

في أحد الأيام وبينما كنّا في درس أصول الفقه، والمتن لأحد مشاهير العلماء سألت الأُستاذ مستفسراً عن إمكانية توجيه إحدى العبارات على غير ما كان يفهم الأستاذ، فأجابني بما معناه: هذا لا يمكن لكون هذا الكتاب دقيق العبارة وصاحبه قد قام بعدِّ أحرفه حرفاً حرفاً بحيث لا يمكن ان يُخلّ بمعناه بهذا التقدير والتوجيه. وهذا الجواب (المبالغ فيه) جرّ وراءه سؤالاً آخر وهو: لو كان البشر بهذه الدقة فلم لا يكون الله أولى بهذا في كتابه؟ ولماذا لا نعامل القرآن بهذا الاحترام؟! ولماذا يقوم اللغويون والمفسرون بتوجيه العديد من الآيات والتراكيب القرآنية بما يخلع عن تلك الآيات بلاغتها ورونقها لتصبح كلاماً عادياً لا مزية فيه؟! فكلام الله أولى بهذا الاحترام من كتب عباده!

فكثيرا ما تجد آياتٍ يعتبر المفسرون واللغويون أن لها تقديراً معيناً قد يخالف ترتيب كلماتها في المصحف، أو أن التقدير يزيد لها الفاظاً لا وجود لها في النص، وما يتبع ذلك من معارك نحوية (بريئة) تقوم بين البصريين الذين (يقوّلون) الله باتجاه اليسار، بينما يثور عليهم الكوفيون فيقولّون الله باتجاه اليمين! ولشدّ ما يصل العجب ذروته عندما يبرز صنف ثالث فيحكم على النص القرآني بالتوجيه باتجاه ثالث بناءً على نص شعري قائله مجهول! ولا أعلم كيف جوزوا أن يقعّدوا القواعد على النص القرآني بسبب شعرٍ قائله مجهول بينما لا يرتضون لكثير من الآيات أن تؤخذ كما هي بل يجب أن تمرّ على مقصّ الرقيب اللغوي فيقوم بتوجيهها وتصنيعها لتلائم القاعدة التي يؤمن بها هو! يقول الفخر الرازي[1](إذا جوزنا إثبات اللغة بشعرٍ مجهولٍ فجواز اثباتها بالقرآن العظيم أولى، وكثيراً ما نرى النحويين متحيرين في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن فإذا استشهدوا في تقريرها ببيت مجهول فرحوا به، وأنا شديد التعجب منهم فإنهم إذا جعلوا ورود البيت المجهول على وفقها دليلاً على صحتها فلأن يجعلوا ورود القرآن دليلاً على صحتّها كان أولى).

فينتج عن ذلك نصوص لم تنزل من السماء، بل قالها بشر يخطئون ويصيبون، ويتكلّفون ويتعسّفون، ويختلفون اختلافاً فاحشاً، ولكنهم يتفقون في النهاية على أن كلام الله قابل للتوجيه، وذلك بعدما يضيفون عبارات من عندهم بحجة أن كلام الله يتضمن تلك المحذوفات المقدّرة!

(١) أثر القرآن والقراءات في النحو العربي – ص٣٢١

لكن المحسوس في علاقات العقلاء فيما بينهم أن من الصعوبة تصور المتكلم بما فكر به قُبيل كلامه، أو قبله أو بعده، والأصعب منه توجيه كلامه بعد خروجه منه وفي لحظة غياب المتكلم، وهذ الذي أقوله هو الذي يراه يومياً الكثير من الدارسين والذين يحاولون سبر أغوار بعض النوابغ والمفكرين ممن سبقوهم بأجيال، فترى أن المقتفين لآثارهم من طلبة ومعجبين ومحلّلين يختلفون دائماً في الذي قصده ذلك العالم بقوله الفلاني، أو بإشارته الفلانية، وبلفتته هناك وكلامه هنا، وغير ذلك، وما هذا الا تابع للمستويات العقلية المختلفة التي تنظر لهذا النص من مستويات مختلفة، وزوايا مختلفة، وأرصدة ثقافية وخلفيات متباينة من جهة، ودرجة وضوح الكلام الذي يدور حوله التحليل من جهة اخرى، فكلما كانت العقول التي تناقش النص المعين متقاربة ثقافياً واجتماعياً كانت النتائج حول ذلك النص متقاربة، والعكس صحيح، وكلما كان النص واضح ولا مجال لتطرق الاحتمال اليه كانت النتائج متقاربة، والعكس صحيح، وهذا الذي نقوله يطّرد وينعكس نسبة لصاحب النص المقصود، فكلما كان صاحب النص أقرب للعصمة كان فهم ما يكتنف الكلام ويتصل به من طريقة تفكيرٍ أصعب توقعاً بل تكاد أن تكون من المحال، وكلما كانت شخصية صاحب النص أبعد من العصمة والكمال كان توقع فهم ما يكتنف النص من دوافع وأسباب وما يتصل به من تفكير اقرب الى الاستشراف، ومن هنا ننتقل الى الكلام الآلهي فلو كان هذا يخص البشر وهم مابين معصومين وغير معصومين فكيف الحال مع خالق الطرفين

والمحيط بهما؟! خصوصاً مع قول العلماء ومنهم الشهيد الصدر بعدم جواز تقويل المعصومين ما لم يقولوه، بل وحتى عدم التطرق لتوقع ما يريدون قوله أو توقع ما قالوه بأوضاع معينة وذلك لمكان المستوى العقلي والروحي للمعصومين، يقول الشهيد الصدر وهو في صدد الكلام حول ما يجوز وما لا يجوز للخطباء من نقله عن لسان حال المعصومين عليهم السلام (ونحن نعلم بأن حال أولئك الأبطال الأفذاذ أعلى من أن يفهمه العرف، فالتنّزل بمستواهم الى درجة العرف الشائع ظلم لهم لا محالة)[١] وقد ناقش الشهيد الصدر (قد) ذلك بشكل دقيق في كتابه سالف الذكر [٢] .

فإذا كان هذا التنزيل من مستوى هؤلاء العظماء هو ظلم، مع أنهم مخلوقون مربوبون فكيف الحال بالخالق والرب؟! وكيف نُنزله الى مستوى العرف الشائع وطرائق الكلام الإنسانية وبالتالي نقولّه ما لم يقل في كتابه؟!

فإن قال قائل: إن التقدير من فنون الكلام العربي والذي نزل كلام الله على طِبْقِهِ حتى يقيم الحجة ويعجز الناس! قيل له: لو كان ما تقول صحيحاً لما كان الإعجاز سمة من سمات كلام الله! فهو ككلام البشر حذو القذّة بالقذّة فما المائز وأين الإعجاز؟!

إن كل ما قيل في ذلك هو نصوصٌ من مفسرين بشر غير معصومين توهموا أن الإعجاز هو ذلك لا غير، وهؤلاء هم جزء من المفسرين الذين

(١) أضواء على ثورة الإمام الحسين – الشهيد الصدر الثاني–ص١٢٦

(٢) انظر الاضواء من ص١٢١الى ص١٣٠

هاموا على وجوههم ليثبتوا ماهية إعجاز القرآن فمنهم من ذهب الى (الصِرْفة) ومنهم من ذهب الى كون الإعجاز شيء ذوقي يُعلم ولا يفهم، وبغضّ النظر عن ماهية الإعجاز القرآني، فالواضح أن الكلام الآلهي لا يمكن ان يكون كالكلام البشري بكل قواعده، كيف والإمام الصادق عليه السلام يقول (تجلى الله لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون)[1] فلو كان البشر قادرين على الإحاطة بكل قواعد وطرائق الكلام الإلهي لكانوا محيطين باللامحدود وكيف يكون المحدود محيطا باللامحدود؟! ولو أبصر البشر كيف تجلى الله لخلقه لما عرفوا الله بالمعنى الشائع لهذه العبارة إذ أنهم يعبرون عن احدهم بأنه (عارف كامل)!!

فشبكة العلاقات اللفظية التي تنساب بين الآيات القرآنية تكاد أن تكون عصية عن الإلمام بها، إن لم نقل إنها عصيّة فعلا!

فعدد آيات القرآن يربو على ستة آلاف ومئتي آية ونيّف، وعدد كلمات القرآن تسع وتسعون الفاً ومئتان وسبع وسبعون كلمة على قراءة، فلو أخذنا بنظرية التأويل وهي نظرية يقول أصحابها بأن القرآن عبارة عن تبادلٍ للكلمات في الآيات القرآنية، يظهر لدينا:

٦٢٠٠ × ٩٩٢٧٧ = ٦١٥٥١٧٤٠٠ ستمائة وخمسة عشر مليونا وخمس مئة وسبعة عشر ألف وأربعمئة قضية ومسألة في القرآن!! فلو كان لهذا النظرية حظ الثبوت لكُنّا أمام نصوص تجمل لنا جميع المسائل العلمية في هذا

(١) عوالي اللئالي – ابن ابي جمهور–ج٤ – ص١١٦

العالم!! ولكُنّا أمام شرح جديد لحديث الإمام الباقر عليه السلام بقوله(إن رسول الله صلى الله عليه وآله علم عليا عليه السلام بابا يفتح له الف باب ويفتح كل باب الف باب)[1].

نعم المبصر سيعلم بأن افضل طريقة لمعرفة الله هي أن يعرف بأن الله لا يمكن ان يُعرف!! بل إن الفرق بين كلام الخالق وكلام المخلوق كالفرق بين ذات الخالق وذات المخلوق! يقول أمير المؤمنين عليه السلام[2] (إعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، وسمّى تركهم التعمّق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا. فاقتصر على ذلك ولا تقدِّر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين. هو القادر الذي إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته وحاول الفكر المبرأ من خطرات الوساوس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته وتولهت القلوب إليه لتجري في كيفية صفاته وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته ردعها وهي تجوب مهاوي سدف الغيوب متخلصة إليه سبحانه فرجعت إذ جبهت معترفة بأنه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته ولا تخطر ببال أولي الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته).

---

(١) الخصال- الشيخ الصدوق- ص٦٤٥

(٢) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ١ - ص ١٦٢ - ١٦٣

فالإمام يشير الى الآية الكريمة:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (آل عمران:٧).

والإمام يقول صريحاً بأن الواو في قوله تعالى(والراسخون في العلم) هي استئنافية وبالتالي يمدح الله الراسخين في العلم لكونهم يؤمنون بكل ما جاء من الله، ولو كانوا غير محيطين به ما دام هو قد جاء من ربهم.وهذا الموقف هو مصاص التسليم المطلوب من العبد والذي ورد في روايات عديدة منها ما نُقل[1] (عن زرارة بن حمران قال كان يجالسنا رجل من أصحابنا فلم يكن يسمع بحديث الا قال: سلّموا، حتى لُقّب فكان كلما جاء قالوا قد جاء سلّم، فدخل حمران وزرارة على أبي جعفر عليه السلام، فقال إن رجلا من أصحابنا إذا سمع شيئا من أحاديثكم قال: سلّموا حتى لُقِّب، وكان إذا جاء قالوا: (جاء) سلّم فقال أبو جعفر عليه السلام قد أفلح المسلّمون، إن المسلّمين هم النجباء).

فالتسليم بكلام الله كما هو، هو من التسليم الممدوح، لكون القول بالتقدير هنا هو ظن لا دليل عليه، لكوننا لا ننطق عن إنسان نعرفه حتى نرجّح ما يقول إذا قدّرنا قوله بل نتكلم عن خالق كل شيء وهو العليم

---

(١) بصائر الدرجات – محمد بن الحسن الصفار – ص ٥٤٣

الخبير، والتقدير في الحقيقة ما هو إلّا قياس نحوي يُلحق المفسِّر واللغوي بواسطته كلام الله بكلام العرب الجاهليين! حتى يطبق القواعد النحوية المستنبطة من كلام الجاهليين على الكتاب الكريم! والظاهر ان ذلك السلوك من النحويين جاء لكونهم لا يعيرون لمعاني النحو اهتمامهم بالنحو وكيفية تطويع الآيات للقواعد النحوية المستنبطة من الشعر العربي!(فطرق الإثبات، والنفي، والتأكيد، والتوقيت، والتقديم والتأخير، وغيرها من صور الكلام، قد مروا بها من غير درس الّا ما كان منها ماساً بالإعراب أو متصلاً بأحكامه وفاتهم لذلك كير من فقه العربية وتقدير أساليبها)(١)وهذه طامة أخرى فبدل ان يكون الكتاب - وهو النص قطعي الصدور وسامي المقام — هو موضوع القواعد للغة العرب لكونه كما قال ذلك القرشي (والله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو وما يُعلى وانه ليحطم ما تحته)(٢) فهذه شهادة الجاهليين في القرآن فلماذا نقدم أشعار (الفحول) وهم من الكفرة والوثنيين والماجنين الخلعاء، على كتاب الله؟!

والقياس هنا لا مجال له لكون المستعمل للقياس سيطبق قواعده على القرآن وهذا لا يكون (إذ لا يكاد نحوي من النحاة الّا وله أقيسة معينة، سواء كان بصرياً أم كوفياً أم بغدادياً أم أندلسياً ولعل ما يحظى به النحوي من حرية في هذا المجال تتيح له ان يشيد آراءه الشخصية بدون قيد كان سبباً في اقباله

---

(١) إحياء النحو -ابراهيم مصطفى — ص٣

(٢) المستدرك - الحاكم النيسابوري - ج ٢ - ص ٥٠٧

على هذا النوع!!)[1] إذن فالحرية في مجال القياس هي التي جعلت النحاة يقبلون عليه، وبالتالي فعندما يُدخلون القياس في القرآن تستمر (هذه الحرية) في كتاب الله فيصبح مسرحا لآرائهم وليس لما يريد الله، فيذهب (التدبّر) في كتاب الله أدراج الرياح لكون التدبر هو السير دبر الآية لتوصلنا لما يريد الله، وليس دبر كلام النحوي الذي يقيس ليوصلنا لما يريد تبعا لأشعار الملك الضليل وصاحب لواء الشعراء الى جهنم! ومن آفات القياس على كلام الشعراء وكلام العرب خارج القرآن هو إن بعض هذه الأشعار مختلق ليس له أساس وإنما يفتعله البعض لنصرة آرائهم النحوية! وخذ مثلا قصة (اللاحقي) إذ يقول (سألني سيبويه عن شاهد في تعدي – فعل- احدى صيغ المبالغة فعملت له هذا البيت وهو:

حذر أموراً لا تضير وآمن ... ما ليس منجيه من الأقدار)[2]

فهذا اللاحقي وحتى لا يقال إنه قد سُئِل ولم يُجب، قام باختراع بيت شعري من عنده ليكون شاهداً شعرياً وليدخل كتاب سيبويه بعد ذلك ليصبح من شواهد (الكتاب) المقدسة التي لا يعتريها شك! وما (المسألة الزنبورية) منك ببعيد وما دفع فيها الكسائي أو الخليفة الأمين من رشاوى ليوافقه بعض الأعراب وليشهد شهادة الزور الشهيرة تلك[3]. حتى أصبحت لغة العرب بلا قواعد حقيقية بل هي قواعد تتبع أهواء المدينة والمجتمع والنحوي، فنحويو

(١) أثر القرآن والقراءات في النحو العربي- محمد سمير اللبدي-ص٤٤

(٢) أثر القرآن والقراءات في النحو العربي- محمد سمير اللبدي-ص٨٠

(٣) تاريخ الكوفة- السيد البراقي -ص٤٨٠

البصرة يجب ان ينصروا مذهب اهل البصرة حتى لا ينتصر اهل الكوفة عليهم والعكس صحيح (فلكل مذهب اتجاهه ولكل مدرسة طريقتها ولكل بصري رأيه ولكل أندلسي تخريجه كما أن لكل بغدادي تأويله وتقعيده.... وإذا أردنا أن نخطّيء من يقول: جاءت الزيدون كما يقول البصريون طلع علينا الكوفيون بصحة ذلك على تقدير (جاءت جماعة الزيدين) وإذا أردنا أن نخطيء من يقول: رأيت الرجلان على اعتبار أن المثنى ينصب ويجر بالياء، وجدنا من يصوّب لنا ذلك على لغة من يستعمل المثنى بالألف في كل حالاته)[(١)]..

لذا سأقدم للقاريء نماذج من التقديرات التي اقرها اصحابها مع اختلافهم فيها!!

قال ابو البقاء العكبري (الباء في (بسم) متعلقة بمحذوف، فعند البصريين المحذوف مبتدأ والجار والمجرور خبره، والتقدير ابتدائي بسم الله ..... وقال الكوفيون: المحذوف فعل تقديره ابتدأت أو أبدأ فالجار والمجرور في موضع نصب بالمحذوف وحذفت الألف من الخط لكثرة الاستعمال) [(٢)].

ولا اعلم هل اصاب البصريون الغيب بمعرفتهم ما حذفه الله! أم أن الكوفيين هم اصحاب الحظوة بهذا العلم الذي لم يطلعهم الله عليه؟!!

قال العكبري في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا

(١) اثر القرآن والقراءات في النحو العربي- محمد سمير اللبدي- ص٣٨٤

(٢) إملاء ما منّ به الرحمن - أبو البقاء العكبري - ج ١ - ص ٤

لَكُمْ﴾ (لأنفال: ٧) [١] (قوله تعالى (وإذ يعدكم) إذ في موضع نصب: أي واذكروا، والجمهور على ضم الدال، ومنهم من يسكنها تخفيفا لتوالي الحركات، و(إحدى) مفعول ثان، و(أنها لكم) في موضع نصب بدلا من إحدى بدل الاشتمال، والتقدير: وإذ يعدكم الله ملكة إحدى الطائفتين)

قلت: كيف علم العكبري ان الله اراد ان يقول (ملكة احدى الطائفتين) ولماذا لم يقل ان الله اراد ان يقول (غَلَبَة احدى الطائفتين) او غيرها من العبارات؟!

ثم ان قوله تعالى (أَنَّهَا لَكُمْ) تغني عن أي تقدير في المعنى فكونها لهم يعني في النهاية إنهم سينتصرون على احدى الطائفتين بدون أن نحتاج لتقدير في الآية، بل التقدير قد أخلّ بالمعنى، فانظر الى ركاكة الجملة بعدما تضيف اليها ما اضاف العكبري:

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ ملكة إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ (الأنفال:٧) !!

قال العكبري (قوله تعالى (ودخل معه السجن) الجمهور على كسر السين، وقرئ بفتحها والتقدير: موضع السجن أو في السجن) [٢]

قلت: لا مجال للتقدير هنا بعد اكتمال المعنى ومجيئه بعبارة رشيقة جامعة مانعة، فلِمَ نقدّر وجود حرف جر محذوف او أن نضيف كلمة (موضع)! هذا هو التحكم المحض في النصوص.

---

(١) إملاء ما منّ به الرحمن – أبو البقاء العكبري – ج ٢ – ص ٤

(٢) إملاء ما من به الرحمن – أبو البقاء العكبري – ج ٢ – ص ٥٣

قال العكبري في قوله تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (يوسف:٣٣).

(قوله تعالى (رب السجن) يُقرأ بكسر السين وضم النون، وهو مبتدأ، و(أحب) خبره، والمراد المحبس، والتقدير: سكنى السجن، ويقرأ بفتح السين على أنه مصدر، ويقرأ " رب " بضم الباء من غير ياء، " والسجن " بكسر السين، والجر على الإضافة: أي صاحب السجن، والتقدير لقاؤه أو مقاساته)[١].

قلت: اليس هذا هو الاعتساف بتقدير الكلام! فيوسف عليه السلام يريد ان يعبر عن تفضيل السجن على البقاء في القصر ويواجه اغواء نساء القصر، ولكن العكبري مرة يقدر كلمة (سكنى) للنص حتى يستقيم، فالنص على وضعه الأسبق لم يكن مستقيماً حتى نزيد له هذه الكلمة! ومرة اخرى قدّر ان يوسف يتمنى لقاء صاحب السجن او مقاساة السجن!! ولا أعلم كيف يستقيم المعنى الجميل المقتضب الكامل الذي قاله الله مع ما تقوّل العكبري على الله به؟!

قال ابن المنير الاسكندري معقبا على الزمخشري في قوله تعالى:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك:١٤)

قال (أنكر أن لا يحيط علما بالسر والجهر من خلق ذلك الخ) قال أحمد:

---

(١) إملاء ما من به الرحمن – أبو البقاء العكبري – ج ٢ – ص ٥٣

هذه الآية رد على المعتزلة وتصحيح للطريق التي يسلكها أهل السنة في الرد عليهم... والتقدير في الجميع: ألا يعلم السر والجهر من خلقهما، ومتى حذونا غير هذا الوجه من الإعراب ألقانا إلى مضايق التكلف والتعسف، فمن المحتمل أن يكون من مفعولة واقعة على فاعل السر والجهر، والتقدير: ألا يعلم الله المسرين والمجاهرين)[١]

قال النحاس في قوله تعالى ﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ (الأعلى: ١٥) (الصواب عند محمد بن جرير الطبري ان يكون المعنى: صلى فذكر اسم ربه في صلاته بالتحميد والتمجيد)[٢].

وأنت بملاحظة التركيب المترهّل والذي لا يشبه التراكيب القرآنية ترى ابن جرير الطبري (لو صحت النسبة) لا يصحح ما قاله الله! فالصواب ما يراه هو لا ما يراه خالقه، ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

قال النحاس في رقوله تعالى:

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾ (النساء: من الآية٣٦).

(قال جل وعز: ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾ (آية ٣٦). أي وصّاكم بهذا، والتقدير: وأحسنوا بالوالدين إحسانا)[٣].

---

(١) الإنصاف فيما تضمنه الكشاف – ابن المنير الإسكندري – ج ٤ – ص ١٣٧

(٢) إعراب القرآن – النحاس–ج٣– ص٦٨٢

(٣) معاني القرآن – النحاس – ج ٢ – ص ٨٢ – ٨٣

قلت: ولا ادري لماذا لا يكون التقدير (وترفقوا بالوالدين إحسانا) أو (وأوصيكم بالوالدين إحسانا) أو غيرها!!

قال النحاس (قال جل وعز: ﴿أَوْيُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً﴾ (الكهف: ٤١). أي غائرا، والتقدير: ذا غور)[١].

قال النحاس (قال جل وعز ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾ (مريم: من الآية٥٩) (آية ٦٠). روى سفيان عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود قال: هو واد في جهنم. قال أبو جعفر: والتقدير عند أهل اللغة: فسوف يلقون جزاء الغي)[٢].

قال النحاس (قال جل وعز ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً﴾ (الفرقان: من الآية٤) (آية ٤). قال مجاهد: أي كذبا. قال أبو جعفر: والتقدير فقد جاءوا بظلم وزور)[٣].

قال الداني (فإن قال قائل فما علة من عد الكلم الواقعة في الفواتح نحو (ألم) و(المص) و(كهيعص) و(طه) و(طسم) و(يس) و(حم) رؤوس آي وما علّة من لم يعدهن قيل من عدهن فلأمرين أحدهما كونهن مشبهات للجملة المستقلة وللكلام التام، وذلك من حيث كُنّ أسماء للسور اللائي وقعن في أوائلهن والتقدير فيهن: أتل ألم)[٤].

---

(١) معاني القرآن - النحاس - ج ٤ - ص ٢٤٦

(٢) معاني القرآن - النحاس - ج ٤ - ص ٣٤١

(٣) معاني القرآن - النحاس - ج ٥ - ص ٩

(٤) البيان في عد آي القرآن - أبو عمرو الداني - ص ١١٣

قال الثعلبي في تفسيره في قوله تعالى: ﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ .... وعلمه مما يشاء) فقال الكلبي وغيره: يعني صنعة الدروع، والتقدير: في السرد)[١] قلت: ولماذا لم يكون قوله ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ (النمل: ١٦) فهذا نص قرآني على تعليم الله لآل داود منطق الطير!

قلت: إن الفرق شاسع بين قوله تعالى: مما يشاء، وبين قول الكلبي: في السرد. فأيهما نتّبع؟!!

قال السمعاني في تفسيره في قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (الزمر: ٧٣) واعلم أن عند الكوفيين هذه الواو محذوفة في المعنى، وعند البصريين ليست بمحذوفة، والتقدير على قول البصريين: حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها دخلوها)[٢].

قلت: الظاهر أن الذي قال بالتقدير هنا استعجل ذلك لكونه تعالى بعد هذا التركيب القرآني يقول ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (الزمر: من الآية٧٣) فالذي يظهر ان خطاب الخزنة كان كله خارج الجنة ومن يدخلون الى الجنة بدليل قول الخزنة لهم ﴿ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ بينما التقدير جعل الدخول قبل خطاب الخزنة وبالتالي قلب المعنى!

---

(١) تفسير الثعلبي – الثعلبي – ج ٢ – ص ٢٢٣

(٢) تفسير السمعاني – السمعاني – ج ٤ – ص ٤٨٣

قال النسفي في قوله تعالى (يسئلونك عن الانفال .... كما أخرجك ربك) والتقدير: قل الأنفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتم ثبات مثل ثبات اخراج ربك إياك من بيتك وهم كارهون)[1]

قال ابن عطية الاندلسي ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (البقرة: من الآية ١٨٥) فنصب (الشهر) على أنه ظرف والتقدير: فمن شهد منكم المصر في الشهر)[2].

قال ابن عطية الاندلسي ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ (النساء: من الآية٨٨) معناه فرقتين ونصبهما على الحال كما تقول ما لك قائما هذا مذهب البصريين، وقال الكوفيون نصبه بما يتضمنه: ما لكم من الفعل والتقدير: مالكم كنتم فئتين أو صرتم فئتين)![3]!

قال ابن عطية الاندلسيفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ (ابراهيم:٢٨) الآية هذا تنبيه على مثال من ظالمين أضلوا والتقدير: بدلوا شكر نعمة الله كفرا)[4]!

ان الله يقول: بدلوا نعمته والاندلسي يقول: بدلوا شكره! فهل هو اعلم من الله بعباده؟!

قال ابن الجوزي (قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ (البقرة: من

---

(١) تفسير النسفي – النسفي – ج ٢ – ص ٥٥.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – ابن عطية الأندلسي – ج ١ – ص ٧٠.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – ابن عطية الأندلسي – ج ٢ – ص ٨٨.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – ابن عطية الأندلسي – ج ٣ – ص ٣٣٧.

الآيـة٨٣)) اختلـف المفسرون في المخـاطبين بهـذا علـى قـولين: الأول: أنهـم اليهود، والتقدير من سألكم عن شأن محمد صلى الله عليـه - وآلـه - وسـلم فاصدقوه وبينوا له صفته ولا تكتموا أمره قالـه ابـن عبـاس وابـن جـبير وابـن جريح ومقاتل)[١].

قال البيضاوي في قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ (لأعراف: من الآية١٥٤) دخلت اللام على المفعـول لـضعف الفعـل بالتـأخير أو حـذف المفعول واللام للتعليل والتقدير :يرهبون معاصي الله لربهم)[٢].

قال القرطبي في قوله تعـالى: ﴿ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ (القمر: ٢٠) (قال الطبري: في الكـلام حـذف، والمعـنى تـنزع النـاس فتتـركهم كأنهم أعجـاز نخـل منقعـر، فالكـاف في موضـع نـصب بالمحـذوف. الزجّـاج: الكاف في موضع نصب على الحال، والمعنى تنزع الناس مشبهين بأعجاز نخل. والتشبيه قيل إنه للحفر التي كـانوا فيهـا. والاعجـاز جمـع عجـز وهـو مـؤخر الـشيء، وكانـت عـاد موصـوفين بطـول القامـة، فـشبهوا بالنخـل انكبـت لوجوهها)[٣].

قلت: إن الآية واضحة في تشبيه النـاس بأعجـاز النخـل المنقعـر ولـيس بالحُفَر!!

قـال الزركـشي (قولـه تعـالى: ﴿ انتَهُوا خَيْراً لَّكُمْ ﴾ (النـساء: مـن

(١) نواسخ القرآن - ابن الجوزي - ص ٤٣ - ٤٤

(٢) تفسير البيضاوي - البيضاوي - ج ٣ - ص ٦٢ - ٦٣

(٣) تفسير القرطبي - القرطبي - ج ١٧ - ص ١٣٧

الآية١٧١)، أي وائتوا أمرا خيرا لكم،.... وحمله الكسائي على إضمار " كان " أي يكن الانتهاء خيرا لكم. ويمنعه إضمار كان، ولا تضمر في كل موضع، ومن جهة المعنى إذ من ترك ما نهى عنه فقد سقط عنه اللوم، وعلم أن ترك المنهي عنه خير من فعله، فلا فائدة في قوله " خيرا ". وحمله الفراء على أنه صفة لمصدر محذوف، أي انتهوا انتهاء خيرا لكم. وقال: إن هذا الحذف لم يأت إلا فيما كان أفعل، نحو خير لك، وأفعل. ورد مذهبه ومذهب الكسائي بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ﴾، لو حمل على ما قالا لا يكون خيرا، لأن من انتهى عن التثليث وكان معطلا لا يكون خيرا له. وقول سيبويه وائت خيرا يكون أمرا بالتوحيد الذي هو خير. فلله در الخليل وسيبويه، ما أطلعهما على المعاني!) [١]

قلت: إن كلام الزركشي والفراء وسيبويه والكسائي متناقض مع بعضه البعض، وكله لا دليل عليه سوى ما في أذهانهم من تقدير كلام الله المحذوف والذي لو وجد فهو في الغيب ولا يعلمه لا سيبويه ولا الخليل..فلله در الخليل وسيبويه! قال الزركشي (وزعم النووي في قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ ﴾ (النور: من الآية٥٣)، إن التقدير: ليكن منكم طاعة معروفة.) [٢]

قلت: الفرق كبير بين النص القرآني والنص النووي!

قال الزركشي (قوله: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ

---

(١) البرهان – الزركشي – ج ٣ – ص ٢٠٣ – ٢٠٦

(٢) البرهان – الزركشي – ج ٣ – ص ٢٠٣ – ٢٠٦

السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ (القمر: ١١) القمر ١٠-١١.

قال النحاس: التقدير فنصرناه ففتحنا أبواب السماء)[١].

قلت: إن المعنى المراد إيصاله جراء عدم ذكر كلمة (ففتحنا) قد يراد منه ايصال مدى سرعة استجابة الدعاء من الانبياء أو غير ذلك مما يصب في نفس المجال، فالنص بهذا الشكل القرآني جاء لحكمة ولا نقص فيه ليقدر له النحاس هذه الكلمة، ثم ما الدليل على تقدير كلمة (ففتحنا) ولم لم يقل التقدير (فاستجبنا) أو أي كلمة اخرى؟!

قال الزركشي (قوله: ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ (البقرة: من الآية٢٤٣). فقوله: " ثم أحياهم " معطوف على فعل محذوف تقديره فماتوا ثم أحياهم، ولا يصح عطف قوله: " ثم أحياهم " على قوله: " موتوا " لأنه أمر، وفعل الأمر لا يعطف على الماضي.)[٢]

قلت: المفترض أن القاعدة النحوية تؤخذ من القرآن لكونه خير من مصادرهم الباقية من اشعار العرب التي يخترع بعضها لنصرة اقوالهم لا اكثر، لكنا نرى جليا بان القرآن ولما خالف القاعدة النحوية جرى تطويع القرآن للقاعدة بينما المفروض هو العكس، فهل ان الشعر الذي صار قاعدة افصح من القرآن؟!

قال الزركشي (وقوله: ﴿ان النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾

---

(١) البرهان - الزركشي - ج ٣ - ص ٢٠٣ - ٢٠٦

(٢) البرهان - الزركشي - ج ٣ - ص ٢٠٣ - ٢٠٦

(البقرة: من الآية٢١٣)، أي فاختلفوا فبعث، وحذف لدلالة قوله: (ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)، وهي في قراءة عبد الله كذلك. وقيل: تقديره كان الناس أمة واحدة كفارا، فبعث الله النبيين، فاختلفوا. والأول أوجه.)[1]

قال الزركشي (قوله: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (لأعراف: من الآية٦٣)، فالهمزة للإنكار، والواو للعطف، والمعطوف عليه محذوف تقديره: أكذبتم وعجبتم أن جاءكم.)[2]

قال الزركشي (قوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ (المائدة: من الآية٣٨) قال سيبويه: الخبر محذوف، أي فيما أتلوه السارق والسارقة، وجاء (فاقطعوا) جملة أخرى.... وقال غيره: السارق مبتدأ، فاقطعوا خبره، وجاز ذلك لأن الاسم عام، فإنه لا يريد به سارقا مخصوصا، فصار كأسماء الشرط، تدخل الفاء في خبرها لعمومها، وإنما قدر سيبويه ذلك لجعل الخبر أمرا، وإذا ثبت الإضمار فالفاء داخلة في موضعها، تربط بين الجملتين. ومما يدل على أنه على الإضمار إجماع القراء على الرفع، مع أن الأمر الاختيار فيه النصب. قال: وقد قرأ ناس بالنصب ارتكانا للوجه القوي في العربية، ولكن أبت العامة إلا الرفع.)[3]

قال الشوكاني ﴿فَآمِنُوا خَيْراً لَّكُمْ﴾ (النساء: من الآية١٧٠) اختلف

---

(١) البرهان – الزركشي – ج ٣ – ص ٢٠٣ – ٢٠٦

(٢) البرهان – الزركشي – ج ٣ – ص ٢٠٣ – ٢٠٦

(٣) البرهان – الزركشي – ج ٣ – ص ١٣٩ – ١٤٠

أئمة النحو في انتصاب خيرا على ماذا؟ فقال سيبويه والخليل بفعل مقدر: أي واقصدوا أو أتوا خيرا لكم، وقال الفراء: هو نعت لمصدر محذوف: أي فآمنوا إيمانا خيرا لكم، وذهب أبو عبيدة والكسائي إلى أنه خبر لكان مقدرة: أي فآمنوا يكن الإيمان خيرا لكم)(١)

قلت: المعنى واضح فالإيمان خير لهم، ولكن علماء النحو ينصب اهتمامهم على العامل وليس على المعنى! فلو كان ماقاله الخليل وسيبويه حقا فما موقع (لكم) في الجملة؟!!

قال ابن حجر بعد ايراده قوله تعالى:

﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:١٠٢).

قال ابن حجر (أخرج الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس قال: لم ينزل الله السحر ومن طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس مثله قال الطبري فعلى هذا فالمراد بالملكين جبريل وميكائيل وهاروت وماروت رجلان من أهل بابل وفي الكلام تقديم وتأخير والتقدير وما كفر سليمان وما أنزل

(١) فتح القدير - الشوكاني - ج ١ - ص ٥٤٠

على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل وهاروت وماروت بدل من الناس والقراءة المشهورة أن الملكين بفتح اللام وبنى الطبري الاختلاف فيها على تفسيرها فمن قرأ بالفتح قال هما هاروت وماروت أو جبريل وميكال ومن بالكسر قال هما علمان ملكا بابل أو شيطانان ورجح الأول لشهرة القراءة بالفتح ولتعسف التأويل والتركيب ممن قال جبريل وميكال) [١]

قلت: انظر اعترافه بالاعتساف في التأويل بل وما جرّ ذلك من مصيبة وهي القول بأن جبريل وميكال عليهما السلام يعلّمان السحر في بابل!!

(١) العجاب في بيان الأسباب - ابن حجر العسقلاني - ج ١ - ص ٣١٥ - ٣١٦

كلاّ.. في القرآن

ورد لفظ (كلا) في ثلاثة وثلاثين موردا منها مورد واحد حكاية عن موسى عليه السلام وهو في سورة الشعراء، في قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) ﴾ الشعراء٦١-٦٢

أما باقي الموارد وهي اثنين وثلاثين موردا فكلها قول رب العالمين كما في قوله تعالى:

﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون:١٠٠).

وقوله تعالى:

﴿ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (سبأ:٢٧).

وقوله تعالى:

﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَظَى ﴾ (المعارج:١٥).

وقوله تعالى:

﴿ كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴾ (المعارج:٣٩).

وقوله تعالى:

﴿ كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً ﴾ (المدثر:١٦).

وقد اختلف اللغويون والمفسرون في معناها اختلافا كبيرا قال الطريحي (و"كلا" كلمة ردع وزجر ومعناها إنته لا تفعل، قال تعالى: (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم كلا) أي لا يطمع في ذلك. ويكون بمعنى حقا كقوله تعالى: (كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية) أي لا ينبغي أن يكون الأمر هكذا، وقيل: كلا زجر تقديره لا تفعلوا هكذا ثم خوفهم فقال: (إذا) الخ.

قال الشيخ أبو علي: وكلا حرف وليس باسم وتضمنه معنى إرتدع لا يدل على أنه كـ(صه) بمعنى أسكت و(مه) بمعنى اكفف.

وقال ابن هشام: هي مركّبة عند تغلب من كاف التشبيه ولا الناهية، وإنما شُدّدت لامها لتقوية المعنى ولدفع توهم بقاء معنى الكلمتين، وعند غيره هي بسيطة، وهي عند سيبويه والأكثر حرف معناه الردع والزجر لا معنى لها عندهم إلا ذلك.. حتى قال جماعة منهم: متى سمعت كلّا في سورة فاحكم أنها مكية.

قال: ورأي الكسائي وأبو حاتم ومن وافقهما أن معنى الردع والزجر ليس مستمرا فيهما، فزادوا فيها معنى ثانيا يصح عليه أن يوقف دونها ويبتدأ بها ثم اختلفوا في تعيين ذلك المعني على ثلاثة أقوال: (أحدها) أن تكون بمعنى حقا.

(الثاني) أن تكون بمعنى " ألا " الاستفتاحية.

(الثالث) أن تكون حرف جواب بمنزلة إي ونعم، وحملوا عليه (كلا والقمر) (٧٤ / ٣٢) فقالوا: معناه إي والقمر..) [١]

وما قالوه في القمر خالفهم فيه بعض المفسرين كالآلوسي[٢] وقال بأنها للزجر،وما قالوه في معنى (حقا) لا يستقيم والسياق القرآني إذ لا معنى له! مع أن الطريحي رجع واعترف بأنها تعني (أي لا ينبغي أن يكون الأمر هكذا).

و قال العكبري (كلا.... وهي حرف معناه الزجر عن قول منكر يتقدمها)[٣]

والظاهر أن الأغلب من المفسرين الذين اطلعت على رأيهم يذهبون إلى كون كلا للزجر والردع كالطوسي والثعلبي....الخ

ولكن الذين قالوا بكونها للردع والزجر اخذوا بالمعنى الذي (قيل) بأنه لها لُغَويا ولم ينتبهوا لما في القرآن ومواردها فيه التي تأبى هذا ومن ذلك:

---

(١) مجمع البحرين – الشيخ الطريحي – ج ٤ – ص ٦٤ – ٦٦

(٢) تفسير الآلوسي– ج٢٩ –ص١٣٠

(٣) إملاء ما من به الرحمن – أبو البقاء العكبري–ج٢ –ص١١٧

حواره تعالى مع الكليم موسى :

موسى: ﴿ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (١٣) ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون (١٤) ﴾ .

قال تعالى :

﴿ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ (الشعراء:١٥)

فهل انه تعالى زجر موسى وردعه بقوله : كلا؟! ولو كان كلا هنا للزجر فإن هذا سيجرنا إلى أنه تعالى قد زجر نبينا صلى الله عليه وآله في القرآن في قوله تعالى :

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) ... إلى قوله تعالى .. كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) ﴾ (عبس١١-١٢).

فعلى جمهور أهل السنة وبعض مفسري الشيعة فإن الله قد زجر وردع النبي صلى الله عليه وآله في القرآن، وطبعا هم لما وصلوا لهذه الآية لم يقولوا عن (كلا) بأنها للزجر!! ومنهم -كابن الجوزي - لما وصل لهذا الموضع قال (كلا أي لا تفعل ذلك)[1] ومنهم — كالطبري- قال (يقول تعالى ذكره : كلا ما الأمر كما تفعل يا محمد، من أن تعبس في وجه من جاءك يسعى وهو يخشى، وتتصدى لمن استغنى) [2] فهم لم يقولوا عنها إنها للزجر بل التفّوا عليها لعدم استطاعتهم قول ذلك!!

---

(١) زاد المسير - إبن الجوزي -ج٨ ص١٨١

(٢) تفسير الطبري - ج ٣٠ - ص ٦٨

وكان يكفي ومن خلال جمع الألفاظ القرآنية في القرآن بأن يقولوا هو حرف جواب، وهو مثل (نعم) ليس له دخل في الزجر والردع بل هو لمعرفة الجواب فقط، وأما الاستغراق في غيره فيحتاج للنصوص التي تتبعه وليس منه وإلّا فما ذنب بني إسرائيل عندما قالوا لموسى:

﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) ﴾ الشعراء٦١-٦٢

فأصحاب موسى لم يقترفوا جرما عندما قالوا: إنّا لُمدرَكون، فهم يعبّرون عن حالة الخوف الجبلّيّة التي انتابتهم جراء اقتراب فرعون وجيشه منهم، فهل من الصواب أن نقول بأن موسى زجرهم وردعهم عن تفكيرهم هذا!! إلا ترى بان المسألة لا علاقة لها بزجر أو ردع أو نهي بعنف وإنما هي حرف جواب لتبيين الموقف.

ولاحظ معي الآيات التالية:

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢)

كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣)

ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) ﴾ (التكاثر ١- ٥).

وقوله تعالى:

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ

بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) ﴾ (المطففين ١٠-١٨).

وقوله تعالى:

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) ﴾ (النبأ ١-٥).

وقوله تعالى:

﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) ﴾ (العلق ٣-٦).

فبعضها لا يحتوي على الزجر لأنه خارج إطار الزجر، وهو لتبيين الموقف فقط فليس هناك من يزجر أصلاً!.

النفاق ومرض القلب
مصطلحان متباينان قرآنياً

قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال:٤٩).

وقال تعالى:

﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً ﴾ (الأحزاب:١٢).

وقال تعالى:

﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (الأحزاب:٦٠).

في الآيات الكريمة نلاحظ أنه سبحانه تكلم عن فئتين اقترنتا في الموارد الثلاثة، وقد سبقت مجموعة (المنافقون) مجموعة (الذين في قلوبهم مرض) في

الترتيب في الموارد جميعاً، وتعاقبتا بواو العطف، مما يقتضي تغايرهما، ومن الغريب أن كثيراً من المفسرين لم يفرّق بين هؤلاء وهؤلاء! فحملوا المرض الذي في القلوب على أنه النفاق، وهذا خلاف السياق القرآني، كما فعل كل من:

القُمّي في تفسيره فقال في آية الأحزاب(نزلت في قوم منافقين) (١)

الطوسي في تفسيره نقل عن أبي علي (والظاهر انه الجبائي) قوله (كلهم في معنى المنافقين)(٢).

الطبرسي قال في آية الاحزاب١٢(قيل هم بنو سالم من المنافقين)(٣)

مكارم الشيرازي* في الأمثل إذ قال بعد إشارته إلى إحدى الآيات السالفة (والحق أن مثل هذه الأخبار والمبشرات اعتبرها المنافقون...)(٤) مما يجعله يوافق من سبقه بحمل المرض على النفاق.

عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره إذ قال في الأحزاب ١٢(هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين)(٥)

احتمله الطبري في تفسيره ونقل عن الحسن البصري ما نقله الصنعاني

(١) تفسير القمي-ج٢ - ص١٩٢

(٢) التبيان -الطوسي-ج٥ - ص١٣٦

(٣) مجمع البيان -الطبرسي-ج٨- ص١٤٠

* الظاهر أن الشيخ مكارم الشيرازي كان مشرفاً على التفسير وليس مؤلفاً له.

(٤) الأمثل- ناصر مكارم الشيرازي- ج١٣- ص١٨٦

(٥) تفسير القرآن -الصنعاني-ج٢-ص٢٦٠

آنفا [١].

واحتمله ابن أبي حاتم في تفسيره أيضا[٢].

وأورد النحاس في معانيه: إنهم المنافقون [٣].

وكذلك فعل السمرقندي وقال في المرض [٤] (شكا ونفاقا).

وكذلك ابن زمنين مع انه في البداية فسر المرض بأنه (الشك) [٥].

وكذلك فعل الثعلبي وقال(شك ونفاق)[٦].

وقال الواحدي إنها نزلت في المنافقين[٧].

واحتمل ابن الجوزي انه النفاق[٨]

ونقل ابن عطية في تفسيره عن قتادة (إنهم الذين أعلنوا النفاق)[٩]

وأشار الفخر الرازي إلى كونها في المنافقين [١٠]

---

(١) جامع البيان–الطبري–ج١٠–ص٢٤٤

(٢) تفسير ابن أبي حاتم الرازي–ج٥– ص١٧١٦

(٣) معاني القرآن – النحاس–ج٥–ص٣٣٠

(٤) تفسير السمرقندي–ج٢–ص٢٦

(٥) تفسير ابن زمنين–ج٢–ص١٨٢

(٦) تفسير الثعلبي –ج٤–ص٣٦٦

(٧) أسباب نزول الآيات–الواحدي النيسابوري–ص٦٥

(٨) زاد المسير –ابن الجوزي–ج٦ – ص١٨٥

(٩) تفسير القرآن– ابن عطية الأندلسي– ج١ – ص٩٥

(١٠) تفسير الرازي–ج١٠–ص١٥٨

وغيرهم من المفسرين ممن تركنا آراءهم. علما أن بعض هؤلاء الذين سردنا أسمائهم لم يقتصر على هذا الرأي بل أنه احتمله مضموماً لآراء أخرى ولم يبتّ في الرأي الخاص به، مما جعلنا نحمله مسؤولية هذا الرأي لكونه لم ينفه.

وباقي المفسرين - ممن لم يحملوا مرض القلب على النفاق - اختلفوا، فمنهم من قال إنه الشك والريب، ومنهم من قال إنه الزنا.

فأما الشك والريب فهو احتمال منفي طبعاً لنفس علة نفي معنى (النفاق) عن معنى (المرض)، إذ يقول سبحانه وتعالى:

﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (النور:٥٠)

فلو كان مرض القلب هو الريب لما كان هناك داع لهذا الاستفهام من العالم المتعال؟ أرأيت لو قال لك رجل عاقل (أفي قلوبهم مرض أم في قلوبهم مرض)!! وهو يقصد التفصيل أرأيت هذا الكلام معقول ويؤدي غرضه؟! طبعا كلا، وهذا ما نقوله.

قال تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ

إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ (المدثر:٣١)

وهنا كذلك نفس الإشكال، فلو كان للذين (في قلوبهم مرض) معنى المرتاب والشاك لم يكن هناك داعٍ لتغيير اللفظ؟! فلمّا استعمل اليقين في مقابل الريب علمنا بالمعنى الواضح لهذين المصطلحين، ولكنه لما جعل (الذين في قلوبهم مرض) في مقابل (الذين أوتوا الكتاب) وبمقابل (زيادة إيمان الذين آمنوا) صار لعدم المطابقة معنى، إذن فمرض القلب لا يعني الريب وإلّا لذكره بهذا اللفظ كما ذكر مصطلح (الريب) قبله.

ثم إن الذين قالوا بأن (مرض القلب) هو الشك والريب فهل أن (الشك والريب) أمرٌ واحد وشعور واحد؟! طبعا كلا، فلو كان أمرا واحدا لما قال تعالى:

﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (هود:٦٢).

وقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ (هود:١١٠).

وقال تعالى:

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا

بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ (ابراهيم:٩).

فزيادة الريب على الشك وكونه صفة له يفيد كونهما متباينين، فمرة يكون الشك مريباً ومرة يكون خالياً من هذه الصفة.لهذا قال أبو هلال العسكري[١] (الفرق بين الريب والشك: الشك: هو تردد الذهن بين أمرين على حد سواء. وأما الريب فهو شك مع تهمة. ودل عليه قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾. وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ﴾. فإن المشركين – مع شكهم في القرآن – كانوا يتهمون النبي بأنه هو الذي افتراه وأعانه عليه قوم آخرون!). وهو كلام نفيس لم أجد أحدا تطرق له، والله اعلم.

والملاحظ أن أغرب الأقوال هو قول قتادة الذي نقله ابن عطية الأندلسي من أنهم (الذين أعلنوا النفاق)!! فهو أراد أن يهرب من القول بترادف النفاق والمرض فسقط بالأدهى! فكيف يُعلن عن النفاق والنفاق لا يكون إلا عن طريق إسرار الكفر وإظهار الإيمان؟! فإعلان الكفر هو مرحلة لاحقة لإسراره، ونفاق الناس به، أما إظهار النفاق فليس له موضوع أصلاً فكيف كان هو مرض القلوب؟!

والسؤال الذي يوَجّه إلى الذين قالوا بأن مرض القلب هو النفاق: لماذا قال الله (المنافقون والذين في قلوبهم مرض)؟! فلو كان المعنى واحدا فهل يقول العاقل (المنافقون والمنافقون)؟!! أليس هم يقولون بأن الأصل في

(١) الفروق اللغوية – أبو هلال العسكري – ص ٢٦٤

العطف أن يقتضي المغايرة؟!

والآن لنحاول الاستدلال على معنى (مرض القلب) قرآنياً:

فلقد ذُكر مصطلح (المرض) مرتبطا (بالقلب) في القرآن في اثني عشر موردا، منها قوله تعالى:

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (البقرة:١٠).

وقوله تعالى:

﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ (المائدة:٥٢).

وقوله تعالى:

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (التوبة:١٢٥).

وقوله تعالى:

﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ (الحج:٥٣).

وذُكِرَ النفاق مع اشتقاقاته في سبعة وثلاثين موردا، وذُكِرَ الشك في خمسة عشر موردا، وذُكِرَ الريب مع اشتقاقاته في ستة وثلاثين موردا.

خواص مرض القلب:

إن المتتبع للآيات التي ذُكِرَ فيها (مرضى القلوب) يرى أن الله سبحانه نفى عنهم صفة (الإيمان) وجعلهم مجموعة في قِبال الذين آمنوا فقال:

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ (٢١) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣) أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤) إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (٣٢) ﴾ (محمد ٢٠-٣٢).

وقد تطرق سبحانه لقضية هؤلاء الذين ينتظرون نزول سورة القتال أيضا في سورة التوبة بقوله سبحانه:

﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا

فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥) أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ (١٢٧) ﴾ (التوبة ١٢٤–١٢٧).

وقد وصفهم في سورة البقرة فقال سبحانه:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٨) أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ

بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) ﴾.

وإذا تتبعنا مصطلح (الذين في قلوبهم مرض) في باقي الموارد مع هذه الموارد لوجدنا أنهم:

مجموعة في قبال المنافقين والمؤمنين والكافرين والشاكّين والمرتابين.

إنهم يدّعون الإيمان ظاهرا.

يدّعون الإصلاح مما يجعلهم مجموعة متنفذة لها مشاريعها الخاصة لا مجموعة هامشية.

يجعلون لأنفسهم جاه وسلطة فلا يريدون أن يكونوا مؤمنين (مثل السفهاء) كما يقولون مما يجعلنا نقول أنهم شخصيات بارزة وأسماء معروفة.

كانوا يكرهون القتال مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

كانوا يُضمرون العداء لأرحامهم عندما يتولون في الأرض (بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم طبعا).

إنهم ملعونون وحكم عليهم بالصمم والعمى عن الهدى جزاء لعملهم الشنيع.

قلوبهم المريضة مقفلة بالضَلال.

عملهم السابق مُحبَط لكونهم يكرهون رضوان الله ولا يطيعون أوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الإلهية ويُسرّون غير ما يظهرون.

إنهم يبغضون أُناساً لم يذكرهم القرآن صريحاً ويحملون الضغينة والحقد لهم.

إنهم كفروا وصدوا عن السبيل وشاقّوا النبي ولكن بقيد مهم وهو (من بعد ما تبين لهم الهدى)

إنهم رجس ولا يموتون إلا وهم كافرون (في النهاية)

إنهم كاذبون في حياتهم

إن هؤلاء كانوا يتمركزون في المدينة بشهادة قوله سبحانه:

﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (الأحزاب:٦٠)

إنهم كانوا يتصلون بأهل الكتاب سرّا ليأمنوهم على أنفسهم كما قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ المائدة٥١-٥٢.

ولو راجعت ما كتبه المؤرخون حول بعض المسلمين الذين اتصلوا بالمشركين بعد موقعة أحد ليتوسطوا لهم برجوعهم إلى مكة (بعدما قُتل النبي)!! لعرفتَ من هم! إنهم كانوا يتعاونون مع المنافقين ويمثلون طابوراً خامساً للعدو كما قال تعالى:

﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ

عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال:٤٩).

إذ ورد بأن القائلين قالوا هذه العبارة عند خروج المسلمين إلى بدر، فرأى المنافقون ومرضى القلوب أن الخروج بهذا العدد الضئيل إنما غرور ليس بعده نجاة، وانتبه لقوله تعالى ﴿غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ﴾ إذ أن القائل لا ينسب دين الإسلام لنفسه بل للمسلمين مما يفيد خروجه من جماعتهم.

ولو راجعت ما كتبه المؤرخين عن استشارة البعض وما ردوا به مما سبب الإحباط عند بعض المسلمين لعرفتَ من هم!

إنهم كانوا على شكل مجموعة مُنَظّمة تخترق المسلمين، تتلاقى فيما بينها وتنسق جهودها ويدل عليه قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥) أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ (١٢٧)﴾ التوبة ١٢٥-١٢٧.

من هذه الآيات وغيرها نرجِّح بأن (مرضى القلوب) هو الذين اسلموا وارتدّوا سراً، ولم يعلم بهم في حياتهم حتى النبي صلى الله عليه وآله، وقد يكون قد علم إجمالاً ولم يعلم تفصيلاً من الله تعالى، ولكن الله أرشده إلى أنه ممكن أن يعلمهم من خلال سلوكهم المنحرف،ويدل عليه قوله تعالى:

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٠)

فلا هم بالمنافقين والذين نافقوا (فهم يفترقون عن المنافقين بأنهم آمنوا بالنبي في البداية ثم ارتدوا سرا ولجئوا للنفاق بينما استعمل المنافقون النفاق من البداية)، ولا بالمشركين والذين أشركوا، ولا بالكافرين والذين كفروا، ولا من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فلم يبقَ غير أنهم جماعة أسلمت وارتدّت سرا، وما أدل الآية على ذلك التي تقول:

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ البقرة١٧

فهم استوقدوا فلما أضاءت النار ما حوله وأنارت ذهب الله بنورهم جزاء على ضلالتهم وارتدادهم سرا.

ومن نُكت القرآن الطريفة أن ارتباط المرض بالقلب - وهي علامة هؤلاء - قد جاءت باثني عشر موضعا في القرآن، وهي قيمة تمثل عدد مرضى القلوب في المسلمين وهي تقابل عدد المعصومين من الأئمة وهم اثنى عشر إماما. وهو العدد نفسه للمتآمرين في ليلة العقبة!! والواردة في روايات عديدة من السنة والشيعة:

روى ابن سعد في طبقاته الكبرى (قال محمد بن عمر قال حمزة بن عمرو لما كنا بتبوك وأنفر المنافقون بناقة رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم في العقبة حتى سقط بعض متاع رحله قال حمزة فنور لي في أصابعي الخمس فأضئ حتى جعلت القط ما شذّ من المتاع السوط والحباء وأشباه ذلك).[1]

(١) الطبقات الكبرى - محمد بن سعد - ج ٤ - ص ٣١٥

وقال المقريزي في الإمتاع (ثم ارتحل رسول الله (صلى الله عليه - وآله - وسلم) متوجهاً لماء تبوك فأصبح في منزل، فضلت ناقة النبي (صلى الله عليه - وآله - وسلم) القصواء، فخرج أصحابه في طلبها، وعند رسول الله (صلى الله عليه - وآله - وسلم) عمارة ابن حزم عَقَبيّ بدريّ قُتل يوم اليمامة شهيدا، وكان في رحله زيد بن أبي اللصيت أحد بني قينقاع، كان يهوديا فأسلم ونافق، وكان فيه خبث اليهود وغشهم - وكان مظاهراً لأهل النفاق - فقال زيد وهو في رحل عمارة، وعمارة عند النبي (صلى الله عليه - وآله - وسلم): أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء؟ وهو لا يدري أين ناقته!!.

فقال رسول الله (صلى الله عليه - وآله - وسلم): إن منافقاً يقول: إن محمدا يزعم أنه نبي وهو يخبركم بأمر السماء؟ ولا يدري أين ناقته!! وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلّني عليها، وهي في الوادي في شعب كذا وكذا - أشار لهم إليه - حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتوا بها، فذهبوا فجاءوا بها، فرجع عمارة بن حزم إلى رحله فقال: العجب من شئ حدثناه رسول الله (صلى الله عليه - وآله - وسلم) آنفا عن مقالة قائل أخبره الله عنه، قال: كذا وكذا للذي قال زيد، فقال رجل ممن كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله (صلى الله عليه - وآله - وسلم) قائل هذه المقالة زيد قبل أن يطلع علينا، قال: فأقبل عمارة على زيد بن اللصيت يجأه في عنقه ويقول: والله إن في رحلي لداهية، وما

أدري، أخرج يا عدو الله من رحلي. وكان الذي أخبر عمارة بمقالة زيد أخوه عمرو بن حزم، وكان في الرحل مع رهط من أصحابه، والذي ذهب فجاء بالناقة من الشعب الحارث بن خزمة الأشهلي، وجدها وزمامها قد تعلق في شجرة، فقال زيد بن اللصيت: لكأني لم أسلم إلا اليوم، قد كنت شاكّا في محمد، وقد أصبحت وأنا فيه ذو بصيرة، فأشهد أنه رسول الله، فزعم الناس أنه تاب، وكان خارجة بن زيد بن ثابت ينكر توبته ويقول: لم يزل فسلاً* حتى مات)[١]!!

وقيل بأنه نزلت في تلك الحادثة آيات تتلى، قال تعالى:

﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (٦٤) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦) ﴾ (التوبة ٦٤-٦٦).

وقد روى نزولها في ليلة العقبة ومنافقيها الاثني عشر العديد من مفسري أهل السنة منهم ابن الجوزي[٢] والرازي[٣] والعز بن عبد السلام[٤]

* الفسل: الرذل النذل الذي لا مرؤة له ولا جلد / العين - الفراهيدي- ج٧ - ص٢٦٠

(١) إمتاع الأسماع - المقريزي - ج ٥ - ص ١١٦ - ١١٧

(٢) زاد المسير- ابن الجوزي - ج٣- ص٣١٤

(٣) تفسير الرازي - ج١٦-ص١٢٠

(٤) تفسير العز بن عبد السلام-ج٢-ص٣١

والبيضاوي[١] وأبو حيان الأندلسي[٢] وابن كثير[٣] والسيوطي[٤] والكثير غيرهم، ومن الملفت للنظر ان بعض من ورد اسمه في أسماء مرضى القلوب في ليلة العقبة ظل يعيش هاجس الفضيحة طول عمره إذ انه ورد أحدهم كان يسأل حُذيفة ابن اليمان صاحب سر النبي على المنافقين (هل أنا من المنافقين)[٥] يعني الذين ذكرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم له!! بل إن جملة من الصحابة كانوا يعيشون هاجس الفضيحة يربو عددهم على ثلاثين كما روى البخاري عن ابن أبي مليكة (أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه - وآله - وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه) والأحرى أن يقول (كلهم يخاف الفضيحة على نفسه!!)

وكون حُذيفة بن اليمان رضي الله عنه كان صاحب سر النبي على المنافقين شيء متسالم عليه عند أصحاب السير، قال ابن الأثير (وحذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم في المنافقين لم يعلمهم أحد إلّا حذيفة، أعلمه بهم رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم وسأله عمر أفي عمالي أحد من المنافقين قال نعم واحد قال من هو؟ قال لا أذكره.

---

(١) تفسير البيضاوي- ج٣- ص١٥٥

(٢) تفسير البحر المحيط- ج٥- ص٧٦

(٣) تفسير ابن كثير-ج٢- ص٣٨١

(٤) الدر المنثور- السيوطي- ج٣- ص٢٥٤

(٥) الهجوم على بيت فاطمة- عبد الزهراء مهدي- ص٤٦٧/ الغدير للأميني نقلا عن الباقلاني في التمهيد-ج٦- ص٢٤١

قال حذيفة: فعزله كأنما دل عليه، وكان عمر إذا مات ميت يسأل عن حذيفة فان حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر وان لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر)[١].

ولما كان هؤلاء المرضى يعيشون خوف الفضيحة ليل نهار ولما لم يكن الزمان يمر بعيدا بغزوة تبوك، ولما حج النبي حجة الوداع نرى أن أحدهم يسأل النبي: أنزل فيَّ شيء[٢]؟!

والنبي صلى الله عليه وآله وسلم نفى نزول شيء فيه ولم ينفِ كونه من مرضى القلوب!! ومن الملاحظ إن محاولة اغتيال النبي الفاشلة تلك في تبوك جاءت بعد وقت بسيط بعد قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم المشهور لعلي بن أبي طالب(أنت مني كهارون من موسى لولا انه لا نبي بعدي) إذ أجمعت المصادر الإسلامية على قوله هذا انه كان عند تأهب النبي صلى الله عليه وآله وسلم للخروج إلى تبوك، لذا فقوله سبحانه:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (محمد:٢٢).

يكشف عن اتفاق للغدر بعلي بعد النبي وقطع رحم النبي به، وقد غاب عن الشيخ القمي (قدس سره) هذا المعنى فظن أن الآيات نازلة في الذين يعملون ذلك بعد رحيل النبي عن الحياة فقال (بسم الله الرحمن الرحيم الذين

---

(١) أسد الغابة – ابن الأثير – ج ١ – ص ٣٩١

(٢) عمدة القاري – العيني – ج ١٨ – ص ٢٦٠

كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم) نزلت في الذين ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وغصبوا أهل بيته حقهم وصدوا عن أمير المؤمنين عليه السلام وعن ولاية الأئمة عليهم السلام أضل أعمالهم أي أبطل ما كان تقدم منهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله من الجهاد والنصرة)[١].

لهذا نفهم الآن لم سُمّيت سورة التوبة بأسماء كثيرة مثيرة منها براءة والمقشقشة والمبعثرة والمخزية والفاضحة والحافرة والمنكلة والمدمدمة وسورة العذاب والمشَرِدة إلى آخر الأسماء، وحتى سورة المنافقين لم تُسَمَّ بهذه الأسماء، فهي بعثرت المرتدّين المرضى وشردهم وحفرت عنهم ونكلت بهم وعذبتهم لذا فلما سمع بعض الأعراب هذه السورة بعد وفاة النبي بوقت طويل قال[٢] (هذه السورة أظنها آخر ما أنزلت، فقلت له: ولم؟ فقال: أرى عهودا تنبذ، وعقودا تنقض) فهذا الأعرابي مع انه لم ير النبي ولم يسمع منه لكنه ولأول وهلة من سماعه الآية عرف أنها كذلك، وأنها سوف تكون سيفاً مشهوراً على مرضى القلوب تفضحهم وتبعثرهم، ولسبب ما جاء في المأثور تلميح إلى أنها قد لا تكون كاملة إذ نقل مفسرو أهل السنة عن سعيد بن جبير قوله(أن هذه السورة كانت تعدل سورة البقرة في الطول)[٣] فإذا كان كل ذلك في سورة التوبة وهي مئة وتسع وعشرون آية في المصحف! فما الذي كانت تضم إذا كانت تعدل البقرة وسورة البقرة كما نعلم مئتين وست وثمانين آية؟!

(١) تفسير القمّي – علي بن إبراهيم القمّي – ج ٢ – ص ٣٠٠

(٢) تفسير السمعاني – السمعاني – ج ٢ – ص ٢٨٤

(٣) تفسير السمعاني – السمعاني – ج ٢ – ص ٢٨٤

وانشقّ القمر!

قال تعالى:

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) ﴾ سورة القمر ١-٤.

اختلف المفسرون في انشقاق القمر هل حصل في زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أم أنه أمر مستقبلي سيحصل في المستقبل، وإن كان الغالب بصورة واضحة هو القول بحدوث الانشقاق في زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والسند لهذا هو الأحاديث العديدة التي رويت في ذلك، والغريب أن الشياع الذي أفاده المفسرون من خلال الروايات وادعائهم التواتر لهذه الحادثة قابله إهمال شديد من قبل البعض الآخر ولم ينقل ولا رواية صحيحة!! كما هو الحال مع امثال:

الثعلبي إذ قال: (وانشق القمر) قال ابن كيسان: في الآية تقديم وتأخير، مجازها: انشق القمر واقتربت الساعة، يدل عليه قراءة حذيفة (اقتربت الساعة

وقد انشق القمر)، وروى عثمان بن عطاء عن أبيه أن معناه: (وسينشق القمر)، والعلماء على خلافه والأخبار الصحاح ناطقة بأن هذه الآية قد مضت)[١]. والهدف هنا قول عثمان بن عطاء.

وقال النسفي (اقتربت الساعة) قربت القيامة (وانشق القمر) نصفين وقرئ وقد انشق أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق، كما تقول اقبل الأمير وقد جاء المبشر بقدومه قال ابن مسعود رضي الله عنه رأيت حراء بين فلقتي القمر وقيل معناه ينشق يوم القيامة والجمهور على الأول)[٢] والهدف من إدراج النص نقل النسفي للـ(قيل)!

قال العز بن عبد السلام ((اقتربت) دنت، سُمّيت ساعة لقرب الأمر فيها، أو لمجيئها في ساعة من يومها (وانشق القمر) اتضح الأمر وظهر يضربون المثل بالقمر فيما وضح وظهر، أو انشقاقه انشقاق الظلمة عنه بطلوعه في أثنائها كما سمي الصبح فلقا لانفلاق الظلمة عنه، أو ينشق حقيقة بعد النفخة الثانية، أو انشق على عهد رسول الله (صلى الله عليه – وآله – وسلم) عند الجمهور، قال ابن مسعود – رضي الله تعالى عنه – رأيت القمر منشقا شقتين مرتين بمكة قبل مخرج الرسول (صلى الله عليه – وآله – وسلم) إلى المدينة شقة على أبي قبيس وشقة على السويداء فقالوا سحر القمر)[٣] لاحظ أن

(١) تفسير الثعلبي – الثعلبي – ج ٩ – ص ١٦٠

(٢) تفسير النسفي – النسفي – ج ٤ – ص ١٩٣

(٣) تفسير العز بن عبد السلام – الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي – ج ٣ – ص ٢٥٤

العزّ بن عبد السلام قد فسّر الآية بدون الروايات واعتمد على التفسير الرمزي لها ثم أعطى المعنى الشائع لها!!

ولكن الطباطبائي نقل مخالفة ثلاثة من كبار المفسرين،قال الطباطبائي (لم يخالف فيه منهم إلا الحسن وعطاء والبلخي حيث قالوا: معنى قوله: (انشق القمر) سينشقّ القمر عند قيام الساعة وإنما عبر بلفظ الماضي لتحقق الوقوع)[١].

وفي الجانب الشيعي نجد أن المجلسي نقل عن البعض قولهم بأن انشقاق القمر في المستقبل ولم يقع [٢] وكذلك فقد شكّك السيد محمد حسين فضل الله في أصل وقوع الحادثة من ناحية ثبوتها من عدمه وليس من ناحية إمكانها طبعاً، قال السيد فضل الله (ولكننا لا نستطيع إحراز التواتر من خلال هذه الأخبار التي لم يكن رواة بعضها موجودين في زمن الانشقاق المفروض ليكونوا شهوداً عليه، مما يعني أنهم نقلوه عن أشخاص آخرين لا نعرف وثاقتهم، الأمر الذي قد يجعل منها أخبار آحاد لا تثبت بها مثل هذه الأمور كما قُرِّرَ في علم الأصول.. وقد يكون التسالم على قبولها ناشئاً من الاجتهاد التفسيري في معنى الآية على أساس أن الآية الثانية تفسر ذلك فيكون الاعتماد على القرآن في توثيق المضمون الخبري لا على طبيعة الخبر. فإذا تجاوزنا ذلك، إلى موضوع الإمكان، فلا بد أن نسلّم بأنه من الأمور الممكنة

(١) تفسير الميزان – السيد الطباطبائي – ج ١٩ – ص ٥٥

(٢) بحار الأنوار– المجلسي– ج٧–ص٥٧

في ذاهّا، وقد حدثنا القرآن عن انشقاق السماء ونحو ذلك من الحوادث التي تتصل بتبدل الظواهر الكونية وتغيرها عما هي عليه، فإذا صح الخبر فيها ثبت وقوعها) [١].

وهذا ملفت للنظر حقاً! ن يكون للباحث هذه الشجاعة ليقابل كل هذه الآراء!

وعماد القائلين بحدوث الانشقاق عند أهل السنّة هي رواية عبد الله ابن مسعود في صحيح البخاري وباقي المجاميع الحديثية إذ قال البخاري (حدثنا صدقة بن الفضل أخبرنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم شقتين فقال النبي صلى الله عليه - وآله - وسلم اشهدوا.) [٢]

ولهذه الرواية رواية مشابهة عن ابن عباس ولكنها تصرّح بالكسوف وليس بالانشقاق نقلها ابن كثير في البداية والنهاية قال ابن كثير (قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عمرو الرزاز، حدثنا محمد بن يحيى القطعي، حدثنا محمد بن بكر، حدثنا ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس. قال: كسف القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم فقالوا سُحِر القمر فنزلت: الساعة وانشق القمر وإن

---

(١) خلفيات كتاب مأساة الزهراء عليها السلام - السيد جعفر مرتضى - ج ١ - ص ٤١٤

(٢) صحيح البخاري - البخاري - ج ٤ - ص ١٨٦

يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر). [(١)]!!

إن الروايتين تستحقان الوقوف عندهما لمعرفة عن كانت أحداهما قد نُسخت من الأخرى!!

و(الحسن) الذي نقل الطباطبائي مخالفته وعدم قوله بوقوع الحادثة هو الحسن البصري (ت١١٦) وقد أدرك العديد من الصحابة ويعتبره أهل السنة من أيمة المسلمين.

و(عطاء) تابعي (ت ١٣٦) وهو من أيمة المسلمين عند أهل السنة ومن كبار المفسرين.

و(البلخي) هو مقاتل بن سليمان المفسر المعروف.

ومن النافين لحدوث (الانفلاق) في القمر الإمام هشام بن عمر الفوطي وأبو إسحاق الأشعري

والإمام الحليمي، وهو قول القشيري والماوردي ونسبه الى (الجمهور)[(٢)].

وقد نُقِل عن النظّام المعتزلي نفي انشقاق القمر وتكذيبه لعبد الله بن مسعود في ذلك[(٣)]

والنظّام المعتزلي(ت٢١٣) احد كبار أئمة هذه الفرقة سُمّي بالنظّام لحسن نظمه للكلام.

---

(١) البداية والنهاية - ابن كثير - ج ٣ - ص ١٤٨ - ١٤٩

(٢) تفسير القرطبي-ج١٧-ص١٢٦

(٣) تأويل مختلف الحديث — ابن قتيبة- ص٢٩

إذن فالقول بعدم تحقق هذه الآية ليس شاذاً وإن كان قليلاً عند العلماء، لكن المنهج القرآني يُعرّفنا أن الكثرة ليست دليلاً على الحق، وأن القلّةِ ليست دليلاً على الباطل، كيف وإبراهيم الخليل كان أُمّة، مع انه كان الموحِّد الوحيد في قومه! لذا فسنقوم بمحاولة لاستقراء ألفاظ الآية في القرآن لنقوم بمعرفة معنى الآية.

ولكنا قبل ذلك نتساءل لماذا ترك المفسرون ما قاله اللغويون في (الشقّ) وذهبوا الى معنى آخر غريب عنه؟! فنحن عندما نراجع كتب أهل اللغة نجدهم يُصرّحون بأن الشق هو الصدع والأخدود، أي انه الفتح الذي لا يؤدي إلى الانفصال بين أجزاء الجسم! قال الجوهري: اللحد بالتسكين: الشق في جانب القبر[1] والضريح: الشق في وسط القبر.[2] وقال ابن قتيبة: الأخدود: الشق. ويقال: خد في الأرض خدا، إذا شق فيها، واسم الشق الأخدود. قال الله جل وعز: قتل أصحاب الأخدود.[3] وقال ابن السكّيت الأهوازي: الشق: الصدع في عود أو حائط أو زجاجة.[4]

فإذن هذا هو الشقّ وليس غيره! أما ما قالوه عن كون القمر قد انشقّ ونزلت فلقتاه حتى رأى ابن مسعود جبل حراء (وفي رواية: جبل أبي قبيس) بين فلقتيه فالمفروض أن يقال: (انفلق) القمر وليس (انشق) لكون الفلق هو

---

(١) الصحاح – الجوهري – ج ٢ – ص ٥٣٤

(٢) الصحاح – الجوهري – ج ١ – ص ٣٨٦

(٣) غريب الحديث – إبن قتيبة – ج ٢ – ص ٢٠٩

(٤) ترتيب إصلاح المنطق – إبن السكّيت الأهوازي – ص ٢١٥

انفصال الشيء إلى جزأين، قال الجوهري: الفلقة: الكسرة [1]، خصوصاً وأن الروايات مضطربة في تحديد من هو الذي طلب انشقاق القمر واستجاب له النبي صلى الله عليه وآله وسلم فبعضها تصرّح بأن المشركين هم من طلب ذلك، وبعضها يصرّح بأن اليهود هم من طلب ذلك، والمعروف أن اليهود لم يكن لهم أي حوار مع النبي إلا بعد الهجرة وفي المدينة بالذات .

ولو راجعنا الآيات القرآنية لوجدنا أنه سبحانه استعمل هذا اللفظ(أي الفَلْق) في آية مشابهة للقمر(لو صحت الروايات) فاستعمل الفلق ولم يستعمل الشق، قال تعالى:

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (الشعراء:٦٣).

فلو كان القمر قد انفلق لكان الأمر في سورة القمر كما هو الأمر هنا فلمَ عبر هناك بالشقّ وفسّره (الصحابة) بانفلاق القمر! وعبّر هنا (بالفلْق)؟!

وقال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ (الأنعام:٩٥).

وقال تعالى:

﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ

---

(١) الصحاح – الجوهري – ج ٤ – ص ١٥٤٤

الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (الأنعام:٩٦)

وقد يكون تفسير الآية بهذا الشكل راجع لما قاله بعض المفسرين من كون الفلْق في القرآن هو الشق!! ونحن نقول إن القرآن أدق مما تذهب إليه ظنوهم!

قال تعالى:

﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً (٢٧) ﴾ عبس ٢٦-٢٧

وقال تعالى:

﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنْزِيلاً ﴾ (الفرقان:٢٥).

وقال تعالى:

﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ (ق:٤٤).

وقال تعالى:

﴿ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ (الرحمن:٣٧)

وقال تعالى:

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴾ (الانشقاق:١)

وقال تعالى:

﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً ﴾ (مريم:٩٠)

وفي كل هذه الموارد القرآنية جاء (الشقّ) بأنه (منفذ أوأخدود) غير

مكتمل الانصداع، أي بأنه أخدود محدود لكي ينفذ منه شيء من جهة إلى جهة أخرى. ففي مورد (عبس) نرى أن الشق يحدث بفعل النبات فالنبات وعند نموِّه باتجاه الأعلى يقوم بإحداث منافذ في أعلى التربة يخرج من خلالها إلى الأعلى.

وفي مورد (الفرقان) تتشقق السماء بفعل الغَمام حتى تتنزل الملائكة منها.

وفي مورد (ق) نرى بأن تشقق الأرض يكون بفعل خروج الموتى من قبورهم، وهذا يؤدي طبعا لأحداث منافذ في سطح التربة حتى يخرجوا منها.

وكذلك الأمر في (الرحمن)و (الانشقاق) و(مريم).

فانشقاق القمر وفق المفهوم القرآني ليس انفصاله إلى جزأين ونزولهما حتى يُرى الجبل بين فلقتيهما! ولو كان كذلك لعبر عنه بأنه (انفلاق) وليس (انشقاق)، وأما ما قالوه بأن الآيات التي تلي الآية الأولى في سورة القمر تؤكد حدوث الانشقاق فكيف ذلك والآية تعبر عن قضية شرطية؟! فهو يقول سبحانه:

﴿ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ (القمر:٢)

فهم: إن يروا آية

ماذا يفعلون: يُعرِضوا

وماذا يقولون: ويقولوا سحرٌ مستمر

فهذه الآية لا علاقة لها بالآية الأولى إلّا من حيث كون انشقاق القمر لو

حصل فهو آية ولا تعني بأي حال من الأحوال بان الانشقاق قد حصل، وهذه الآية بقوّة قوله تعالى:

﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (الأنعام:١١٦)

فإذا حصلت الطاعة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأكثر من في الأرض حصل الضَلال، فهل ياترى أطاع النبيُ صلى الله عليه وآله وسلم أكثرَ من في الأرض؟!!

بل إن الآية التي تليها قرينة على هذا الفهم:

يقول تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٥) ﴾ القمر٤-٥

فهو سبحانه يقول بأن ما جاءهم من الأنباء يكفي لإقامة الحجة، أي إن انشقاق القمر آية ولكن ما سبقها كافٍ لمن يريد الهداية، وبعدها يقول سبحانه:

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ ﴾ (القمر:٦)

وقد يكون هذا عند ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف[1] كما جاءت به الروايات.والداعي هو الإمام القائمعجل الله تعالى

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي — الكوراني-ج٥- ص٤٣٤

فرجه الشريف[١] وهذا هو المفهوم من كلام الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف عند لقائه ابن مهزيار (على تقدير صحته)، إذ روي أن الإمام سأل ابن مهزيار[٢] (يا ابن مهزيار كيف خلفت إخوانك في العراق؟ قلت: في ضنك عيش وهناة، قد تواترت عليهم سيوف بني الشيصبان فقال: قاتلهم الله أنى يؤفكون، كأني بالقوم قد قتلوا في ديارهم وأخذهم أمر ربهم ليلاً ونهاراً، فقلت: متى يكون ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: إذا حيل بينكم وبين سبيل الكعبة بأقوام لا خلاق لهم، والله ورسوله منهم براء، وظهرت الحمرة في السماء ثلاثاً فيها أعمدة كأعمدة اللُجين تتلألأ نورا ويخرج السروسي من إرمنية وآذربيجان يريد وراء الري الجبل الأسود المتلاحم بالجبل الأحمر لزيق جبل طالقان، فيكون بينه وبين المروزي وقعة صيلمانية يشيب فيها الصغير ويهرم منها الكبير، ويظهر القتل بينهما. فعندها توقعوا خروجه إلى الزوراء، فلا يلبث بها حتى يوافي باهات. ثم يوافي واسط العراق، فيقيم بها سنة أو دونها، ثم يخرج إلى كوفان فيكون بينهم وقعة من النجف إلى الحيرة إلى الغري، وقعة شديدة تذهل منها العقول، فعندها يكون بوار الفئتين، وعلى الله حصاد الباقين. ثم تلا قوله تعالى: (بسم الله الرحمن الرحيم أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس). فقلت: سيدي يا ابن رسول الله ما الأمر؟ قال: نحن أمر الله وجنوده، قلت: يا سيدي يا ابن

---

(١) التفسير الصافي-الفيض الكاشاني-ج٥- ص١٠٠

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام - الشيخ علي الكوراني العاملي - ج ٤ - ص٤٥٢ - ٤٥٣

رسول الله حان الوقت؟ قال: (اقتربت الساعة وانشق القمر)).. فانشقاق القمر على هذا من علامات الظهور ويوم القيامة لكونه يسبقهما، فهو حدث يحصل على سطح القمر يؤدي إلى نشوء صدعٍ أو أُخدودٍ على سطحه، ولما كانت علامات الظهور والساعة كلها علامات نوعية تشكل ظواهر ملفتة في زمانها فيجب أن يكون هذا الأمر بيّنا واضحاً للجميع، فقد يكون الانشقاق عبارة عن بناء يقام على سطح القمر – كما تروّج اليوم بعض الدول المتقدمة – مما يتطلب شق سطح القمر، أو قد يكون الانشقاق جرّاء تجارب لبعض الأسلحة تكون على سطحه تؤدي إلى نشوء ذلك الشق.

وأما تأكيد المفسرين لوقوع انشقاق القمر بحجة قوله تعالى(وانشق القمر) ولما كان الفعل (انشق) فعلاً ماضيا كان هذا يدل على مُضيّ الآية! فأين هم عن موارد شبيهة في القرآن قالوا عنها بأنها تحدث في المستقبل مع أنها أتت بصيغة الماضي كقوله تعالى:

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً ﴾ (الكهف:٩٩)

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ (يّس:٥١)

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ (الزمر:٦٨)

لذا فالإتيان بالفعل الماضي ليفيد المستقبل على تقدير الجزم بالوقوع معترف به من كافة المفسرين حتى قد قال الطباطبائي (...إن الإتيان بصيغة

الماضي في الأمر المستقبل للعلم بتحقق وقوعه، وهو شائع في اللغة.)[1].. وقد يكون لغاية أخرى وهو تبيين أن الانشقاق قد بدأ في تلك الفترة وهو مستمر الى الآن! وذلك مثل الانشقاقات التي تحدث في الطبقة التكتونية في الكرة الأرضية،والتي أدّت إلى أن تكون اليابسة بشكلها الحالي، فهي انشقاقات هادئة ومستمرة لا تُرى آثارها إلى بعد آلاف السنين بل ملايين السنين.

و(انشقاق القمر) قد يرتبط من جهة كونه من علامات ظهور الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف بالمروي عن (الوجه) الذي يظهر في القمر في قول الإمام عليه السلام (العام الذي فيه الصيحة، قبله الآية في رجب، قلت: وما هي؟ قال: وجه يطلع في القمر، ويد بارزة)[2] أو في قوله عليه السلام[3] (يا أم سعيد إذا انكسف القمر ليلة البدر من رجب وخرج رجل من تحته، فذاك عند خروج القائم).

وهذا الحديث واضح في أن هناك خسف غير طبيعي، بل هو مصطنع يحدث بوساطة الإنسان وقد يكون ذلك جرّاء حَجْب القمر بمحطة فضائية ضخمة تكون بين الأرض والقمر وهذا الرجل يكون فيها، وقد تكون هي التي تسبِّب الانشقاق.

والقمر جرم فضائي يبلغ محيطه ١٠٩٢٧ كلم، ومن المثير أن وكالة

---

(١) تفسير الميزان – السيد الطباطبائي – ج ٦ – ص ٢٥٣

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام للشيخ علي الكوراني العاملي – ج٣ – ص٤٨٧ – ٤٨٨.

(٣) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام للشيخ علي الكوراني العاملي – ج٣ – ص٤٦١.

الفضاء الأمريكية نشرت صوراً لسطح القمر تمثل شقاً على ظهره بطول يقرب من ٣٠٠ كلم وبعرض يصل لعشرة كيلومترات، وهو في الصورة أدناه:

ولو صحّت الروايات فالحادثة التي حصلت في زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم تكن (انفلاقاً) بل (شقّاً) وإن كانت هكذا حادثة لم يرها أحد في العالم، ولم يؤرخها المسلمون بشكل جاد لا تصلح لأن تكون آية، لكون الآية يجب أن تكون واضحة للجميع حتى تؤدي الغرض منها!

ولكن الكلام في مفهوم (الآية) فسبحانه يقول:

﴿ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ (القمر:٢)

فكلما رأوا آية يقولوا إنها سحر مستمر، وهذا تقرير من الله بعدم الفائدة من إرسال الآيات إضافة لكون الآيات مُكَذَبة، قال تعالى:

﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً(٥٩) ﴾ الإسراء ٥٩

زوال الدويلة الصهيونية
على يد الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف

لم يختلف المفسرون في كون آيات سورة الإسراء نازلة في فترتين لبني إسرائيل يبلغ بهما هؤلاء علوَّ الشأن بشكل استثنائي في التاريخ مع إفسادهم فيهما، قال تعالى:

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً (٧) ﴾ الاسراء.

وقوله تعالى: ﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً ﴾ يربط

العلو بالإفساد فالعلو هنا العتو والطغيان وهو مرتبط بالإفساد لكونهما لا يفترقان، وإنما هما علوّان بإفسادين. والعلو جاء في القرآن في ثلاثة مواضع بمعنى العتوّ والطغيان: فإضافة لمورد سورة الإسراء:

قال تعالى:

قول سليمان عليه السلام لقوم بلقيس ﴿ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (النمل: ٣١) وقول موسى لقوم فرعون ﴿ وَأَنْ لا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ (الدخان: ١٩) فقوله تعالى: ﴿ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً ﴾ العلو هنا طغيان وعتو على الله وليس هو بروز وقوة مجردة عن الإيجاب والسلب.

قال في تفسير الأمثل[1] جامعاً أهم الأقوال في الآيات والعلوّين المُفسِدَين(أولا: يستفاد من تاريخ بني إسرائيل بأن أول من هجم على بيت المقدس وخربه هو ملك بابل (نبوخذ نصر) حيث بقي الخراب ضاربا فيه لسبعين عاما، إلى أن نهض اليهود بعد ذلك لإعماره وبنائه. أما الهجوم الثاني الذي تعرض له، فقد كان من قبل قيصر الروم (أسبيانوس) الذي أمر وزيره (طرطوز) بتخريب بيت المقدس وقتل بني إسرائيل. وقد تم ذلك في حدود مائة سنة قبل الميلاد. وبذلك يحتمل أن تكون الحادثتان اللتان أشارت إليهما الآيات أعلاه هما نفس حادثتي (نبوخذ نصر) و(أسبيانوس)..

ثانيا: أما الطبري فينقل في تفسيره عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن المراد في الفساد الأول هو قتل بني إسرائيل لزكريا (عليه السلام)

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ـ الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ـ ج٨ ـ ص٤٠٥ ـ ٤١٠.

ومجموعة أخرى من الأنبياء (عليهم السلام)، وأن المقصود من الوعد الأول، هو الانتقام الإلهي من بني إسرائيل بواسطة (نبوخذ نصر) وأما المراد من الفساد الثاني فهو الفوضى والاضطراب الذي قام به (بنو إسرائيل) بعد تحريرهم من بابل بمساعدة أحد ملوك فارس، وما قاموا به من فساد. أما الوعد الثاني، فهو هجوم (أنطياخوس) ملك الروم عليهم.

ثالثا: وقال آخرون: إن بيت المقدس شيد في زمن داود وسليمان (عليهما السلام)، وقد هدمه (نبوخذ نصر) وهذا هو المقصود من إشارة القرآن إلى الوعد الأول. أما المرة الثانية، فقد بني فيها بيت المقدس على عهد ملوك الأخمنيين ليقوم بعد ذلك (طيطوس) الرومي بهدمه وخرابه ... وقد بقي على خرابه إلى عصر الخليفة الثاني عندما فتح المسلمون فلسطين.

رابعا: في مقابل التفاسير الآنفة والتفاسير الأخرى التي تتشابه في مضمون آرائها مع هذه التفاسير، نلاحظ أن هناك تفسيرا آخر يورده (سيد قطب)في تفسيره (في ظلال القرآن) يختلف فيه مع كل ما ورد، حيث يرى أن الحادثتين لم تقعا في الماضي، بل تتعلقان في المستقبل

خامسا: الاحتمال الأخير الذي ورده البعض في تفسير الإفسادين الكبيرين لبني إسرائيل، يرتبط بأحداث ما بعد الحرب العالمية الثانية، حيث يقول هؤلاء: إن قيام الحزب الصهيوني وتشكيل دولة لليهود باسم (إسرائيل) في قلب العالم الإسلامي مثل الإفساد والطغيان والعلو الأول لهم..... أما المقصود من الإفساد الثاني حسب هذا التفسير، فهو احتلال اليهود مجددا

للمسجد الأقصى بعد أن حشدت (إسرائيل) قواها واستعانت بالقوى الدولية الاستعمارية في شن هجومها الغادر (عام ١٩٦٧).....بالطبع هناك تفاسير وآراء أخرى في الموضوع صرفنا النظر عنها.....ولكن يستفاد من ظاهر قوله تعالى: ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا إن الإفساد الأول على الأقل والانتقام الإلهي من بني إسرائيل كان قد وقع في الماضي. وإذا أردنا أن نتجاوز كل ذلك، فينبغي أن نلتفت إلى أن قوله تعالى: بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد تفيد في أن الرجال الذين سيؤدبون (بني إسرائيل) على فسادهم وعلوهم وطغيانهم، هم رجال مؤمنون، شجعان حتى استحقوا لقب العبودية. ومما يؤكد هذا المعنى الذي غفلت عنه معظم التفاسير، هو كلمة (بعثنا) و(لنا). ولكنا مع ذلك، لا نستطيع الادعاء أن كلمة " بعث " تستخدم فقط في مورد خطاب الأنبياء والمؤمنين، بل هي تستخدم في غير هذه الموارد أيضا، ففي قصة هابيل وقابيل يقول القرآن الكريم: فبعث الله غرابا يبحث في الأرض. وكذلك الحال في كلمة (عباد) أو (عبد) فهي تطلق في بعض الأحيان على الأفراد غير الصالحين من المذنبين وغيرهم...)

وعملية (البعث) هي عملية التسبب المباشر في المجيء، لا مجازا كما قال بعضهم ولا بشكل غير مباشر، قال تعالى:

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾ (البقرة: من الآية٢١٣).

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾ (الأعراف: من الآية١٠٣)

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ ﴾ (يونس: من الآية٧٤).

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً ﴾ (النحل: من الآية٣٦).

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً ﴾ (البقرة: من الآية٢٤٧).

والأمر مطّرد في اللفظ في كل القرآن سواء الباعث هو الله او غيره إذ جاء الفظ في ثلاثة وخمسين مورداً.

والغريب من صاحب الأمثل لماذا استبعد (الغراب) من قوله (لا نستطيع الادعاء أن كلمة (بعث) تستخدم فقط في مورد خطاب الأنبياء والمؤمنين) فإن كان الإيمان منحصرا في الآدميين كان هذا من الخطأ وإن اعترف بأن الإيمان غير منحصر فيهم فلم الاستبعاد والله تعالى يقول:

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾ (الإسراء:٤٤).

فالسموات والأرض تسبِّحان وكل شيء يسبِّح والتسبيح قمة التنزيه فكيف لا يكون الغراب مخلوقا مؤمناً بالله مسبِّحاً؟! ومن يقول بمجاز التسبيح على (الجمادات! كما قالوا) يجب أن يأتي بدليل، ولا دليل!.

لذا فـ(البعث) جاء في القرآن مطّردا في كون الجائي به مُسبَّباً عن إرسال

الله غالباً فيكون صاحب رسالة بغض النظر عن ماهيّة الرسالة فقد تكون رسالة إيمان وقد تكون رسالة تمثيل وتعيلم من نوع آخر كما فعل الغراب في قصة هابيل وقابيل. أما (العباد) وعطفها عند الأمثل على ((عبد) فهذا خلط بين مصطلحي (العباد)و(العبيد)سيتضح في نهاية البحث.

وأما ما تناوله عن المفسرين فهو المشهور الخاطيء وكم من مشهور لا أصل له! وسنثبت أن العلو الأول مضى في زمان خاتم النبيين وخاتم الأوصياء عليهما الصلاة والسلام. ففي زمان النبي صلى الله عليه وآله كان علوّ بني إسرائيل في حصونهم في جزيرة العرب وأبرزها الحصون الستة وقيل سبعة في خيبر نقل نجاح الطائي عن سيرة الحلبي (كانت حصون اليهود: النطاة والشق والصعب والقموص والوطيح والسلالم، والحصون الأربعة الأولى فتحت عنوة والخامس والسادس فتحا صلحا)[1].

إذ لم تكن اليهود تحكم نفسها في تلك الفترة إلّأ في جزيرة العرب. وإلا ففي إسبانيا وشمال إفريقيا والحبشة كانوا في ذل حكم النصارى الذين يتهمونهم بقتل المسيح عليه السلام وأذاقهم الرومان سوء العذاب في أوروبا لذا ساعدوا المسلمين في تحرير تلك الأراضي من الروم ولم يثبت لهم وجود عسكري في غير تلك المناطق من العالم غير جزيرة العرب لقربها من موطنهم الأصلي مصر وفلسطين. وإفسادهم معلوم في جزيرة العرب فقد كانوا يتزعمون رؤوس الأموال الربوية ويديرون عمليات الربا الفاحش في جزيرة

(١) نظريات الخليفتين – الشيخ نجاح الطائي – ج ١ – ص ٢٨٠

العرب إضافة لخبثهم وتعمدهم الوقيعة بين العرب ليبقوا في منجاة من قوة القبائل العربية.

نعم يسكون النقض على كون العلو الأول في خيبر انه تعالى قال: ﴿ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (الإسراء: من الآية٧).

ولكنه ذكر في العلوّ الأول: فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ

فسمّى مكانهم (ديارا) في العلو الأول وسمّاه (المسجد) في الثاني فأي مسجد هو الذي سيدخله الرجال أنفسهم أو من سنخهم الذي دخلوه أول مرة؟! فلو كانوا في العلو الثاني في فلسطين فالمؤمنون سيدخلون المسجد الأقصى ولكن العلو الأول كانوا في ديارهم ولم يذكر الله أنهم في مسجد أو قربه ولكنه قال تعالى: ﴿ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ وهذا يفيد أنهم في العلو الأول سيكونون في مسجد أيضا! بل ويفيد أن القوم الذين يحاربون بني إسرائيل في العلو الثاني هم أنفسهم من يحاربوهم في علوّهم الأول.

و(المسجد) هنا محلى بأل العهديّة بالعهد الذكري وهو احد المسجدين المذكورين في بداية السورة ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى ﴾ (الإسراء: من الآية١

وعند تحليل لفظ (العباد) سيظهر أن الذي قضى على العلو الأول هو النبي وعلي عليهما الصلاة والسلام والذي سيقضي على العلو الآخر هو الإمام المهدي وعيسى عليهما السلام.

إذ جاء لفظ (العباد) باستعمالاته وإضافاته في القرآن في ١١٩ مرة في القرآن وحسب التوزيع التالي:

عبده: ٧ وقد وصف الله النبي محمد صلى الله عليه وآله بأنه (عبده)خمس مرات وزكريا عليه السلام مرة واحدة

وعبدا: ٦

العبد وعبدنا: ٧ (مشتق العبادة لله وحده)

عباده: ٣٤ مرة

عبادي: ١٧ مرة

عبادنا: ١٢ مرة

العباد: ٢٠

عبدين: ٢

عباد: ٤

عبادا: ٢

عبادك: ٧

عبادكم: ١

ويمكن تقسيم اللفظ إلى مجموعات حسب الضمير فالألفاظ التي أضيفت إلى الخالق جلّ وعلا هي:

عبده: ٧ وقد وصف الله النبي محمد صلى الله عليه وآله بأنه (عبده)

خمس مرات وزكريا عليه السلام مرة واحدة

عباده: ٣٤ مرة وقد جاء اللفظ أما مع الأنبياء والرسل وغما مع الصالحين من الناس الا في لفظين قد يكونان ضد الفرض وهما في الآيتين:

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴾ (الإسراء:١٧) ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً ﴾ (الفرقان:٥٨).

ومن الممكن ان نحتمل أنهما مع العباد الصالحين غير المعصومين وهم ممن يذنبون ويتوبون

عبادي: ١٧ مرة وهي واضحة في كونها مع الصالحين: قال تعالى:

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (الحجر:٤٢) ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴾ (الإسراء:٦٥).

وهما ظاهران في كون العباد لا سلطان للشيطان عليهم ولكن جاء في موضعين وهما قوله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٧) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً (١٨) ﴾ الفرقان. ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ

اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر:٥٣).

وقد ورد أن آية الزمر نزلت في شيعة آل البيت خاصة، عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام انه قال (وقوله ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ قال: نزلت في شيعة أمير المؤمنين عليه السلام خاصة)[1].

وبالتالي فمآل هؤلاء إلى صلاح فتبقى آية الفرقان مستعصية على الفهم لم جاءت خلاف كل الألفاظ فظاهرها أن هؤلاء (العباد) ضالون! وإن كان ما نقل عن قراءة أهل البيت وجمع من القرّاء والنحويين يعطي احتمالا آخر لكن لا يحل الإشكال فقد نقل ابن الجوزي[2] عن جمع فيهم الإمام الباقر عليه السلام فقال (وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وابن جبير، والحسن، وقتادة، وأبو جعفر، وابن يعمر، وعاصم الجحدري: (أن نُتَّخذ) برفع النون وفتح الخاء) زاد القرطبي[3] (وقال أبو عمرو: لو كانت "(نَتَّخِذ)" لحذفت "(من)" الثانية فقلت: أن نَتَّخِذ من دونك أولياء. كذلك قال أبو عبيدة: لا يجوز "(نَتَّخِذ)" لان الله تعالى ذكر (من) مرتين، ولو كان كما قرأ لقال: أن نَتَّخِذ من دونك أولياء.) وعندها يكون القائلون بالتسبيح ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ هم المعبودون وليس

---

(١) تفسير القمّي – علي بن إبراهيم القمّي – ج ٢ – ص ٢٤٩ – ٢٥٠

(٢) زاد المسير – ابن الجوزي – ج ٦ – ص ٨

(٣) تفسير القرطبي – القرطبي – ج ١٣ – ص ١٠ – ١١

العابدون أي أن العباد هنا سيكونون هم المعبودون وهم الصالحون وليس العابدين الضالين!. فالقراءة السابقة تدل على خلاف المفهوم منها وبدون القراءة الثانية لا يمكن اخذ ما فهم منها.

عبادنا: ١٢ مرة وجاءت مع المعصومين فقط فقد جاءت مع يوسف وإبراهيم ويعقوب وإسحاق ولوط ونوح والخضر وإلياس ومع المتقين.

وعبادك: ٧ وهو لفظ أضاف به بعض العباد بعضا إلى الله تعالى ولم يضفهم الله إلى نفسه

وبعض ألفاظه ورد في المعصوم كقوله تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (الحجر:٤٠).

والذي يظهر بعد التأمل أن العباد يختلفون عن العبيد في المصطلح القرآني إذ ورد مصطلح (العبيد) في خمسة مواضع هي:

﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ آل عمران: ١٨٢

﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ الأنفال: ٥١

﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ الحج: ١٠

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ فصلت: ٤٦

﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ ق: ٢٩

وهي وان لم تكن صريحة في الذم ولكنها مرتبطة بالحساب وبالتالي العدل الرباني من العقاب وهي إشارة إلى هوية هؤلاء.

أمّا لفظ (عباد) العام بما يشمل كل استعمالاته السابقة فقد اختص المصطلح بالاصطفاء لمرتين قال تعالى:

﴿ قلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ النمل: ٥٩

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ فاطر: ٣٢

ثم ثنى الله بدخولهم الجنة فقال:

﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥) ﴾ فاطر.

وقد وصف به أنبياء الله نوح وداود وأيوب ومحمد (لمرتين) صلى الله عليهم أجمعين بأن أطلق لفظ (عبدنا) على كل واحد منهم.

وجاء لفظ (عبادنا) اثنتي عشرة مرة في القرآن، وكلها مع المعصومين أو المتقين، فهؤلاء العباد داخلون للجنة كلهم وهذا لا ينطبق على الصحابة (كما يدّعى) الذين روى محدّثو أهل السنة روايات ارتداد بعضهم ومنع بعضهم من

الحوض كما في البخاري (عن سهل بن سعد قال قال النبي صلى الله عليه – وآله – وسلم إني فرطكم على الحوض من مر على شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا ليردن على أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم قال أبو حازم فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم. فقال: اشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها فأقول إنهم مني فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقا سحقاً لمن غير بعدي، وقال ابن عباس سحقا بعدا يقال سحيق بعيد سحقه واسحقه أبعده) (١)

فكيف يرثون الكتاب ويختم لهم بالجنة ووفي رواية أخرى في البخاري (حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم فقلت أين قال إلى النار والله قلت وما شأنهم قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم قلت أين قال إلى النار والله قلت ما شأنهم قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري فلا أراه يخلص منهم إلّا مثل همل النعم)* (٢)

وفي رواية أخرى للبخاري (عن أبن شهاب عن ابن المسيّب انه كان يحدث عن أصحاب النبي صلى الله عليه – وآله – وسلم ان النبي صلى الله

(١) صحيح البخاري – البخاري – ج ٧ – ص ٢٠٧ – ٢٠٨

* قال ابن الأثير (حديث الحوض (فلا يخلص منهم إلا مثل همل النعم) الهمل: ضوالّ الإبل، واحدها: هامل. أي إن الناجي منهم قليل في قلة النعم الضالة) / النهاية في غريب الحديث – ابن الأثير – ج ٥ – ص ٢٧٤

(٢) صحيح البخاري – البخاري – ج ٧ – ص ٢٠٨ – ٢٠٩

عليه – وآله – وسلم قال يرد علي الحوض رجال من أصحابي فيحلؤون عنه فأقول يا رب أصحابي فيقول انك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري)[١].

فكيف ولم يبق منهم إلّا مثل همل النعم؟! علما إن بعض الصحابة شرب الخمر وبعضهم قتل النفس المحترمة وبعضهم ارتدَّ ولحِق بالنصارى..

بينما العباد المصطفون داخلون للجنة وممدوحون في كل القرآن ولو أخذنا موارد (عبادنا) لوجدنا قوله تعالى:

﴿ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ يوسف: ٢٤

﴿ فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴾ الكهف: ٦٥

﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً ﴾ مريم: ٦٣

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ فاطر: ٣٢

ووصف تعالى نوح فقال: ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الصافات: ٨١

ووصف تعالى إبراهيم فقال: ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الصافات: ١١١

---

(١) صحيح البخاري – البخاري – ج ٧ – ص ٢٠٨

ووصف موسى وهارون فقال: ﴿ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الصافات: ١٢٢

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾ الصافات: ١٧١

﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾ ص٤٥

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الشورى: ٥٢

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ التحريم: ١٠

لذا فارتباط (عبادنا) بالرسل فقط في القرآن يشير الى كون (عبادنا) خاصة للمعصومين فقد أضافهم الله لنفسه لذا فقوله تعالى:

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل: ٥٩] عندما وردت في أهل البيت في التفاسير فقد تكون مصداق المعصوم لا انحصارها به وكذلك ما ورد ان آية فاطر نازلة في الأئمة عليهم السلام:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (فاطر: ٣٢) وإن كانت الروايات دالة على انحصارها بهم وقد يُطعن بهذا الفهم (للعباد) بالآية القرآنية:

﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (يّس:٣٠)

وسيقال بأن (العباد) هنا مُتحسّر عليهم لكونهم في انحراف! فكيف يُمدح هؤلاء؟!

والجواب:

إن جمعا من الصحابة إضافة لقراءة أهل البيت عليهم السلام هي (يا حسرة العباد) وعُدَّ منهم أبيّ بن كعب وابن عباس وقتادة والإمام زين العابدين عليهم السلام[1] وبالتالي يكون العباد هم المتّحسّرون لا المُتحسَّر عليهم! فيسقط الاعتراض.

أما قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ فهي قد لا تكون راجعة على العباد بل على ما قبلها.

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام عن أبيه زين العابدين عليه السلام قال:

(ما بعث الله نبيا إلا أعطاه من العلم بعضه ما خلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنه أعطاه من العلم كله فقال: ﴿تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل: من الآية٨٩) وقال (لموسى): ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: من الآية١٤٥) وقال: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾

---

(١) تفسير جوامع الجامع - الشيخ الطبرسي - ج ٣ - ص ١٣٨ و تفسير الطبري ج٢٣ ص٤ وغيره من تفاسير أهل السنّة

(النمل: من الآية٤٠) ولم يخبران عنده علم الكتاب، والمن لا يقع من الله على الجميع وقال لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ (فاطر: من الآية٣٢) فهذا الكل ونحن المصطفون، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: رب زدني علما، فهي الزيادة التي عندنا من العلم الذي لم يكن عند أحد من الأوصياء والأنبياء ولا ذرية الأنبياء غيرنا، فبهذا العلم علمنا البلايا والمنايا وفصل الخطاب)[1]

لذا فكون العلوِّ الأول مرتبط بكون العباد (أولي بأس شديد) ولم يأت هذا المركّب اللغوي مع العباد في العلو الثاني لليهود قد تكون إشارة قوية لما حدث من فعل استثنائي بقلع باب خيبر كما قال أمير المؤمنين عليه السلام (والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية ولكن بقوة إلهية.)[2]

ومن الملاحظ أن المؤرخين لم يوردوا تفاصيل بعد فتح الحصون الخيبرية وكأن فتح الحصن عنوة كان يؤدي الى الاستسلام من قبل اليهود لذا جاء في الآية في مورد العلو الأول وإرسال العباد الأول بلا ذكر للتتبير(وهو شدة التدمير) قال الطوسي (قوله " فجاسوا خلال الديار " اي ترددوا وتخللوا بين الدور، يقال: جست أجوس جوسا وجوسانا ..... وقيل: الجوس طلب الشيء باستقصاء)[3] ففي المورد الأول كان هناك جوس خلال الديار وفي المورد الثاني كان هناك تتبير، والفرق واضح.

---

(١) تفسير فرات الكوفي – فرات بن إبراهيم الكوفي – ص ١٤٥

(٢) كتاب الأربعين – محمد طاهر القمي الشيرازي – ص ٤٣٠

(٣) التبيان – الشيخ الطوسي – ج ٦ – ص ٤٤٨ – ٤٤٩

أما المورد الثاني للعلوّ فقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ (الاسراء:٧) ومن لطيف الإشارات الدالة على ذلك هو قراءة الصحابي الجليل عبد الله بن أُبيّ (ليسوءا)[١] في مورد النصر الثاني على اليهود وهي قد تكون إشارة للقائمين بالفتح وهما اثنان من المعصومين (الإمام المهدي وعيسى المسيح عليهما السلام) كما تظافرت روايات الشيعة[٢] ولمحت روايات الجمهور عبر إشارتها لقيادة المهدي والمسيح للأمّة وربطها بمحاربة اليهود في آخر الزمان[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ يدل إضمار المُرسَلين هنا على أنهم هم أنفسهم في العلو الأول او من جنسهم وسنخهم فاستعاض عن ذكرهم في الإرسال الثاني بذكرهم في الإرسال الأول.

ومن المعلوم أن في المورد الثاني سيكون هناك اثنين من المعصومين يقودان الفتوح وتحرير الأرض وهما الإمام المهدي عجل الله فرجه وعيسى المسيح عليه السلام، واليهود في زماننا بلغوا شأوا لن يبلغوا مثله لكون أمرهم مرتبط دائما بشكل طفيلي بالقوة التي تحكم العالم فهم بعددهم القليل لا يمثلون امة قوية لكن بخبثهم واستغلالهم الإمبراطوريات الحاكمة يتسلطون

---

(١) تفسير مجمع البيان – الشيخ الطبرسي – ج ٦ – ص ٢٢٠

(٢) معجم أحاديث الامام المهدي –الكوراني–ج١– ص٣١١

(٣) المصنف– ابن ابي شيبة – ج١٥ –ص ١٤٤

على غيرهم ولما كانت الولايات المتحدة في أفول منذ العام ١٩٩١م (كما يؤكد ايمانويل تود في كتابه حول أفول قوة أميركا) لن يبق لليهود تلك القوة بعد أفول قوة أميركا ومع أن الولايات المتحدة ستبقى القوة الكبرى حتى المستقبل القريب لذا فالتتبير وهو قمة التدمير سيطال بني اسرائيل في الفتح الثاني لكون سمة الفتوحات المهدوية سيكون استئصال الحالات الشاذة التي لا صلاح فيها كما تفيد الروايات فسيكون استئصال النظام المنحرف الصهيوني في فلسطين على يد الإمام المهدي وقائده على الجيش عيسى المسيح عليهما السلام ومن لطائف الإشارات ما ورد في قوله تعالى[1] ﴿ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا ﴾ (يعني إن عدتم بالسفياني عدنا بالقائم من آل محمد صلوات الله عليهم).

من هنا يتبين أن العلوَّ الأول حدث في زمان النبي صلى الله عليه وآله وكانوا قادة الفتح فيه النبي وعلي عليهما الصلاة والسلام وان الفتح الثاني بعد العلوّ الثاني سيكون في زمان الإمام المهدي وعيسى المسيح عليهما السلام وسيتبِّرا فيه ما علو تتبيرا.

(١) التفسير الصافي – الفيض الكاشاني – ج ٣ – ص ١٨٠

على من تنزَّل السكينة؟

ورد مصطلح (السكينة) في ستة مواضع من القرآن:

منكَّرة مرَّة ومعرَّفة مرتين لكنها غير مضافة اليه تعالى كما في قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٤٨) ﴾ سورة البقرة.

وقوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤) ﴾ سورة الفتح.

وقوله تعالى:

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) ﴾ سورة الفتح

ولثلاث مرّات أخرى مضافة الى الذات الإلهية كقوله تعالى:

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦) ﴾ التوبة.

وفي قوله تعالى:

﴿ لَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠) ﴾ التوبة

وفي قوله تعالى:

﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٦) ﴾ الفتح

ولو تأملنا بم ارتبطت السكينة في المواضع الستة لكان الجواب واضحا أن السكينة في المورد الأول تختلف عن الموارد الخمسة الباقية، وقد ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام حديث ابن اسباط (قلنا له: أصلحك الله، ما السكينة؟ قال: ريح تخرج من الجنة، لها صورة كصورة الانسان، ورائحة طيبة، وهي التي أنزلت على إبراهيم صلوات الله عليه، فأقبلت تدور حول

أركان البيت وهو يضع الأساطين. قلنا: هي من التي قال (فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة)؟.

قال: تلك السكينة كانت في التابوت، وكانت فيها طست تغسل فيها قلوب الأنبياء، وكان التابوت يدور في بني إسرائيل مع الأنبياء عليهم السلام.)[١]

فالسكينة في الآية الأولى مختصة بتابوت بني إسرائيل وقد يكون لهذا السبب أنها الوحيدة التي جاءت منكّرة في السياق!

وأما الموردين الثاني والثالث فالثاني يختصُّ بإنزال السكينة في قلوب المؤمنين ومورد نزول الآية كان في الحديبية[٢] بعد الهدنة على الأصح، ووقت انزال السكينة هذا جاء بعد وقت زلزلة وارجاف وشائعات حول مقتل من أرسل الى مكة للتباحث مع قريش فكان ان أنزل الله السكينة في قلوب المؤمنين.

وأما المورد الثالث فكان بالاتفاق في بيعة الرضوان أو بيعة الشجرة عند الحديبية بعد البيعة.

وتخصيص السكينة بالمؤمنين وليس من كان مع النبي صلى الله عليه وآله فيه كشف عن وجود أناس كانوا يضمرون خلاف ما يظهرون وهم المنافقون كأبيّ بن أبي سلول، ومنهم الذين نقضوا بيعتهم للنبي صلى الله عليه وآله

---

(١) قرب الاسناد ص٣٧٣

(٢) تفسير القرآن /المفيد /ص٤٩١

وعصوه في أمر الصلح وأمر الرجوع من مكانهم وعدم دخولهم مكة وهذا ما روته كتب الحديث إذ روى البخاري (قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا النبي صلى الله عليه - وآله - وسلم الكاتب فقال النبي صلى الله عليه - وآله - وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل اما الرحمن فوالله ما أدرى ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه - وآله - وسلم اكتب باسمك اللهم ثم قال هذا ما قاضي عليه محمد رسول الله فقال سهيل والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي صلى الله عليه - وآله - وسلم والله انى لرسول الله وان كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله قال الزهري وذلك لقوله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا أعطيتهم إياها فقال له النبي صلى الله عليه - وآله - وسلم على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى انه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك الا رددته الينا قال المسلمون سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه ان ترده إلى فقال النبي صلى الله عليه - وآله - وسلم انا لم نقض الكتاب بعد

قال فوالله إذا لم أصالحك على شيء ابدا قال النبي صلى الله عليه – وآله – وسلم فأجزه لي قال ما انا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل قال مكرز بل قد أجزناه لك قال أبو جندل أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلما الا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب عذابا شديدا في الله فقال عمر بن الخطاب فأتيت نبي الله صلى الله عليه – وآله – وسلم فقلت الست نبي الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطى الدنية في ديننا إذا قال إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري قلت أوليس كنت تحدثنا انا سنأتي البيت فنطوف به قال بلى فأخبرتك انا نأتيه العام قال قلت لا قال فإنك آتيه ومطوف به قال فأتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطى الدنية في ديننا إذا قال أيها الرجل انه لرسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت أليس كان يحدثنا انا سنأتي البيت ونطوف به قال بلى أفأخبرك انك تأتيه العام قلت لا قال فإنك آتيه ومطوف به قال الزهري قال عمر فعملت لذلك اعمالا قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة يا نبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو

حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما...)[١]

لذا فهل هؤلاء من المؤمنين؟! فيه نظر!

وفي المورد الرابع أنزل الله سكينته على الرسول والمؤمنين في غزوة حنين وليس على الرسول والصحابة لكون الصحابة في هذا الوقت (على الأقل) بالاتفاق كان فيهم المنافق ومريض القلب،حسبك منهم من قال (بطل سحر ابن أبي كبشة اليوم)[٢]!!

والمؤمنون الذين نزلت عليهم السكينة هنا هم سبعة فقط أولهم امير المؤمنين عليه السلام وهم السبعة الذين لم يفروا أمّا الباقون فقد فرّوا في الشعاب والاودية المجاورة تاركين رسول الله صلى الله عليه وآله يحارب هو وثلة من المؤمنين!

وفي المورد الخامس وهو مورد آية الغار فلها كلام آخر سياتي في ذيل البحث.

والمورد السادس ارتبط في انزال السكينة على النبي والمؤمنين فقط.

يتحصل من هذا:

أن السكينة في القرآن تنزل على الرسول وحده (في مورد واحد) وعلى

---

(١) صحيح البخاري ج٣ ص١٨٢

(٢) الاستيعاب ج٣ ص١٣٣٣

المؤمنين وحدهم (وذلك في موردين) وعلى الرسول والمؤمنين في وقت واحد (وذلك في موردين).

من هنا يأتي السؤال حول آية الغار! فالذي كان في الغار هو النبي صلى الله عليه وآله وصاحبه (وقد اختلف المسلمون في من هو الصاحب هنا) ولكن لنتكلم في الرجل بدون أن نشخّصه:

فلو رجعنا لسياق الآيات قبل آية الغار لوجدنا الآية لما نزلت قالت

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠) ﴾.

ثم يواصل الله توبيخهم وتبكيتهم فيقول سبحانه:

﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١) ﴾.

وتواصل الآيات العتاب والتبكيت وإظهار السخط والغضب الإلهي على المعنيين الى نهاية السورة وهي التوبة والتي ورد ان لها عدة أسماء كلها تكشف عن محتوى السورة العام.

قال الزمخشري في سورة التوبة: لها عدة أسماء: براءة، التوبة، المقشقشة، المبعثرة، المشردة، المخزية، الفاضحة، المثيرة، الحافرة، المنكلة، المدمدمة، سورة العذاب. لأن فيها التوبة على المؤمنين، وهي تقشقش من النفاق أي تبرئ منه، وتبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم (١).

ففي الآيات أسماء غير معروفة ولكنها رؤوس في النفاق ومرض القلب؟!

فالآيات تعاتب (الذين آمنوا) ويدخل تحت الذين آمنوا حتى المنافقون ومرضى القلوب وذلك بنصٍّ من الامام الكاظم عليه السلام تناولناه سابقا. وباستخراج لمعنى مركب (الذين آمنوا) في بحث سابق.

ومن هنا فالمؤمنون غير داخلين تحت هذا التبكيت والعتاب والتهديد.

فلم يبق غير المنافقين ومرضى القلوب ثم يقول تعالى(الا تنصروه) فهنا يوجه سبحانه الكلام الى هؤلاء أصحاب المستويات المتدنية من الإيمان ومعهم المنافقين وغيرهم، والآية تحمل عناصرا ثابته وأخرى متحركة والثابتة هي السياق العام للآية والمتحركة هي العناصر الفعّالة في تحريك النصّ باتجاه معين والدلالة على المراد منه وهذه العناصر هنا:

(الذين آمنوا) وهم الذين لم ينصروا النبي عليه الصلاة والسلام

النبي (صلى الله عليه وآله) وهو المُخرج في الآية

---

(١) تفسير الرازي - ج ١٥- ص٢١٥

(الذين كفروا) وهم الذين أخرجوا النبي عليه الصلاة والسلام

الرجل الآخر(ثاني اثنين) (صاحبه)

الله (ان الله معنا)

السكينة(سكينته)

الجنود المؤيدين (وأيده بجنود)

وهذه العناصر السبعة هي التي تكشف عن المراد من السياق ومستوى الواردين فيه إيمانيا وغيره، والسكينة نزلت على النبي صلى الله عليه وآله فقط من بين هؤلاء (الذين آمنوا والذين كفروا) مما يشير الى عدم دخول أحدهم تحت مسمّى المؤمنين باستثناء امير المؤمنين عليه السلام فهو في هذه الأثناء قد نصر النبي عليه الصلاة والسلام بنومه في فراشه كما اتفق المسلمون على ذلك فهو مستثنى من قوله تعالى(الا تنصروه).

ومن هنا فالسكينة التي تنزل على الرسل والمؤمنين لم تنزل على هذا الرجل الآخر (الصاحب) بل نزلت على النبي عليه الصلاة والسلام فقط مما يدخل هذا الصاحب تحت مسمى (الذين آمنوا)، والذين مرّ علينا أنهم المسلمون ظاهرا وفيهم المنافق والمؤمن ومريض القلب وبالتالي الى هنا ليس هناك أي مقام إيماني يشمل الرجل الآخر الذي كان في الغار تلك اللحظة التاريخية. ومن مبحث(الكلمة) سنتعرف على وجه آخر للبحث.

(الكلمة) في القرآن!

قال تعالى:

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) ﴾ ال عمران.

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ (١٧١) ﴾ النساء.

فالكلمة في هذين الموضعين واشباههما هي مخلوقات كاملة في الصفات الإيجابية يرسلها ربك الى خلقه ويسلطها على نظامه الكوني تحت قدرته لذا فإنه تعالى يجيب عنهم إذا اعترض البعض على أشخاص هذه الكلمات بقوله(لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤) يونس

ولقد ورد في قوله تعالى:

﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤) ﴾ سورة البقرة.

أنهم الأئمة الكمّل من أهل البيت عليهم السلام روى البحراني في تفسيره (عن المفضل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام)، قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿ وإِذِ ابْتلى إِبْراهِيمَ ربُّه بِكَلِماتٍ ﴾ ما هذه الكلمات؟

قال: «هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، وهو أنه قال:

يا رب، أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي فتاب الله عليه إنه هو التواب الرحيم).

فقلت له: يا بن رسول الله، فما يعني عز وجل بقوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ ؟

قال: «يعني فأتمهن إلى القائم (عليه السلام) اثني عشر إماما، تسعة من ولد الحسين (عليه السلام)».

قال المفضل: فقلت له: يا ابن رسول الله، فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِه﴾ ؟

قال: «يعني بذلك الإمامة، جعلها الله في عقب الحسين إلى يوم القيامة»)[1].

فالكلمات في هذه الموارد وأمثالها هي شخوص بشريّة وصلت إلى القمّة في الكمالات الروحيّة، لذا فقوله تعالى في آية الغار ﴿وجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)﴾ التوبة

فالأمر هنا قد لا يكون كلاماً عامّاً عن مبدأ مقابل مبدأ، مبدأ الذين كفروا ومبدأ الله جلّ جلاله، بل شخص يمثل كل المباديء الجاهليّة مقابل شخص يمثل كل المباديء الإلهية فكلمة الله العليا هنا هي خير البشر نبينا عليه الصلاة والسلام، وكلمة الذين كفروا هنا هو من راهن عليه هؤلاء(الذين كفروا) بمخطط معيّن رسموه فأبى الله إلا ان يخيب ظنهم ويرجعهم الى مكة بدون أن يستطيعوا العثور على النبي صلى الله عليه وآله يقول تعالى ﴿يدُونَ

---

(١) تفسير البرهان – ج ١ – ص٣١٧

أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣) ﴾ التوبة.

دفع توهم: قد يقال: - إن مفاد قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ يفيد بالضرورة أن الله راض عن الاثنين وهذا كافٍ بإثبات إيمان الرجل المجهول الموجود في الغار مع النبي عليه وآله الصلاة والسلام.

والجواب:

إن هذا قد يثبت لو أثبتنا أن المعيّة هنا معيّة في المبدأ والهدف والعقيدة المشتركة بين النبي وصاحبه الذي في الغار، وأنى لنا هذا؟!

بل الظاهر والراجح خلافه، وهو قرينة إنزال سكينته تعالى على النبي فقط ولو كان الرجل الآخر من المؤمنين لشملته السكينة ولم تستثنه!.

هذا مع احتمال معتد به أن المعيّة هنا هي من جنس ما قاله تعالى في غيرها من الآيات ﴿ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (١٥) ﴾ سورة الشعراء

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) ﴾ سورة الحديد

وقوله تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨) ﴾ النساء

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) ﴾ سورة المجادلة.

والمعيّة هنا مكانيّة، وقد جاءت مع الرسل تارة ومع غيرهم من البشر تارة أخرى وبالتالي فالمعيّة لا مزيّة لها فالله مع خلقه مطلّع على سرّهم وجهرهم.

ثم إن قوله تعالى ﴿ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ﴾ واضحة في إفراد التأييد للنبي عليه وآله الصلاة والسلام فلو كان الرجل الآخر في الغار مشترك في العقيدة مع النبي عليه وآله الصلاة والسلام لما آيّد الله النبي وترك ذلك الرجل!

الا ترى انه سبحانه لما أراد أن يقص على المسلمين ما حصل في وقعة بدر من المغيبات قال جلّ وعلا: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) ﴾ الأنفال.

فلما كان النصر بالملائكة شاملا كل من كان في صف النبي صلى الله عيله وآله شمل الله الإمداد لجميعهم (بمن فيهم من أهل النفاق ومرضى القلوب) فكانت الملائكة تقاتل والنتيجة تصبُّ في صالح كل من وقف ظاهرا ضد المشركين، ولو كان التأييد في الغار كالإمداد في بدر لذكر الله ذلك فلما لم يذكره كان التأييد في الغار مقتصراً على النبي صلى الله عليه وآله مستثنيا الرجل الآخر.

وقرينة أرى في المقام هو قوله تعالى (فقد نصره الله) فلو كان النصر لكلا الموجودين في الغار لصرح سبحانه بذلك ألم تر أنه قال سبحانه:

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٢٣) آل عمران.

وقوله تعالى:

﴿ قَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢٥) ﴾ سورة التوبة.

فلو كان النصر الإلهي في الغار شاملاً لغير النبي بصورة قصديّة لا عرضية لكان التصريح واضحا بذلك كما صرح جلّ وعلا بنصره لكل من كان تحت راية النبي صلى الله عليه وآله في بدر وغيرها، ولما كان المقام (في آية الغار) يستدعي استثناء ذلك الرجل وإظهار ذلك لم تشمله رحمة الله لا بالنصر ولا بالسكينة ولا بالتأييد!.

ثم تأمل في قوله تعالى(لصاحبه) ولفظ (صاحبه) بهذه الصيغة لم يأت في القرآن الا بين المختلفين في المنهج والمبدأ!!

فقد جاءت في ثلاثة مواضع فقط واحد منها مورد آية الغار (الذي قامت القرائن أن لم تكن دلائل على كزهما ينتميان الى مبدأين مختلفين) والثاني والثالث موردا سورة الكهف اذ يقول تعالى:

﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) ﴾ الكهف

وقوله تعالى:

﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) ﴾ الكهف.

واما الموارد الباقية فأما موارد مضافة الى النار او الجنة او الاعراف او الى اليمين والشمال او الى المدينة او المصاحبة اللغوية وليس فيها ما يستنبط منه معنى يؤدي الى تقييم صاحبه غير الموارد الثلاثة ولما كان الموردان اللذان في سورة الكهف يفصحان عن نفسيهما بلا اي اختلاف ولما كانت القرائن بل الدلائل قامت على ان الصاحب الذي في الغار لا يشارك النبي عليه الصلاة والسلام في العقيدة والانتماء كان البحث مطردا في ان الصحبة في القرآن اما تعني الاختلاف في الانتماء مع المصاحبة الزمنية المكانية واما الاضافة الى ما لا علاقة له لا بالصحبة الشرعية ولا اللغوية.

فواتيح سورة الكهف
عصمة من الدجّال

من أخطر القضايا التي تهم الإنسان المؤمن على وجه البسيطة هي قضيّة الدجّال، ومن المؤسف أنها لم تنل استحقاقها من البحث، فحتّى وقت قريب كان البحث فيها روائيا بحتاً، فيكفي أن تأتي بالأحاديث التي تناولت الدجّال وتسطرها وتفهمها على ظاهرها لتقول: هذا هو الدجال فاحذروه!

وما هو مأثور في (الدجّال) يحتاج دراية وفهماً صحيحاً،وقد كان يُعتقد الى وقت قريب بأن الدجال كما هو ظاهر الروايات رجل كذاب، له مواصفات خاصة، وهو عظيم الجسم له قوى خارقة لم تكن حتى لبعض الأنبياء!!.. ولما كان النبي صلى الله عليه وآله قد روى ما يحدث في العالم الى يوم القيامة كما روى زيد بن أرقم في حديث الغدير (أَمَر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالشجرات فقمّ[1]، ما تحتهن، ورش، ثم خطبنا، فوالله ما من

(١) قُمَّ : أي تم كنس ما تحتهن وقد ورد بخبر آخر (فقُمِمْنَ)

شيء يكون الى يوم الساعة إلّا اخبرنا به يومئذ) [١] فإذا كان النبي صلى الله عليه وآله قد اخبر الأمة عن كل ما يكون الى يوم القيامة، فأين ذكر المخترعات الحديثة في الأخبار على سبيل المثال؟ وهي أمور ملفتة للنظر بل هي زبدة ما أبدعه البشر في المجال التقني في تاريخ الإنسانية الطويل، مثل الطائرة والباخرة والصواريخ والأقمار الصناعية وسائر المخترعات الأخرى والتي غيرت وجه البشرية إلى الأبد؟ وإذا كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول (والذي فلق الحبة وبرا النسمة ما من فئة تبلغ مائة رجل الى يوم القيامة، إلا وأنا عارف بقائدها وسائقها) [٢] فأمير المؤمنين يعرف كل فرقة تبلغ مائة فرد فما فوق(كما هو ظاهر العبارة) ومن هذه الفِرَق الضالة ما يكون في الجانب الغربي للكرة الأرضية (في العالم الغربي)، ومنها ما في الجانب الشرقي من الكرة الأرضية (في العالم الأصفر)، ومنها ما في مجاهل أفريقيا، ومنها ما يكون قريبا من القطب الشمالي، فإذا كان أمير المؤمنين عليه السلام يعلم كل هذا فأين ذكره في الأخبار؟ وهل يعقل أن الناس تسمع هذا الكلام ولا تسأل عنه أبداً، أو أن أمير المؤمنين تكلم عن هذه الفرق ولم يصلنا عنها شيء؟ أليس هذا هو الأقرب للواقع؟!

وكذلك النبي صلى الله عليه وآله، فقد تكلم عن كل ما يحدث من الأمور الملفتة للنظر، والتي لها إسقاط على حياة الناس إلى يوم القيامة، وتمثل

(١) خلاصة عبقات الأنوار- حامد النقوي- ج٧ - ص٣٨٩

(٢) كتاب سُليم بن قيس الهلالي - ص٤٦٢

انعطافة وعلامة فارقة في مسيرة الإنسان، ،لكنه النقل!! فكم رواية شُوهت معالمها بعدم فهم السامع أو الناقل ولكن قد نجد لهم العذر في بعض الموارد، إذ يقول النبي (إنا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم)[(١)] فالنبي كان يشبّه لهم هذه المخترعات، وهي الصواريخ والدبابات والأقمار الصناعية والبواخر الضخمة والغواصات، بما يشاهدونه يوميا من جمال وشياه وماعز وسائر الأمور الأخرى والتي لا يفقه البدوي غيرها!!.

وهذا له دخل أساسي بموضوعنا (الدجّال)، فمصطلح الدجّال أصل يضم بين جنبتيه معانٍ، اغلبها جاء مقصودا بالإشارة إليه في الأخبار،قال ابن منظور (دجال: كذاب، وهو من ذلك لأن الكذب تغطية...... والداجل: المموه الكذاب، وبه سمي الدجّال.والدجّال: هو المسيح الكذاب، وإنما دجله سحره وكذبه. ابن سيده: المسيح الدجّال رجل من يهود يخرج في آخر هذه الأمة، سمي بذلك لأنه يدجل الحق بالباطل، وقيل: بل لأنه يغطي الأرض بكثرة جموعه،وقيل: لأنه يغطّي على الناس بكفره، وقيل: لأنه يدّعي الربوبية، سُمّي بذلك لكذبه، وكل هذه المعاني متقاربة، قال ابن خالويه: ليس أحد فسّر الدجّال أحسن من تفسير أبي عمرو قال: الدجال المموِّه، يقال: دجلت السيف موّهتُه وطليتُه بماء الذهب) وكل هذه المعاني صحيحة كما سيتضح..وقال الزبيدي[(٢)](قيل: هو من دجل الرجل: إذا قطع نواحي الأرض سيرا. قال أبو العباس: سمي دجالا لضربه في الأرض، وقطعه أكثر

(١) تحف العقول – ابن شعبة الحرّاني – ص٣٧

(٢) تاج العروس – الزبيدي – ج ١٤ – ص ٢٢٨

نواحيها...أو من الدجال، كسحاب، للسرجين سمي به لأنه ينجس وجه الأرض)[١].

وقبل الدخول في تفسير الروايات الواردة في المقام يجب أن نقرر حقيقة مهمة، وهي أن الله أجل وأعظم من أن ينزّل إلى الناس مخلوقا هائلاً اسمه (الدجّال) فيأمر الشمس بالمسير معه فتستجيب! وكذلك السحاب، ويدّعي الربوبية ويتلاعب بالنظام الكوني بالمعجزة، كما تروي الروايات، وبعدها يطلب الله من الناس التمييز بينه من جهة وبين المعصوم والنبي من جهة أخرى! فكيف يستطيع المكلف التمييز بين الصادق والدجال مع مشاهدته أن الطرفين يقومان بنفس المعاجز؟ومن المعروف أن الإعجاز سمي بذلك لكونه يعجز الكاذب من الإتيان بالمثل، فالمعجزة هي الأمر الخارق المصاحب للدعوى المقرون بالتحدي، فإذا كان الدجّال قادرا على المعجزة أنّى شاء بطل التكليف، وهذا باطل بداهة، فعلمنا من هذا أن الدجال ليس ما فهموه، وما عليه ظاهر الروايات، بل أن للروايات تأويلاً مقبولاً ولطيفاً، بل هو إعجاز غيبي وفتح في بابه إن ثبت، بعد هذا نقول إن كان الأمر كذلك فيجب ألا تؤخذ الأخبار التي تقول أن النبي صلى الله عليه وآله رأى الدجال رأيَ عين(كما في بعض الأخبار) لسبب بسيط وهو انه ليس هناك دجال متجسد يراه النبي! بل أن النبي رأى رؤيا والمعروف أن الرؤيا للصالحين عامة (والأنبياء خاصة) تأتي بعضها في صور مثالية للمجردات، فيرون الموت متجسدا بجسم

(١) لسان العرب – ابن منظور – ج ١١ – ص ٢٣٦ – ٢٣٧

أو آلة، والرزق كذلك، والخير مثله وهو المعروف من العرفاء. وقد جاء في الأثر أن الموت يتحول الى كبش ويذبح بعد الحساب في يوم القيامة فيقال لأهل الجنة خلود لا موت ويقال لأهل النار خلود لا موت. وحتى لو لم تكن رؤية الدجال التي رآها النبي في المنام بل في اليقظة فإننا لا ننفي تجسد المعنويات والمجردات في قوالب مادية كما كان الأمر في الموت والحياة وأمثالها من الأمور التي رآها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الإسراء والمعراج.

روي عن النبي انه قال عن الدجّال (رأيته بيلمانيا أقمر هجانا، إحدى عينيه كأنها كوكب دري) [١] ولا يمكن بحال من الأحوال أن يكون الكلام حقيقة، بل إن الناقلين للروايات افسدوا كثيرا من المعاني الجميلة التي يراد إيصالها من المعصومين عليهم السلام، وذلك لأن هؤلاء الرواة لم يفهموا مراد المعصوم فروى كل راوٍ بما اختلط لديه من عناصر الثقافة الذاتية، والتي نعلم يقينا أنها ستشوه الكلام المنقول،روى ابن سلامة في مسنده عن(أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه – وآله – وسلم قال ما ينتظر أحدكم من الدنيا، إلا غنى مطغيا، أو فقرا منسيا، أو مرضا مفسدا، أو هرما مفندا، أو موتا مجهزا، أو الدجال فالدجال شر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر)[٢]، وروى

(١) الفايق في غريب الحديث – جار الله الزمخشري – ج ١ – ص ١١٥/ النهاية في غريب الحديث– ابن الأثير–ج١–ص١٥٤/ لسان العرب–ابن منظور–ج١٢–ص٥٤/ تاج العروس–الزبيدي– ج١٦–ص٦٠

(٢) مسند الشهاب – ابن سلامة – ج ٢ – ص ٣٢/ مسند أبي يعلى– ج١١–ص٤٢٢/ تفسير البغوي–ج٤–ص١٨٢

الشيخ الصدوق (قدس) بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام (وقد قام إليه الأصبغ بن نباتة فقال: يا أمير المؤمنين: من الدجال؟ فقال: ألا إن الدجال صائد بن الصيد)[١]، وابن صيد هذا صحابي معروف كان معاصرا للنبي صلى الله عليه وآله واسمه في بعض الكتاب (ابن صياد) أو صائد بن صائد، فلو كان ظاهر الخبر صحيحا فكيف يقول النبي في رواية أبي هريرة (إن الدجال شرٌّ غائبٌ) مع انه يعيش بينهم وهو صائد بن صيد؟!.

روى الشيخ المجلسي (قدس) في البحار عن أبي سعيد الخدري: أنه قال (صحبت ابن صياد إلى مكة فقال لي: ما لقيت من الناس؟ يزعمون أني الدجّال! ألست سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول إنه لا يُولد له، وقد وُلد لي، أليس قد قال هو كافر؟ وأنا مسلم، أوليس قد قال لا يدخل المدينة ولا مكة وقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة!)[٢] فالمسكين ابن صيد كان معاصرا لقوم لم يفرّقوا بين ألفاظ المعصوم (مع دقتها) فاتهموه بأنه هو الدجال، والراجح أن النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام لم يقولا أن (الدجال هو ابن صائد) كما ذكر المجلسي في روايته، بل إنهما شبها الدجال بصائد ابن صيد لجهة شبه بين ابن صيد وبين القالب المثالي الذي رأوه به، وتشبيه النبي صلى الله عليه وآله بعض الشخصيات الغائبة (أو الأمور

(١) كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٥٢٦ - ٥٢٧/ مختصر بائر الدرجات- الحسن بن سليمان الحلي-ص١٤٤/ معجم أحاديث الإمام المهدي - الكوراني - ج٣- ص١٣٢.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ - ص ١٩٩

الغائبة) بالصحابة أمر شائع بالأخبار ففي الرواية (فيبعث الله عز وجل عيسى بن مريم (صلى الله عليه - وآله - وسلم) كأنه عروة بن مسعود الثقفي)[١] فهنا شبه النبي صلى الله عليه وآله المسيح عليه السلام بالصحابي عروة بن مسعود، ولكون المقام المقدس للمسيح غير متصور لم يكن هناك داعٍ اجتماعي عند الناس بأن ابن مسعود هو المسيح لكونه غير متصور عند الناس، بخلاف تشبيه الدجال بابن الصيد، إذ كانت هناك دواعٍ اجتماعية منطلقة من الجو الذي يلفه التخلف، وعدم الدقة بالمرويّات بالعصر الأول للإسلام، وإثارة الخبر والتشبيه!إذ لم يعلموا بعد أهمية الروايات التي سمعوها من النبي صلى الله عليه وآله إلّا بعد مضي زمن على وفاته،روى مسلم في صحيحه (عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم يقول: بينما إنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر بين رجلين ينطف رأسه ماء أو يهراق رأسه ماء قلت من هذا قالوا هذا ابن مريم ثم ذهبت التفت، فإذا رجل احمر جسيم جعد الرأس أعور العين كأن عينه عنبة طافية قلت من هذا قالوا الدجال أقرب الناس به شبها ابن قطن)[٢] وزاد احمد بن حنبل (ابن قطن رجل من بني المصطلق)[٣] فالرواية هنا صريحة بالرؤيا، وهي نصٌّ في المقام، وفيها زيادة عن ذلك تشبيه الاعورار الذي رآه النبي في الدجال بخلقة الصحابي ابن قطن (والظاهر انه كان أعورا) وفي رواية

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام - الشيخ علي الكوراني العاملي: ج٢، ص١١١

(٢) صحيح مسلم - مسلم النيسابوري - ج ١ - ص ١٠٨

(٣) مسند احمد - ج٢ - ص١٢٢

عن النبي (إنه شاب قطط، عينه طافئة، كأني أشبهه، بعبد العزّى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتيح سورة الكهف)[١] وهنا الراوي لم يصرح بان النبي رأى الدجال في المنام، واغفل الراوي أهم جزء بالرواية فضاعت معالمها وملامحها فلم تعطِ المرجو منها للفهم،على أن ابن قطن هذا قد نال تشبيها آخر بعمرو بن لحي وهو أوّل من غيّر دين العرب الى الشرك)[٢]!!

ومرة أخرى شبّه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عين الدجال بعين الصحابي أبي يحيى فقال (وانه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا آخرهم الأعور الدجال ممسوح العين اليسرى كأنها عين أبي يحيى) [٣] فعلى هذا فإن تشبيه الدجال بابن الصيد تارة وابن قطن أخرى وبابي يحيى تارة ثالثة ما هو إلا لشبه معين أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إيصاله من اقرب طريق لا أكثر!.ومن القرائن على ذلك هو نصيحة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقراءة فواتيح سورة الكهف، إذ ورد عن النبي صلّى الله عليه وآله (إنه شاب قطط، عينه طافئة، كأني أشبهه، بعبد العزّى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتيح سورة الكهف)[٤] وفي رواية أخرى لمن أدرك الدجال (أن من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة، أو يوم الجمعة، أعطي نورا من حيث

---

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام ـ الشيخ علي الكوراني العاملي: ج٢، ص١٣.

(٢) المحبّر- محمد بن حبيب البغدادي — ص٩٩

(٣) المستدرك ـ الحاكم النيسابوري ـ ج ١ ـ ص ٣٣٠ — ٣٣١/ معجم أحاديث الإمام المهدي- الكوراني-ج٢-ص٣٢

(٤) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام ـ الشيخ علي الكوراني العاملي ـ ج ٢ ـ ص ١٣

يقرأها إلى مكة، وغفر له إلى يوم الجمعة الأخرى، وفضل ثلاثة أيام، وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح. وعوفي من الداء، والدبيلة، وذات الجنب، والبرص والجذام، وفتنة الدجال.)[1] ونقل العلّامة الحلّي عن بعض كتب القوم عن أمير المؤمنين عليه السلام(قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل بلية فإن خرج الدجال عصم منه)[2]

وقال الشافعي(وبلغنا أن من قرأ سورة الكهف وقي فتنة الدجال)[3]

والظاهر أن هذه الأحاديث المرشدة لمواجهة الدجّال بسورة الكهف أو فواتيحها تضمّ مفتاح الفهم الصحيح لماهيّة الدجّال لمن تأمل!.

يقول تعالى في فواتيح سورة الكهف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا (١) قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً (٣) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً (٥) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً (٦) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (٧) وَإِنَّا

---

(١) إعانة الطالبين – البكري الدمياطي – ج ٢ – ص ١٠٣

(٢) منتهى المطلب (ط.ق) – العلامة الحلي – ج ١ – ص ٣٣٨

(٣) كتاب الأم – الإمام الشافعي – ج ١ – ص ٢٣٩

لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً (٨) ﴾[١].

وكما ترى فالآيات مُنذرة بالعقاب لمن ينحرف، ومبشِّرة بالثواب للعاملين الصالحات، ومؤكدة على أن ما موجود على الأرض من منافع هو زينة للأرض، وهدفها ابتلاء الإنسان، وان مصير هذه الزينة إلى الزوال والفناء، لكونها وُجدت ليُختبر الإنسان وليست هدفاً لذاتها!وهذا له ارتباط وثيق بفهمنا للدجال، بل الدجال لا يُفهم مصداقه إلا مع تدبّر هذه الآيات القرآنية.إذ أن سياق الآيات القرآنية يدل على ما سيقع من افتتان في زمن الدجال.فقد جاء في صفات الدجّال روايات ظاهرها متناقض لمن أراد أن يفهمها فهماً ظاهراً كما كانوا يفعلون، لكننا لو وضعنا ثوابت لفهمنا للدجّال مقيّدة بالضوابط العلميّة الثابتة لكانت الصفات العامة للدجّال الواردة في السنّة مكمّلة لما ورد في الآيات لذا جرى الربط بين فواتيح سورة الكهف والدجّال لمن أراد العصمة من الفتنة فقد جاء في مسند احمد بن حنبل عن المغيرة بن شعبة (ما سأل رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم عن الدجال أحد أكثر مما سألته وانه قال لي ما يضرك منه قال:قلت إنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء قال:هو أهون على الله من ذاك)[٢] هنا نرى إنكار النبي صلى الله عليه وآله لما يقوله الناس ويدّعون أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد قاله، وقد روى بعض الرواة هذه الصفات عن النبي صلى الله عليه

(١) القرآن الكريم– سورة الكهف – الآيات من ١ الى ٨

(٢) مسند احمد – الإمام احمد بن حنبل – ج ٤ – ص ٢٥٢

وآله وسلم في روايات عديدة، وهذا يؤكد أن النبي لم يقل إن معه جبل خبز ونهر ماء بل أن النبي شبّه ما مع الدجال بجبل خبز ونهر ماء، وقد نقل السيوطي[1] حديثا أدقَّ منه نقلاً إذ روى عن النبي صلى الله عليه وآله قوله (ألا أحدّثكم حديثا عن الدجال، ما حدّث به نبي قومه: إنه أعور، وإنه يجيء معه تمثال الجنة والنار، فالتي يقول إنها الجنة هي النار، وإني أنذركم كما أنذر به نوح قومه) فهو يقول هنا (تمثال الجنة والنار) ولم يقل (معه جنة ونار) وبينهما فرق في الدلالة، فلولا دلالة التشبيه لم نستدل على المراد الحقيقي لروايات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فالدجال خَلْق (أو فِكْر له تطبيقات مادية) يكذّب ويموّه على الناس معتقداتهم، وهو الحلْقة الأخيرة في سلسلة طويلة من العقائد الفاسدة، والتي تحاول أن تسود محل الرسالة السماوية المقدسة،روى الحاكم النيسابوري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (وانه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا آخرهم الأعور الدجال ممسوح العين اليسرى كأنها عين أبي يحيى)[2] وكأن الرواية ناظرة إلى ثلاثين دعوى ضلالة على امتداد الزمان منذ بديء الخليقة إلى ظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه) لأنه هو من سيقضي عليه أو المسيح عيسى بن مريم كما بالروايات.

ومن خطورة الدجّال ورد عن النبي صلى الله عليه وآله (ما بين خلق

---

(١) الجامع الصغير – جلال الدين السيوطي – ج ١ – ص ٤٣٧

(٢) المستدرك – الحاكم النيسابوري – ج ١ – ص ٣٣٠ – ٣٣١

آدم عليه السلام إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال)[١]

فوصفه بأنه (أمر) وهو لفظ دقيق لكونه ليس مخلوقاً مشخّصاً! بل هو مزيج من نظريات تلخصها كلمتهم البائسة في الغرب(تسوّق لكي تتسوّق) والتسوق لنفسه بلا حاجة مرتبط بحب الدنيا وحب إشباع نهمة التملك جاء في الحديث (منهومان لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم، فمن اقتصر من الدنيا على ما أحل الله له سلم، ومن تناولها من غير حلها هلك، إلا أن يتوب أو يراجع، ومن أخذ العلم من أهله وعمل بعلمه نجا، ومن أراد به الدنيا فهي حظه)[٢].

فالتمويه والتدجيل يكون بأن ينظر للدنيا وما فيها من زينة على أنها الغاية من عيش الإنسان لذا سيكون حب الدنيا المحك لمعرفة المؤمن من غيره

يقول تعالى في فواتيح سورة الكهف:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً (٨) ﴾[٣].

فتعبيره تعالى عما في الأرض بأنه (زينة لها) وربط ذلك بقول إبليس ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الحجر: ٣٩) فالله جعله زينة غير باقية وعمل إبليس هو أقناع الناس وإغوائهم بتزيين هذه

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام – الشيخ علي الكوراني العاملي – ج ٢ – ص ١٦

(٢) الكافي – الشيخ الكليني – ج ١ – ص ٤٦

(٣) القرآن الكريم– سورة الكهف – الآيات من ١ الى ٨

الزينة في أعين الناس فيقنعهم بأنها هي الغاية من وجودهم فيعبّون من الدنيا عبّا فيقعون في حبائل الدنيا وهي أول المعصية إذ ورد عن النبي صلى الله عليه وآله (إن أول ما عُصي الله به ست، حب الدنيا، وحب الرياسة، وحب الطعام، وحب النساء، وحب النوم، وحب الراحة)(١)

وورد عن الإمام الباقر عليه السلام (مثل الحريص على الدنيا مثل دودة القز، كلما ازدادت من القز على نفسها لفا كان أبعد لها من الخروج حتى تموت)(٢).

وقال تعالى:

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴾ (هود: ١٥).

وقال تعالى:

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ (القصص:٦٠).

فترى أن زينة الدنيا وردت في القرآن في قبال ما عند الله وهو الباقي والخالد بينما تزول هذه الزينة فمن سخّر نفسه لهذه الزينة يذهب معها ومن خلّد عمله للآخرة خُلِّد معه عند الله،يقول تعالى:

﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ

---

(١) المحاسن – أحمد بن محمد بن خالد البرقي – ج ١ – ص ٢٩٥

(٢) لكافي – الشيخ الكليني – ج ٢ – ص ٣١٦

بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل:٩٦).

لذا جاء الحث على بغض الدنيا سئل علي بن الحسين السجّاد عليه السلام (أي الأعمال أفضل عند الله عز وجل؟ فقال: ما من عمل بعد معرفة الله عز وجل ومعرفة رسوله (صلى الله عليه وآله) أفضل من بغض الدنيا، وإن لذلك لشعبا كثيرة وللمعاصي شعبا، فأول ما عصي الله به الكبر وهي معصية إبليس حين أبى واستكبر وكان من الكافرين، والحرص وهي معصية آدم وحوا حين قال الله عز وجل لهما: " كلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين " فأخذا مالا حاجة بهما إليه فدخل ذلك على ذريتهما إلى يوم القيامة وذلك أن أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به إليه، ثم الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا وحب الرئاسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو والثروة، فصرن سبع خصال، فاجتمعن كلهن في حب الدنيا، فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك: حب الدنيا رأس كل خطيئة، والدنيا دنياءان: دنيا بلاغ ودنيا ملعونة)[١].

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام (ما ذئبان ضاريان في غنم قد فارقها رعاؤها، أحدهما في أولها والآخر في آخرها بأفسد فيها من حب المال والشرف في دين المسلم.)[٢]

---

(١) الكافي – الشيخ الكليني – ج ٢ – ص ١٣٠ – ١٣١

(٢) الكافي – الشيخ الكليني – ج ٢ – ص ١٣٠ – ١٣١

فأتباعُ الدجّال كل من أخلد الى الدنيا مهما كانت عقيدته فتراه يلهث وراء خبزه وماء كما ورد في الأخبار (يخرج الدجال عدو الله ومعه جنود من اليهود وأصناف الناس، معه جنة ونار ورجال يقتلهم ثم يحييهم، ومعه جبل من ثريد ونهر من ماء)[1]

وما توفره الدنيا لأبنائها من ملذات آنيّة تمثّل الجنة في الدنيا ولكنها في الآخرة نار على صاحبها والعكس صحيح لذا جاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله (فناره جنة وجنته نار)[2] لكون الدجال وهو كل الفكر المادي من يوم بدء الخليقة الى يوم يُقتل على يد الإمام عجّل الله فرجه يبدع في تقديم نتاجاته المادية الصرفة وبعين عوراء لا مجال فيها للآخرة يقدم هذه النتاجات بصور تخلب الألباب حتى يحتنك ذرية آدم فهو في الحقيقة سلاح إبليس الرئيس إذ يقول:

﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الحجر:٣٩).

لذا فقراءة فواتيح سورة الكهف والتأمل بمآل هذه الدنيا الفانية وكونها ستصبح ﴿ صَعِيداً جُرُزاً ﴾ (الكهف:٨) قال الطبرسي (صعيد: ظهر الأرض. وقال الزجاج: الصعيد الطريق الذي لا نبات به. والجرز: الأرض التي لا تنبت كأنها تأكل النبت أكلا، يقال: أرض جرز، وأرضون أجراز. وقال سيبويه: يقال جرز الأرض فهي مجروزة وجرز هما الجراز والنعم، ويقال

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام - الشيخ علي الكوراني العاملي: ج١، ص٣٢١.

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام - الشيخ علي الكوراني العاملي - ج ٢ - ص ٩

للسنة المجدبة: الجرز، لجدوبها ويبسها، وقلة أمطارها)[١]

فما على الأرض من الزينة مآله الذهاب ولاب قاء له وتبقى تبعات اللهاث وراءه من حلّه وغير حلّه: يقول تعالى:

﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً ﴾ (الكهف:٤٥).

ولو جئنا للفظ المتحرك في بداية سورة الكهف وهو في قوله تعالى:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) ﴾ الكهف

فلفظ زينة هو محور الكلام في الآية فما على الارض زينة والذي جعل الزينة على الارض هو الله جل وعلا وهه الزينة سيجعلها الله جل وعلا صعيدا جرزا!

وبين جنبات هاته الكلمات تبرز مباحث الدجال الحديثية والقرآنية وحربة الإغراء عنده

فالدجال ويتبع وسيلة الإغراء بالتزيين لجلب قلوب الناس اليه ومن ثم ردهم عن طريق الله الى الشيطان والله وضع الزينة ليبلوا الناس ايهم احسن عملا لكن الشيطان:

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) ﴾ الحجر

---

(١) تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي - ج ٦ - ص ٣١١

والطريقة التي يتبعها في الإغواء هي:

﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) ﴾ الاعراف.

فهو يزين لهم ما في الارض ويغويهم بذلك فيسوس لأكابرهم ليخترعوا الطرق التي بها يعيش الانسان لكي يعيش ويتسوق لكي يتسوق! وهي من مباديء الرأسمالية اليوم. فهدف الحياة في البلدان العلمانية هي المتعة ولا يمكن ان تكون هناك متعة بلا تزيين للأرض وهذا التزيين لهذه المتعة وكيف تكون كان قد تعهد الشيطان بإيجادها والشيطان هو مبدا الدجال (كائنا ما كان هذا الدجال) وبالنتيجة فكل من يتبع الدجال يحارب المباديء الالهية التي حملها الانبياء، لذا فلو قرأة فواتيح سورة الكهف على الدجال وهي قوله تعالى:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً (٨) ﴾ سورة الكهف

فهدف الشيطان ايجاد الزينة لكي يزينها في عيون الناس ويحاول الايحاء بانها هي الهدف من الحياة ولكن سورة الكهف تخاطب اولي العقول بان ما على الارض من زينة هي للختبار والابتلاء لا للعبٍ منها بل ان المنافسة تكون بالعمل الحسن الصالح لكون العمل يبقى عند الله ويصير الى جنة لا تبيد او نار مستعرة ولكون ما على الارض سيصبح حطاما وذلك قول الله الذي لا يخلف الميعاد.

المحتويات